

المملكة العربيَّة السُّعوديَّة

وَزَارَةَ التَّعْلِيم

جَامِعَة أمّ القرى

كُلّيّة الدَّعْوَةِ وَأُصُولِ الدِّيْن

قَسْمُ العقيدة

اسم الله (الفتّاح) وآثاره

– دراسةٌ عقديّةٌ –

رسالة علميّة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة

إعداد الطالبة:

كوثر بنت حامد عثمان التني

الرقم الجامعي: (٤٣٩٨٠٦٥١)

إشراف الدكتورة:

فاطمة بنت أحمد حسين الثقفي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة في جامعة أم القرى

العام الدراسي:

١٤٤٤هـ – ٢٠٢٣م



﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾

[الأعراف: ١٨٠]

الملخص

العنوان: اسم الله الفتاح، وآثاره -دراسة عقدية-.

إعداد الطالبة: كوثر بنت حامد التني.

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.

يُعنى البحث بدراسة اسم الله- الفتاح- وبيان معناه، وأدلته الشرعية، واستنباط مدلولاتها، وإيضاح أثره في:

أولاً: الشرع والأمر من جهة تعلقه بكثير من مسائل العقيدة خاصة في باب الأسماء والصفات، وما هو مذهب السلف الصالح ﵏ في هذا الباب، وموقف الفرق المفارقة لهم، مع مناقشة مقالاتهم، وإبانة القول الحق الموافق لأدلة الكتاب والسنة.

ثانيًا: الخلق، وضرورة ظهور آثار إيمانهم بهذا الاسم عليهم.

تتجلّى أهمّيّة البحث في تناوله دارسة أصلَ الأصول وهو الإيمان بالله تعالى، الذي بنت عليه الفرق الإسلامية باقي مقالاتها في موضوعات العقيدة.

وانتهج البحث المنهجين: الاستقرائيُّ، والوصفيُّ التحليليُّ.

كما احتوى على تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد: واشتمل على عشر قواعد وأصول في باب الأسماء الحسنى.

الفصول: وفيها: اسم الله الفتّاح، معناه، وموارد استعماله، ودلالاته في القرآن والسنة، علاقة اسم الله (الفتاح) بمسائل الاعتقاد، الفِرَق المخالفة للسلف في اسم الله (الفتّاح) والصفات المتضمنة له، وآثار الإيمان باسم الله (الفتّاح).

وأظهر البحث تعدد المعاني المتضمنة لمعنى الفتح في اللغة، وفي حق الله تعالى، وتنوّع دلالاته في النصوص الشرعية، وما اتسم به السلف الصالح ﵏ في فهمهم لتلك النصوص، حتى أضحت مقالاتهم موافقةً للأدلة الشرعية، متّسقةً مع النظر الصحيح، مؤتلفةً مع الحسّ والواقع، منسجمة مع معاني اللغة العربية، وفي المقابل أظهر البحث جنوح بعض الفرق المنتسبة للإسلام عن جادة الصواب في باب الأسماء والصفات عامة، وفي اسم الله(الفتاح) خاصة.

والتوصية فيه بإكمال دراسة الأسماء الحسنى، وما يتبعها من صفات الله العلى، والعناية بإظهار الإرث السلفي في هذا سواءً عبر شخصياتهم المبرزة، أو مصنفاتهم المؤلفة.

كلمات مفتاحية: أسماء الله، توحيد، عقيدة، فتاح، فتح.

Abstract

Title: The Name of Allah Al-Fattah “The Ever-Opening” & its impacts, a doctrinal study.

Prepared by the student: Kawthar bent Hamed Al-tuni.

A Thesis Submitted in Fulfilment for Obtaining the master's degree, Faculty of Da’wah & Religious Fundamentals – Creed Department.

This research shall be concerned with the study of the name of Allah Al-Fattah “The Ever-Opening” its meaning as well as religious legal evidence, deducing its connotations and clarifying its impact in regard with:

Firstly: Sharia and the command in terms of its connection with several issues of creed, especially in relation with names and attributes, the doctrine of righteous predecessors - may God have mercy on them - in this respect, as well as the standpoint of different sects with them, along with a discussion of their discourse, an explanation of true saying that is consistent with the evidence of the Holy Quran as well as the Sunnah.

Secondly: Creation, and the necessity for manifestation of their belief in this name to be clear on them.

The importance of this research is evident in the study of origin of the principles, namely the belief in God Almighty, upon which the Islamic groups have built the rest of their sayings on the topics of creed.

This research followed two main approaches: The Inductive Method as well as The Descriptive-Analytical Method.

<u>The research also contains an introduction together with four chapters:</u>

Introduction: It included ten rules and principles in regard with Allah’s Most Beautiful Names.

Chapters: These chapters included: the name of God Al-Fattah “The Ever-Opening”, its meaning, resources for its use, its implications in the Qur’an and Sunnah, the relationship of the name of God (Al-Fattah) to matters of creed, the difference between the predecessors in the name of God (Al-Fattah), the attributes involved therein, as well as its impacts of belief in the name of God (Al-Fattah “The Ever-Opening”).

The research has revealed the multiplicity of meanings contained in the name of God Al-Fattah “The Ever-Opening”, the diversity of its connotations in the religious legal texts, the characteristics of righteous predecessors in their understanding such texts until their sayings became conforming with legal evidence, consistent with correct consideration, combined with sense and reality, compatible with the meanings of the Arabic language. On the other hand, the research revealed the deviation of some sects affiliated with Islam from the path of truth in relation with the Names and Attributes.

It is recommended to complete the study of Allah’s Most Beautiful Names, the attributes of God the Most High that follow them, and to shed the light of ancestral heritage in this regard, whether through their prominent personalities, or their classified books.

Keywords: Names of God – Monotheism – Creed – Al-Fatah “The Ever-Opening”.

شكر وتقدير

الحمد لله ذي المن العظيم، والوجه الكريم، الحمد لله على نعمه وأفضاله، وآلائه وإنعامه، أحمده على تعدد منحه، وتجدد عطاءه، وأشكره تبارك اسمه، وتقدست صفاته، وأثني عليه بما يليق بعظمته، ويكافأ منته، فهو العليم الرحمن، خالق الإنسان، ومعلمه البيان.

ثم الشكر الوافر، والامتنان العاطر لوالدي الحبيبين، على حسن تربيتهما، ورحمتهما بي صغيرة، والشكر لأسرتي الكريمة، على ما قدموه لي من عون ودعم، والله أسأل الحفظ لأمي الغالية، والمغفرة والرحمة لأبي العزيز، والتوفيق والسداد لأخواتي وإخواني، وأولادهم الأعزاء.

والشكر والتقدير لأهل الفضل والتعليم، أساتذتي الفضلاء في جامعة أم القرى الغراء، وفي مقدمتهم مشرفتي الغالية سعادة الدكتورة/ فاطمة الثقفي، على عظيم جهدها، وحسن تعليمها لي، وكذلك الشكر موصول للمناقشين فضيلة الدكتور/ عبد الله آل حوفان، وفضيلة الدكتورة/ حنان المعبدي على تكرمهما بمناقشة الرسالة وتقويم ما فيها من عوج.

كما أتقدم في هذا المقام بإسداء الشكر العرفان لكل من ساندني وأعانني على إتمام هذا البحث وإنجازه، من الأخوات العزيزات، والأساتذة الكرام، وأخص بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الله الدميجي، فضيلة الأستاذ الدكتور/ لطف الله خوجه، وفضيلة الدكتور/ صالح الزهراني.

أشكرهم جميعًا، وأسأل الله تعالى لهم خير الجزاء، وأتمه، وأوفاه.

المقدمة

- أهمّيّة البحث
- أسباب اختيار الموضوع
- مشكلة البحث
- أهداف البحث
- الدراسات السابقة
- خطة البحث
- منهج البحث
- إجراءات البحث

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١](١).

أمّا بعد: فإنّ منزلة التوحيد في الدين عليّةٌ وأهميته فيه بيّنةٌ جلية؛ إذْ إنّه غايةُ الخلْق ومضمونُ دعوة رسل الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وإنّ العبد لن يضع قدمَه في أول مراتب الدين، أو يبلغَ غايته وأعلى مراتبه؛ إلّا بعد أن يخلعَ عنه ثوبَ الجهل، ثمّ يكتسيَ كساءَ العلم والمعرفة، ومِن أوضح السبل لبلوغ ذلك، وأدلِّ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس، (١/٤٢٨)، برقم ١٠٩٧، والترمذي في جامعه، أبواب النكاح عن رسول الله، باب ما جاء في خطبة النكاح، (٢/٣٩٨)، برقم ١١٠٥، بمعناه مختصرًا، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، (١/٦٤٧)، برقم ٣٢٧٧ بنحوه، وابن ماجه في سننه، أبواب النكاح، باب خطبة النكاح، (٣/٨٧)، برقم ١٨٩٢ بنحوه مطولًا، وصححه الترمذي في جامعه.

المعارف للطالب هي: معرفةُ الله تعالى بأسمائه وصفاته، فهي أولُ المعرفة ومبدؤها، ومُتِمَّتُها وخاتمتُها، والإيمان بأسماء الله الحسنى "ومعرفتَها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيدِ الربوبيّة، وتوحيدِ الإلهية، وتوحيدِ الأسماءِ والصفات، وهذه الأنواعُ هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصلُه وغايتُه، فكلّما ازداد العبد معرفةً بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانُه وقوي يقينُه"(١).

وممّا يؤكّد هذه العلاقة المتلازمة بين التوحيد وأسماء الله تعالى وصفاته، قل أن تخلو آيةٍ من كتاب ربّنا ﷻ من ذكرٍ للأسماء الحسنى والصفات العُلى تصريحًا أو ضمنًا، فهذه سورة الفاتحة أمُّ القرآن، وسورةُ الإخلاص التي تعدلُ ثلث القرآن، وهذه أفضلُ آيات كتاب ربّنا آيةُ الكرسي، كلُّها في بيان أسماء الله وصفاته، وكذلك لم تخلُ آيةٌ في القرآن من ذكر التوحيد ودلائله وحقوقه ومتطلّباته وجزائِه(٢).

هذا وإنّ أسعد الخلْق بذلك هم سلفنا الصالح - ﷺ - من أهل السنّة والجماعة، فالناظر إلى ما بلغوه من إيمان وتقى يعلم حقًّا أنّ ذلك لم يكن لهم إلّا بما وقع في قلوبهم من العلم بالله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثمّ سيرهم في العمل بالأسماء والصفات، وسائر العبادات على ما أراد الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ؛ فكانوا بذلك أحقَّ الناس بخشية الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨]، فمن أراد الهداية في الدنيا، والنجاة في الآخرة فليحذوا حذوهم، ويسلك مسلكهم.

ولأجل هذا جعلت رسالتي العلمية هذه في باب الأسماء والصفات، وبالأخص في اسم الله الفتاح .

أهمّيّة البحث:

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة القرآن، عبد الرحمن السعدي (ص: ٧٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم، (٣/٤١٨).

تتجلّى أهميّة البحث فيما يلي:

١- تعلق موضوعه بدراسة أصلَ الأصول؛ ألا وهو الإيمان بالله الذي هو أصل أركان الإيمان.

٢- إنّ شرف كلِّ علمٍ بشرف متعلّقه، وما من شيءٍ أشرفُ من العلم بالله وأسمائه وصفاته.

٣- فيه تبليغ للأمة بما فيه نفعهم وهدايتهم لخيري المعاش والمعاد.

٤- عظم ما يَنتج عنه من عبوديّة وتألّه لله؛ فالعبادة هي الغاية من الخلق، والعلم بأسماء الله وصفاته سبب زيادة الإيمان، والقربى من الله.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد اخترت هذا العنوان وجعلته محلًا للبحث من أجل:

١- جمع ما تفرق من كلام علماء السلف ﵏ حول اسم الله الفتاح، وصفة الفتح لله تعالى خاصة؛ حتى تكون مجتمعة في سفرٍ واحد يسهل الرجوع لها، وحينها يتجلى سلامة مذهبهم، وحسن منهجهم في باب الأسماء والصفات.

٢- إظهارُ حُسْنِ أسمائه تعالى، وصفاتِ عظمته، وبيانُ سَعَة مجده، وكمال أوصافه وقدرته.

٣- تمجيدًا لله ﵎، ومدحًا وثناءً عليه، فعن ابن مسعود ﵁ أن الرسول ﷺ قال: «ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه»(١).

٤- دعوة الأمّة إلى ألوهيّته، وذلك عبر العلم بأسمائه وصفاته؛ لاستلزامه ذلك.

٥- الاطلاع الأعمق على الأسماء الحسنى والصفات العلى، والعيش في رحابها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الأنعام، باب قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، (٥٧/٦)، رقم ٤٦٣٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب غيرة الله تَعَالَىٰ وتحريم الفواحش، (١٠٠/٨)، برقم ٢٧٦٠، بنحوه.

مشكلة البحث:

إنّ بابَ الأسماء والصفات من أهمّ أبواب العقيدة، وأكثرُها تأثيرًا في نفس المسلم، ومن هذه الأسماء اسم الله (الفتّاح)، وقد جاءت النصوص مثبتة بأنه حقًا اسمًا لله تعالى، وينبغي للمسلم زيادة معرفة به، وعلم بمسائله المتعلقة به.

وتتفرّع عن المشكلة عدّةُ أسئلةٍ، وهي كالتالي:

١- ما معنى اسم الله (الفتّاح)، وما أدلة وروده في نصوص الكتاب والسنّة، وما هي دلالاته فيها؟

٢- هل للفتح الشرعي خصائص، وما أسباب حصوله من الله تعالى، وماهي موانعه؟

٣- هل من صلة بين اسم الله (الفتاح) وباقي مسائل الاعتقاد؟

٤- ما الفِرَق المخالفة للسلف ﭫ في اسم الله (الفتّاح)، والصفات المتضمنة له، وكيف يكون الرد عليهم من المنظور السلفي؟

٥- كيف يُدعى الله تعالى باسمه (الفتّاح)؟

أهداف البحث:

تبرز أهداف هذا الموضوع في عدّة نقاطٍ، وهي كالتالي:

١- التعريف باسم الله (الفتّاح)، وذكر أدلّة وروده في النصوص، والمعاني المستنبطة من تلك النصوص.

٢- ذكر خصائص الفتح الشرعي وتمييزه عن الفتح البدعي، وبيان أسباب نيل الفتح من الله تعالى لتجتلب، وكذلك موانعه لتجتنب.

٣- إيضاح العلاقة بين اسم الله (الفتاح) وغيره من موضوعات الاعتقاد.

٤- بيان موقف الفرق من اسم الله (الفتاح)، والصفات المتضمنة له، ثم نقد تلك المقالات.

٥- إبراز آثار اسم الله (الفتّاح) في الخلق والكون، والشرع والأمر.

الدراسات السابقة:

قبل تسجيل الموضوع واعتماده قمت بالبحث والاطّلاع على نِتاج المكتبات الإسلاميّة

من بحوثٍ ودراساتٍ، ولم أجد أي بحث في اسم الله الفتاح، لكن بعد ذلك نُشر بحث واحد مختص بالحديث عن اسم الله الفتاح بعنوان: المسائل العقدية المتعلقة باسم الله الفتاح جمعًا ودراسة، عبد الكريم الرحيلي، وهو بحث نشر في المجلد الرابع من العدد السادس والثلاثين، لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية، في سبع وخمسين صفحة، **وقد اشتمل على ستة مباحث المبحث الأول: تعريف الفتاح لغة واصطلاحًا، المبحث الثاني: اسم الله الفتاح، المبحث الثالث: الفتح الإلهي، المبحث الرابع: التعبد بسم الله الفتاح، المبحث الخامس، اقتران اسم الفتاح بالعليم، المبحث السادس، الآثار الإيمانية لاسم الله الفتاح.**

أما بحثي فقد حوى -بفضل الله- كل ما سبق مع زيادة تحرير لبعض المسائل، وإضافة مبحث عن خصائص الفتح الشرعي، وأسبابه، وموانعه، وفصل مختص بعلاقة الاسم بمسائل العقيدة، وآخر يبين مواقف الفرق من اسم الله الفتاح والصفات المتضمنة له.

منهج البحث:

المنهجان المتّبعان في البحث هما: المنهجُ الاستقرائيُّ، والمنهج الوصفيُّ؛ وذلك على النحْو التالي:

- المنهج الاستقرائيّ: سوف أوظّفه في جَمْع الآيات والأحاديث النبويّة الواردة فيها اسم الله (الفتّاح)، وجمع المقالات في موضوع البحث.
- المنهج الوصفيّ التحليليّ: وأستخدمه في شرح الأدلّة، وبيان معانيها، واستنباط الأحكام منها، وعرض المقالات المجموعة.

خطة البحث:

التمهيد: قواعد وأصول في باب الأسماء الحسنى

أولًا: تعريف الاسم في اللغة، والأصل في اشتقاقه، وفائدة معرفة الاشتقاق.

ثانيًا: ضابط الأسماء الحسنى.

ثالثًا: أسماء الله تعالى توقيفيّة.

رابعًا: أوجه الحُسْن في أسماء الله تعالى.

خامسًا: أسماء الله الحسنى محكمة المعنى.

سادسًا: التفاضل بين الأسماء الحسنى.

سابعًا: الإخبار عن الله تعالى بأفعاله وأوصافه المشتقّة من أسمائه.

ثامنًا: الاشتراك اللفظي في الأسماء بين الله تعالى وبين خلقه.

تاسعًا: حكم التسمية باسمٍ من أسماء الله ﷻ.

عاشرًا: حكم تصغير الأسماء الحسنى.

الفصل الأول: اسم الله الفتّاح، معناه، وموارد استعماله، ودلالاته في القرآن والسنة، وخصائص الفتح الشرعي، وأسبابه، وموانعه.

المبحث الأول: معنى الفتح في اللغة، والاصطلاح، ومعناه اللائق بالله تعالى.

المبحث الثاني: موارد ورود اسم الله (الفتّاح) في الكتاب والسنّة.

المبحث الثالث: دلالة ورود اسم الله (الفتّاح) في القرآن والسنّة.

المبحث الرابع: خصائص الفتح الشرعي، وأسباب نيله من الله تعالى، وموانع حصوله.

الفصل الثاني: علاقة اسم الله (الفتاح) بمسائل الاعتقاد.

المبحث الأول: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان بالملائكة الكتب والرسل.

المبحث الثالث: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان باليوم الآخر.

المبحث الرابع: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان بالقدر.

المبحث الخامس: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) وفضائل الصحابة.

الفصل الثالث: موقف الفرق من اسم الله (الفتّاح)، والصفات المتضمنة له.

المبحث الأول: موقف الفرق من اسم الله الفتاح، وصفة الفتح.

المبحث الثاني: موقف الفرق من الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح.

الفصل الرابع: آثار الإيمان باسم الله (الفتّاح).

إجراءات البحث:

١- جمعت المادة العلمية المتعلقة بالبحث من مصادرها، ثم أدرجت تحت كل فصل من فصول البحث ما يتناسب معه؛ وقمت بصياغتها صياغة علمية متوافقة مع عنوان البحث؛ حتى تعود كلها إلى معنى موضوع البحث الرئيس.

٢- بدأت بتمهيد أوردت القواعد والأصول المتعلقة بباب الأسماء والصفات، وآثرت جعلها مقررة حسب منهج السلف الصالح ﷺ دون التعرض لأقوال الفرق المخالفة لهم.

٣- بينت أصل الفتح في اللغة، وما هي أهم معاني الفتح كما جاءت في معاجم اللغة.

٤- تتبعت موارد اسم الله الفتاح في نصوص الكتاب، وكثير من موارده في السنة سواء كان بالاسم الصريح أو الصفة أو إخبارا عنه، ومنها استخرجت المسائل والموضوعات العقدية التي تضمنتها اسم الله الفتاح.

٥- تقيدت في ذكر الأسماء المقاربة لاسم الله الفتاح، وكذلك الصفات المتضمنة له بما نص عليه العلماء خشية الإطالة والتشعب.

٦- عند الحديث عن الفرق التي وقفت على مقالاتها المخالفة والمفارقة للسلف ﷺ في اسم الله الفتاح وصفة الفتح خصوصًا، بدأت بتمهيد لكل فرقة بالتعريف بها، وبعرض مجمل لأبرز وأهم عقائدهم في باب الأسماء والصفات دون نقدها -بغية التركيز على موضوع البحث- حتى تتكون لدى القارئ الكريم صورة متكاملة عن مذهبهم في الباب، يليه عرض ووصف مفصل لأقوالهم في الاسم وصفة الفتح والعقائد المتصلة بها، مع نقدها من منظور سني ورؤية سلفية.

أما عند الحديث عن الفرق التي وقفت على مقالاتها المخالفة والمفارقة للسلف ﷺ في باقي الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح فقد أجملت الحديث في العرض والنقد.

٧- عزوت الآياتِ القرآنيّة إلى سورها، وأرقامِها كما وردت في المصحف الشريف، وأضعها بين قوسين مزهرين، على هذا الشكل: ﴿...﴾.

٨- خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، مكتفية بتخريج الأحاديث من

الصحيحين، فإن لم يكن الحديث فيهما خرجته من غيرهما من الكتب الستة، ثم من غيرها من الكتب، وذلك على حسب اللفظ الوارد في المتن، ووضعت الأحاديث بين قوسين مثلثين على هذا الشكل: «...»، والآثار بين قوسين هلاليين على هذا الشكل:(.....)، مع الحكم على الأحاديث الواردة في غير الصحيحين، مقتصرة في تخريجها على أوّل موضعٍ ترد فيه، وإن تكرر ورود الحديث فإني أحيل إلى أول موضع خرجت فيه الحديث.

٩- وثقت المادة العلميّة المتعلّقة بكلّ جزئيّات البحث من المصادر والمراجع العلمية، بذكر اسم الكتاب والمؤلف مع الجزء والصفحة، دون ذكر بيانات الكتاب، فقد جعلت ذلك في فهرس المصادر والمراجع.

١٠- أضع النصوص التي تُنقل بنصّها بين علامتي تنصيص على هذا الشكل: "...." بدون كلمة انظر في الهامش، أما المنقول بالمعنى فأصدره في الهامش بكلمة انظر.

١١- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث عند أول ذكرٍ لهم، عدا المشهورين من الصحابة الكرام ﵃، وأئمة المذاهب الأربعة وشيخ الإسلام بن تيمية ﵏

١٢- بينت معاني الكلمات الغريبة الوارد ذكرها في البحث، وعرّفت بالمصطلحات العلميّة والفرق.

١٣- عرّفت بالأماكن والبلدان المذكورة في البحث.

١٤- اعتنيت بالفهارس، ورتبتها على حسب:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصطلحات العلميّة والكلمات الغريبة.
- فهرس الفرق.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس المحتويات.

الخاتمة:

وفيها أهمُّ النتائج التي توصّلْتُ إليها في البحث، وأهمّ التوصيات التي أُوصي بها.

التمهيد:
قواعد وأصول في باب الأسماء الحسنى

أولًا: تعريف الاسم في اللغة، والأصل في اشتقاقه، وفائدة معرفة الاشتقاق.

ثانيًا: ضابط الأسماء الحسنى.

ثالثًا: أسماء الله تعالى توقيفيّة.

رابعًا: أوجه الحُسْن في أسماء الله تعالى.

خامسًا: أسماء الله الحسنى محكمة المعنى.

سادسًا: التفاضل بين الأسماء الحسنى.

سابعًا: الإخبار عن الله تعالى بأفعاله وأوصافه المشتقّة من أسمائه.

ثامنًا: الاشتراك اللفظي في الأسماء بين الله تعالى وبين خلقه.

تاسعًا: حكم التسمية باسمٍ من أسماء الله تعالى.

عاشرًا: حكم تصغير الأسماء الحسنى.

التمهيد:

قواعد وأصول في باب الأسماء الحسنى

إن علم العقيدة من اهمّ علوم الإسلام واعلاها منزلة وارفعها شانا؛ ولهذا اعتنى علماء السلف ﷺ به أيَّما عناية، واحتفوا به احتفاءً كبيرًا، وقد ظهر ذلك جليًّا من خلال المصنّفات الكثيرة فيه، تلك المصنّفات التي حوَتْ كلَّ ما يتعلّق بمسائل ومباحث هذا العلم الشريف في أصوله وفروعه.

ومن موضوعات علم العقيدة: باب الأسماء الحسنى، الذي حظي أيضًا بعناية العلماء واهتمامهم، فقد جعلوا له قواعد وأصول تُبنى عليه مسائله وقضاياه، "ومعلوم أن الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها.....، والفروع تثبت وتتقوى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت للعلم ويقوى.....، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرًا كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي هي من جمال العلم جمعها"(١). فكل من عرف هذه الأصول ووعاها وضبطها سهل عليه -بإذن الله- فهم الفروع المبنية عليها، ثم عمل على تطبيقها، واطراد أحكمها في جميع الأسماء الحسنى، وهذا عرضٌ لأحكام الأسماء الحسنى وفق منهج أهل السنّة والجماعة، وهي:

---

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، عبد الرحمن السعدي (ص:٥- ٦).

أولًا: تعريف الاسم في اللغة، والأصل في اشتقاقه، وفائدة معرفة الاشتقاق

الاسم في اللغةً: كلُّ لفظةٍ دلّت على معنىً تحتها، غيرِ مقترنةٍ بزمن(١)، وهذا أحصر الأقوال في تعريفه.

غير أن أسماء الله تعالى إذ أُطلقت فإنّ ألفاظها تشمل ذاتَه العليّة وصفاته الشريفة، ولا يُقصد بها الذات فقط، أو الصفات وحدها(٢).

أمّا اشتقاق الاسم(٣): فمذهب علماء اللغة من البصريّين والكوفيّين عدا ثعلب(٤): أنّ الاسم مشتقٌّ من السموّ، أي العلوّ، أما ثعلب فيرى أن الاسم مشتقٌّ من الوَسْم، أي العلامة، كأنّه جُعل سِمةً ورفعةً للمُسَمَّى.

لكن مقاييس العربيّة في الألفاظ ودلالاتها متوافقةٌ مع قول الجمهور؛ لأنّ العرب يقولون في تصغيره: سمِي لا وسيم، وفي جمعه: أسماء لا أوسام، وفي اشتقاق الفعل منه: سمّيت لا

---

(١) انظر: أسرار العربية، عبد الرحمن الأنباري (ص: ٣٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢٠٦/٦).

(٣) الاشتقاق في اللغة: الأخذ في الكلام يمينًا وشمالًا، واشتقاق الحرف من الحرف، أخذه منه. انظر: لسان العرب، محمد بن منظور (١٨٤/١٠).

وهو على ضربين: الاشتقاق الأصغر: وهو أخذ كلمةٍ من كلمةٍ أخرى مع اتّفاقهما في المادّة والمعنى والترتيب، وتفيد الكلمة الثانية معنىً زائدًا عن معنى الكلمة الأولى، الاشتقاق الأكبر: هو أخذ كلمةٍ من أخرى مع اتّفاقهما في المادة والمعنى دون ترتيب، ويعرف من خلال تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ. انظر: الخصائص، أحمد بن جني (١٣٥/٢- ١٣٦)؛ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٢٧٥/١).

(٤) أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي بن يزيد، مولى بني شيبان، ولد في عام ٢٠٠هـ، كان ثقةً حجّةً، يجتنب البدع فقد كره الكلام في الاسم والمسمّى، سمع من: محمد بن زياد الأعرابي، والأثرم، وسلمة بن عاصم، روى عنه: الأخفش، وأبو بكر، وله من الكتب والتصنيف: اختلاف النحويين، وغيرها، توفي سنة ٢٩١هـ، انظر: طبقات النحويين واللغويين، محمد الإشبيلي (١٤٩/١٤١)؛ إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي القفطي (١٨٥/١٧٣).

وسمت.

فإنْ قال قائل: إن كان أصل الكلمة من السموّ، فَلِمَ أُنقصت فصارت (اسم)؟

قيل: مشهورٌ عند العرب اختصاصهم الاسم والفعل بأمورٍ لا يُجرونها على جميع نظائرهما، ومنها الحذف، إذِ الحذف للحرف الأخير معهودٌ في اللغة، ككلمة: (أخٍ – غدٍ) وغيرهما، فمثلًا كلمة (غد) أصلها: غدو، حُذف آخرُه لغير علّة، ثمّ أُسكن أوّلُه وأُضيفت همزة الوصل؛ ليتمكّن بها من النطق بالحرف الساكن، ومثلها كلمة الاسم(١).

وقولُ ثعلب حسنٌ من جهة المعنى، فاسدٌ من جهة اللفظ؛ لأنّه لا يُعرف في اللغة دخولُ همزة الوصل على ما حُذفت فاؤُه من الأسماء نحو: (عدة – زنة)، فإنّ أصلهما: (وعدة – وزنة)، لما حُذفت الفاءُ فيهما لم تدخل عليهما همزةُ الوصل، فدخولُ همزة الوصل على كلمة (اسم) دليلٌ على أنّ فاءَه لم تُحذف، وليس الأصل فيها (وسم)(٢) إذًا الأصل في كلمة (اسم) أنه من السمو وليس الوسم.

ولتقرير أصل اشتقاق كلمة (اسم) فائدةٌ عقديّةٌ مهمّةٌ، وهي: أنّ في القول بأنّ الاسم مشتقٌّ من السموّ؛ تدعيمًا لقول السلف: أنّ الأسماء الحسنى غيرُ مخلوقة، وأنّ الخلق لا أثرَ لهم في أسماء الله وصفاته، فالله تعالى قائمٌ بأسمائه وصفاته قبل الخلْق وبعدهم، خلاف القول بأّن الاسم مشتقٌّ من الوسم والعلامة: فإنّه يُلمح إلى أنّ للخلق تأثيرًا في الأسماء والصفات، فكأنّ الله كان في الأزل بدونها فلمّا خلق الخلْق تسمّى بالأسماء فكانت علامة عليه، وهذا خلافُ ما أجمعت عليه الأمّة(٣).

ومقصود الاسم إظهارُ المسمّى وبيانه، ولهذا فإنّ "ما ليس له اسمٌ فإنّه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو ذكره؛ بل هو كالشيء الخفيّ الذي لا يُعرف؛ ولهذا يقال: الاسم دليلٌ على المسمّى

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم الزجاج (١/٣٩– ٤١)؛ اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن الزجاجي (٢٥٥/٢٥٧)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (١/٩١)؛ شرح المفصل، يعيش بن يعيش (١/٨٣)؛ مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/٢٠٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم الزجاج (١/٤١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي (١/١٠١).

وعَلَمٌ على المسمّى ونحو ذلك. ولهذا كان أهل الإسلام والسنة الذين يذكرون أسماء الله، يعرفونه ويعبدونه ويحبّونه ويذكرونه ويظهرون ذكره. والملاحدة[١]: الذين ينكرون أسماءه وتُعرض قلوبُهم عن معرفته وعبادته ومحبّته وذكره؛ حتى ينسوا ذكره ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]"[٢]، فإنّ العلوَّ مقارنٌ للظهور، كلّما كان الشيءُ أعلى كان أظهرَ، وكلُّ واحدٍ من العلو والظهور يتضمّن المعنى الآخر، ففي الاسم تلميحٌ بالمسمّى إذْ به يعلو ويشتهر.

فإنْ تقرّر ما سبق ذكره من إيضاحٍ لتعريف الاسم واشتقاقِه وفائدةِ معرفة ذلك: عرفنا صحّة مذهب السلف الصالح واتّساقه مع قواعد اللغة، وما يؤدّي إليه من معرفة الله والتألّه له الذي خَلَقَ لأجله الخلْقَ.

---

(١) "الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها"، بدائع الفوائد محمد بن القيم (١/ ٢٩٧)

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/٢٠٧– ٢٠٩).

ثانيًا: ضابط[1] الأسماء الحسنى

إنّ معرفة هذه الضوابط وإن لم تكن من الغايات المقصودة لذاتها إلّا أنّها من الأهمّيّة بمكانٍ؛ لأنّها موصلةٌ إلى الغاية الكبرى، وهي معرفةُ الأسماء التي يُدعى بها الله، فكلُّ اسمٍ اشتمل على هذه الضوابط اعتبرناه من الأسماء الحسنى، وأمّا ما عداها فلا.

وممن ذكر هذه الضوابط شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فقد ذكر أن ضابط الأسماء الحسنى يتوجّه إلى ورودها في نصوص الكتاب والسنّة، وتجلّي اشتمالها على المدح والثناء في نفسها دون الحاجة إلى التكلّف في بيانه، واحتوائها على المعاني الحسان، فيُدعى الله بها كما أمر الله بذلك، فإنِ اجتمعتْ هذه الضوابط في الاسم فهو من الأسماء الحسنى.

الدليل الجامع لهذه الضوابط قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وتفصيل ذلك في الآتي:

أولًا: ضابط ورودها في النصوص دليله في قوله تعالى (الأسماء) فإنّ /ال/ هنا للعهد، ولا عهد معروف ومعتبر في الأسماء إلّا ما جاء في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ.

ثانيًا: ضابط اشتمالها على صفات المدح والثناء، دليله في قوله تعالى: (الحسنى)، فهو كما تقدّم تقريره من معنى الحسن فيها وأوجه ذلك.

ثالثًا: ضابط دعاء الله بها، دليله في قوله تعالى: (فادعوه بها)[2].

وبهذا الاستدلال يتبيّن استقامة وصحّة قوله رحمه الله في تعداد ضوابط الأسماء الحسنى، فكلُّ اسمٍ عدّه العادّون ضمن الأسماء الحسنى ولم يحوِ هذه الضوابط؛ فليس باسمٍ له سبحانه.

---

[1] "ضبط الرجل الشيء يضبطه ضبطًا إذا أخذه أخذًا شديدًا"، جمهرة اللغة، محمد بن دريد (٣٥٢/١)، و"الضبط: لزوم شيءٍ لا يفارقه في كلّ شيء"، تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٣٣٩/١١)، والضابط: الحكم العام الذي يجمع جزئيات كثيرة في الباب الواحد. انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا (٧٥٣/١)؛ معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي (ص: ٢٨١).

[2] انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن تيمية (ص: ٣١)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٣٠٩)؛ معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الحسنى، محمد التميمي (ص: ٣٨-٣٩).

ثالثًا: أسماء الله تعالى توقيفيّة

جادة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء الحسنى القول: بأنّها توقيفيّةٌ لا يتجاوز فيها النصوص الشرعية؛ إذ إنّ مذهبَهم كلِّهم "الإيمانُ بصفات الله تعالى وأسمائه التي وَصف بها نفسَه في آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادةٍ عليها، ولا نقصٍ منها، ولا تجاوز لها"(١).

بل إنّهم يصفون مَن قال غير هذا بأنّه متنكّبٌ عن الصراط، ضالٌّ عن الهدي المستقيم، منحرفٌ عن المسلك القويم، ملحدٌ في أسماء الله ﷻ(٢).

ويستدلّون على القول بالتوقيف في الأسماء الحسنى بعدّة أدلّةٍ، منها:

أوّلًا: قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالآيةُ -وإن كانت في معرض الردّ على المشركين حين افتروا على الله تحريم بعضٍ من الزرع والحرث-، فإنّها متناولةٌ لكلِّ قولٍ على الله في الدين من غير علمٍ ولايقينٍ(٣)، فمن سمى الله أو وصفه بغير ما أثبتته النصوصُ فقد أتى ما نُهي عنه في الآية.

ثانيًا: عن عائشة ﵂ أنّ النبي ﷺ كان يقول: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(٤)، وتسميةُ الله من الثناء عليه، وليس للعقل مجالٌ لإدراك ما يستحقّه الله من الثناء(٥).

---

(١) ذم التأويل، عبد الله بن قدامة (ص: ١١).

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي، (٢/٢٥٤)؛ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، اسماعيل الأصبهاني، (١/١٦٠).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٣/٢٢٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (٢/٥١)، برقم ٤٨٦.

(٥) انظر: أسماء الله الحسنى، عبد الله الغصن (ص: ٦٣).

ثالثًا: قول أئمة السلف، فقد قال الإمام أحمد ﷺ: (نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك)(١).

وقال الإمام قوّام السنّة التيمي ﷺ(٢): (فلا يُسمّى إلّا بما سمّى به نفسَه في كتابه، أو سمّاه به رسوله ﷺ، وأجمعت عليه الأمّة) (٣).

وقال الإمام السفاريني ﷺ(٤):

لكنّها في الحقّ توقيفيّة لنا بذا أدلّة وفيَّةٌ(٥).

فالمعتمد عندهم هو النصُّ المسموعُ من صاحب الشريعة، والمعول لديهم على ورود الإذن منه، وعلى هذا كان اتّفاق جميعهم.

بناءً على ما تقدّم: فقد منع العلماء من قياس غيرها عليها، وإن وُجد معنًى ظاهرٌ مشتركٌ بينهما في اللغة، مثلًا: اسم القويّ لا يُقاس عليه الجَلْدُ، وإنْ وُجد تقاربٌ بينهما في المعنى؛ لأنّ الثاني متضمّنٌ معنى التكلّف والتصنّع، وكذلك لا يُقاس المستطيع والمطيق على القادر؛ لاختصاصهما بمعنى القوّة البدنيّة، وهكذا بقيّة الأسماء (٦).

وإنّما مُنع القياسُ فيها؛ لأنّ غيرها لا يقوم مقامَها، ولا يدلّ على معناها، ولا يؤدّي

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيد الله العُكْبَري (٧/ ٣٢٦).

(٢) أبو القاسم، إسماعيل بن محمد التيمي، ولد عام ٤٥٧هـ، إمام زمانه وشيخ عصره، وأسوة أهل السنّة في عصره، روى عن: أبي نصر الزينبي وابن ماجه الأبهري. حدث عنه: أبو سعد السمعاني، وأبو القاسم ابن عساكر، من مصنفاته: دلائل النبوة، الإيضاح في التفسير، توفي عام ٥٣٥ هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٦٢٣/١١-٦٢٧)؛ وله: طبقات الحفاظ (٥٠/٤-٥١).

(٣) الحجة في بيان المحجة، اسماعيل الأصبهاني (٤١٠/٢).

(٤) أبو العون، محمد بن أحمد بن سالم السَفَارِيني، عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد عام ١١١٤هـ، من كتبه: الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات، كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، القول العلي لشرح أثر الإمام علي، توفي عام ١١٨٨هـ. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي (١٤/٦).

(٥) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد السفاريني (١٢٤/١).

(٦) انظر: شأن الدعاء، سليمان الخطابي (ص: ١١١-١١٢).

مؤدّاها؛ فهي خبرٌ عن الله تعالى وهو غيبٌ لم يرَه أحدٌ، وإنّ مقتضى شهادة التوحيد، وتمامَ الإيمان بالله ورسوله التوقيفُ على ما جاء في الكتاب والسنّة من أسمائه وصفاته.

فإن ثبتت التوفيقيّة لأسماء الله تعالى الحُسنى بالأدلّة؛ وجب لزومُ ذلك والوقوفُ عندها حيث وقف أسلافنا رحمهم الله.

رابعًا: أوجه الحُسْن في أسماء الله تعالى

وصف الله نفسه ممتدحًا في كتابه العزيز فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفي هذه الآية إفادةٌ باختصاصه تعالى بالأسماء الحسنى، وذِكْرٌ لبعض أوجه الحسن فيها، فكما أنّه لا شبيهَ له في ذاته فلا شبيهَ له في صفاته وأسمائه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، فالله تعالى قد استأثر بالأسماء الحسنى، وتميّز بها عن خلْقه، ووجهُ الدلالة على ذلك في الآية من جهتين:

أولاهما: تقديم الجار والمجرور دلالةً على الحصر والقصر.

وثانيها: اللام المؤكّدة لاستحقاقه واختصاصه بها، فكأنّه يقول: ليس لله من الأسماء إلّا الأسماء الحسنى[١]، وأنّ الكمال الذي في أسمائه لا يشركه فيها غيره.

ولهذا الحسن أوجهٌ متعدّدةٌ:

الأول: منها ما جاء في تمام الآية أنّه أمر العباد أن يدعوه بها، سواءٌ كان دعاءَ عبادةٍ أو دعاءَ مسألةٍ[٢]؛ لأنّها وسيلةٌ مقربةٌ إليه يُحبّها، ويُحبّ مَن يحبّها[٣].

الثاني: ومنها: حُسن وقعها في الآذان بمجرّد سماعها، وقوّة أثرها على القلب؛ فبها يتعرّف على عظمة الله تعالى وجلاله، تلك العظمة الموصلة إلى توحيده[٤]، قال ابن القيم رحمه الله [١]:

---

[١] انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد بن عاشور (٩/ ١٨٦).

[٢] وقد اختلف العلماء في التفضيل بين دعاء العبادة ودعاء المسألة، "قدَّم بعضهم دعاء المسألة، وقدَّم الآخرون دعاء العبادة، والقضية بين نوعي الدعاء قضية تكامل يتكامل كل نوع مع الآخر في تحقيق توحيد العبودية، لأن العبودية أو الإيمان تحقيقها يكون بالقلب واللسان والجوارح، وأحكام العبودية موجهة إلى كل منها، فدعاء المسألة غالبًا ما يكون بقول اللسان، ودعاء العبادة غالبًا ما يكون بالجنان والأركان"، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، محمود عبد الرازق الرضواني، (٣٢٤).

[٣] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٥٠٢).

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي (٧/٣٢٦).

"فإنّه سبحانه يستدلّ بأسمائه على توحيده ونفي الشرك عنه، ولو كانت أسماءً لا معنى لها لم تدلّ على ذلك، كقول هارون لعبدة العجل: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [طه: ٩٠]، وقوله سبحانه في القصة: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾ [طه: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله سبحانه في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣]، فسبَّح ونَزه نفسَه عن شرك المشركين به عقب تمدّحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيده، واستحالة إثبات شريك له"(٢).

لكن هذه الهداية إلى التوحيد لا تكون لكلِّ أحدٍ، إنّما هي خاصّة بأصحاب العقول الصحيحة والفطر السليمة، فإنّ الفطرة وإن لم تكن تستقلّ بالتشريع والأمر والنهي إلّا أنه بها يعرف الحقّ بعمومه، ثمّ تأتي نصوص الشرع مبتدئةً بالتشريع، ومتمِّمَةً لما عرف من الحقّ بالفطرة، مفصّلة له(٣)، وماعدا أولئك لا يمكنهم بلوغ ذلك؛ لما عندهم من موانع معرفة الحقّ.

الثالث: ومن معاني الحُسن في أسماء الله تعالى، كونها مشتملةً على ما يمجد الله به ويعظم، فالأسماء المحتملة للمدح والذمّ غيرُ داخلةٍ في الأسماء الحسنى وذلك لاحتمالها للسوء المنافي للحسن، و" كلُّ ما يُنزَّه سبحانه عنه من العيوب والنقائص فهو داخلٌ فيما نزَّه نفسَه عنه، وفيما يسبّح به ويقدّس ويحمد ويمجّد، وداخلٌ في معاني أسمائه الحسنى، وبذلك كانت حسنى أي أحسن من غيرها، فهي أفعلُ تفضيلٍ مُعرَّفةٌ باللام: أي لا أحسن منها بوجهٍ من

=

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية، الفقيه الأصولي النحوي، ولد سنة ٦٩١ هـ، أخذ عن: ابن تيمية والشهاب النابلسي، من طلابه ابن رجب الحنبلي وبرهان الدين الزرعي، من تصانيفه: الطرق الحكمية وشرح أسماء الكتاب العزيز، توفي عام ٧٥١ ç، انظر: ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن رجب (١٧٠/٥).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (ص:١٧٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٤٥/٤).

الوجوه، بل لها الحسن الكامل التامّ المطلق، وأسماؤه الحسنى وآياته البينات متضمّنةٌ لذلك، ناطقةٌ به صريحةٌ فيه، وإنْ ألحد فيها الملحدون وزاغ عنها الزائغون"(١).

وحُسْن أسماء الله تعالى لا يساميه فيها أحدٌ؛ كونها "متضمّنة لصفاتٍ كاملةٍ لا نقَص فيها بوجهٍ من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا، مثال ذلك: (الحيّ) اسمٌ من أسماء الله تعالى، متضمّنٌ للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدمٍ ولا يلحقها زوالٌ، الحياةُ المستلزمةُ لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها"(٢)، فهي جامعةٌ بين كمال المعنى المتضمّن للكمال المطلق الذي لا نقصَ فيه، وجمال اللفظ وفصاحته، متميّزةٌ عن غيرها بذلك(٣)، فلذلك لا يدخل في أسمائه إلّا ما كان مشتملًا على مدحٍ محضٍ، وما عداه ممّا يحتمل المدح والذمّ لا يدخل ضمن أسمائه البتّة.

الرابع: منه أيضًا أنّ الشرّ غيرُ داخلٍ فيها، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «.....والشر ليس إليك» (٤)؛ لأنّها مشتقّةٌ من أفعاله وأوصافه التي لا شرّ فيها بوجهٍ من الوجوه، فالشرُّ ليس إليه سبحانه في شيءٍ، إنّما يُذكر الشرُّ بأحدِ أوجه ثلاثة:

إمّا أنْ يدخل في العموم، كقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، فالله الخالق لكلِّ شيء، وهو الخالق للإنسان وأفعاله وأقواله.

وإمّا أن ينسب الشرّ إلى مفعولاته البائنة المنفصلة عنه لا إلى فِعْله الذي فَعَله، وفرق بين الفعل والمفعول، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢].

وإمّا مع حذف الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم، (١٤٤٣/٤).

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين (ص: ٦).

(٣) انظر: اختصاص الله بالأسماء الحسنى، سالم القرني (ص: ٢٤-٢٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (١٨٥/٢)، رقم ٧٧١.

رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ [الجن: ١٠][(١)].

الخامس: وممّا يذكر في وجه حُسْن أسماء الله تعالى: دلالتُها على أعظم وأشرف وأقدس مسمًّى وهو الله تعالى[(٢)].

بعد إخبار الله تعالى عن نفسه أنّ له أسماءً؛ نلحظ أنّه تعالى عبَّر عن وصفها بكلمةِ (حسنى) التي هي جمع الأحسن دون كلمة (حسن)، إشارةً إلى أنّ أسماءه أحسن الأسماء، وكم بين الحَسَن والأحسن من التفاوت العظيم عقلًا وشرعًا ولغةً وعرفًا[(٣)]، ففي اللغة مثلًا يُعلم "أنّ الحَسَنَ من صفات الألفاظ ومن صفات المعاني، فكلُّ لفظٍ له معنيان: حَسَنٌ وأحسنُ، فالمراد الأحسن منهما حتى يصحّ جمعه على حُسنى، ولا يُفسّر بالحسن منهما إلّا الأحسنُ لهذا الوجه"[(٤)].

ولم يكن المراد في الآية أنّ الحسن في أسماء الله متوافقٌ ومتّسقٌ مع أفهام البشر كلِّهم، بل الحسن وصفٌ ذاتيٌّ للشيء الحسن، فإذا نظرنا إلى الأسماء الحسنى في حالة إفرادها نجد فيها الحسن ظاهرًا متجلّيًا، وكذلك هو الحال في حالة تركيبها وازدواجها يزداد الحسن حسنًا، فأسماؤُه تبارك وتقدّس حسنةٌ في الحالين[(٥)].

إذًا الحسن في الأسماء الحُسنى متعدّد الجهات، وما من اسمٍ من أسمائه تعالى الواردة في نصوص الشرع إلّا وفيها حسن، والربُّ تعالى ليس له من الأسماء إلا ما كان كذلك[(٦)].

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن القيم (١/ ٦٦٧)؛ وله: بدائع الفوائد، (١/١٨٠).

(٢) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان (ص: ٢٦).

(٣) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن الوزير اليماني (٧/٢٢٨).

(٤) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن الوزير اليماني (ص: ١٦٦).

(٥) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم، (١/١٦١)؛ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين ،(ص:٧).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/١٤٢-١٤٣).

خامسًا: أسماء الله الحسنى محكمة[1] المعنى

إنّ نصوص هذه الأسماء الحسنى محكمة المعاني؛ لتعلّقها بأصل الأصول وهو معرفة الله جلّ وعزّ؛ إذْ لا يُتصور كونها من المتشابهات[2]، بل هي من أحكم النصوص وأبينها، يفهمها كلٌّ من سمعها ممّن يُجيد اللغة العربية[3].

دليل ذلك أنّ الله تعالى أمرنا بتدبّر القرآن وتفهّمه، وكيف يأمرنا تعالى بفهم ما هو مبهمٌ غيرُ معلومِ المعنى، ولم يُذكر عن واحدٍ من الصحابة والتابعين الامتناعُ عن تفسير آية القرآن الكريم -ومنها آيات الأسماء والصفات- بحجّة أنّها من المتشابه الذي لا يَعرف معناه أحدٌ، بل قالوا هي كلماتٌ لها معانٍ صحيحةٌ مفهومةٌ تحمل عليها بدون ميلٍ ولا إلحاد[4]، حتى إنّ بعضهم أنكر على من زعم أنّ معاني الصفات غير معلومةٍ عنده[5].

فمن سمع اسم (الرحيم) فَهِم منه معنًى غيرَ المعنى الذي يَفهمه من اسم (الكريم) مثلًا، ولما سمع أحد الأعراب قارئًا يقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾ [المائدة: ٣٨] فختمها باسمي الغفور الرحيم؛ أنكر كون هذا من كلام الله، فلمّا عاد وختمها باسمي العزيز الحكيم قال: صدقت، عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[6].

---

(١) المحكم: "ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها." التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح آل مهدي (١/ ١٨٥)

(٢) والمراد هنا التشابه الخاص وهو: " مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو، أو هو مثله، وليس كذلك"، المصدر السابق (١/٢١٣)

(٣) انظر: أسماء الله الحسنى، عبد الله الغصن (ص: ٧٨).

(٤) انظر: الإكليل في المتشابه والتأويل، أحمد بن تيمية (٣٤/٢٣).

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية (٤٢١/٦).

(٦) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن القيم (ص: ١٧٢).

وإنْ خفي شيءٌ من معانيها على البعض، فهو من المتشابه النسبيّ[١] الذي يجب إرجاعه إلى أولي العلم، فيبيّنوه للناس حتى يعود واضحًا جليًّا لا لَبْس فيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

هكذا علمنا أنّ معاني أسماء الله وصفاته تعالى مفهومةٌ مدركةٌ، أمّا حقيقة الصفات وما هي عليه من الكيفيّة فهو ممّا استأثر الله بعلمه، فلا يَعلم كنهَها أحدٌ سواه[٢].

---

(١) "يكون من الأمور النسبية الإضافية، بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه"، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح آل مهدي (١/ ٢١٣)

(٢) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن (٢/٤٨٩).

سادسًا: التفاضل بين الأسماء الحسنى

القول بتفاضل الأسماء الحسنى مبنيٌّ على القول بتفاضل كلام الله تعالى لأنّها منه، وليس القصد أنّ في كلام الله مفضولًا وفاضلًا، ولا أنّه يتفاضل من جهة نسبته إلى الله تعالى، بل المراد أنها متفاضلة فيما بينها بحسب ما تدل عليه من معاني وما تشمله من دلالات(١).

وأدلّة هذا كثيرةٌ موجودةٌ في نصوص الكتاب والسنّة، منها:

الأدلّة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وفي الآية تفضيل القرآن العظيم على غيره من الكتب، وجعله الله حاكمًا ومهيمنًا على الكتب السماوية السابقة وهي من كلام الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨]، "أظهر الأقوال في الآية الكريمة: أنّ المراد بالقول ما جاء به النبيّ ﷺ من وحي الكتاب والسنّة، ومن إطلاق القول على القرآن قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] الآية. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٣-١٤]. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨] أي: يقدمون الأحسن، الذي هو أشدّ حسنًا، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن، ويقدّمون الأحسن مطلقًا على الحسن"(٢)، وهذا دليل على فضل بعض القرآن على بعض.

الأدلّة من السنّة:

وقد جاءت أحاديث في ذلك، منها:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢١٢/١٧)؛ أسماء الله الحسنى، عبد الله الغصن (ص:٨٥).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (٣٥٦/٦).

عن أبي سعيد بن المعلى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(1) قال: كنت أصلّي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أُجبْه، فقلت: يا رسول الله، إنّي كنت أصلّي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثمّ قال لي: لأعلمَنَّك سورةً هي أعظمُ السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد، ثمّ أخذ بيدي، فلمّا أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمَنَّك سورةً هي أعظمُ سورةٍ في القرآن، قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]. هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»(2).

وعن أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟، قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر، أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟، قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليَهْنِكَ العلم، أبا المنذر»(3).

وعن أسماء بنت يزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنّ النبي ﷺ قال: «اسمُ الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ١-٢]»(4).

---

(1) "الحارث بن نفيع بن المعلى... روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين، توفي سنة أربع وسبعين، وهو ابن أربع وستين سنة" الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر (٤/ ١٦٧٠)؛ أسد الغابة، علي بن الأثير (١/ ٦٣٩)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الفاتحة، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، (٦/١٧)، ورقم ٤٤٧٤.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (٢/١٩٩)، رقم ٨١٠.

(4) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ، (٥/٤٦٥)، برقم ٨٢٣؛ وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء (١/٥٥٥)، برقم ١٤٩١؛ وابن ماجه في سننه، أبواب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (٥/٢٤)، برقم ٣٩٦٨، وقال عنه الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٢٢٩).

بالنظر إلى الأدلّة السابقة يتّضح لنا أنّه ليس فيها ما يدلّ على غير ذلك، أنّ كلام الله متفاضل، والوجه الذي يُحمل عليه ذلك التفاضل هو المعنى المتضمّن لتلك الألفاظ القرآنيّة، فالآياتُ التي "فيها الثناء على الله بما هو أهله، وما يستحقّ من الحمد الذي هو له حقيقةً لا لغيره؛ لأنّ كلَّ نعمةٍ وخيرٍ فمنه لا من سواه، فهو الخالق الرازق، ولا مانع لما أَعطى، ولا مُعطي لما منع، وهو المحمود على ذلك، وإنْ حُمِدَ غيرُه فإليه يعود الحمد.... وفيها التعظيم له، وأنّه ربّ العالم أجمع، ومالك الدنيا والآخرة، وهو المعبود المستعان"(١)، كما في الفاتحة وآية الكرسي والآيات المشتملة على أسماء الله وصفاته، فالفضل فيها من جهة المتكلّم فيه(٢).

وهذا "قول جماهير المسلمين من السلف والخلف أهل السنّة وأهل البدعة، أمّا السلف – كالصحابة والتابعين لهم بإحسان – فلم يُعرف لهم في هذا الأصل تنازعٌ، بل الآثار متواترةٌ عنهم به، واشتهر القولُ بإنكار تفاضله بعد المائتين لَمّا أظهرتِ الجهميّةُ(٣) القولَ بأنّ القرآن مخلوق، واتّفق أئمة السنة وجماهير الأمّة على إنكار ذلك وردّه عليهم"(٤).

استنادًا إلى ما سبق فأسماء الله تعالى وصفاته كذلك متفاضلةً كما دلّت على ذلك الأدلّة(٥)،

ممّا يُعلم به تفاضلُ الأسماء الحسنى معرفةُ أقسامها، فإنّ "ما يجري صفةً أو خبرًا على الربّ ﷻ أقسامٌ: أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك: ذات، وموجود، وشيء. الثاني: ما يرجع إلى صفات معنويّة: كالعليم، والقدير، والسميع. الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو:

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، يوسف بن عبد البر، (١٨٦/٤).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣١/١).

(٣) مدرسة أتباع جهم بن صفوان الذي قتل في آخر أيام الدولة الأموية، ظهرت في القرن الثاني الهجري، انفردت بالقول: بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي الأشعري (ص: ٢٧٩)؛ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (١٩٩/١).

(٤) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٣/١٧)، (٥٢/١٧-٥٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٧٩/١٧)، (٢١٢/١٧).

الخالق، والرزاق. الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولا بُدّ من تضمّنه ثبوتاً إذ لا كمال في العدم المحض: كالقدوس، والسلام. الخامس: ولم يذكره أكثرُ الناس وهو الاسمُ الدالُّ على جملة أوصافٍ عديدةٍ لا تختصّ بصفةٍ معيّنةٍ، بل هو دالٌّ على معناه لا على معنى مفردٍ نحو: المجيد، العظيم، الصمد"(١).

هذا من المعاني التي يُفسّر بها التفاضلُ بين الأسماء الحسنى كون بعضها غيرَ مختصٍّ بصفةٍ واحدةٍ معيّنةٍ، إنّما تكون مشتملةً على جملةٍ من صفات الكمال والجلال والجمال، نحو: المجيد، العظيم، الصمد.

---

(١) بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١/١٥٩-١٦٠)؛ فقه الأسماء الحسنى عبد الرزاق البدر (ص:٤٥).

سابعًا: الإخبار عن الله تعالى بأفعاله وأوصافه المشتقّة من أسمائه

كلُّ ما صحّ اسمًا لله في النصوص الشرعيّة فإنّه يجوز الإخبارُ به عن الله تعالى صفة أو فعلًا؛ لأنها مشتقة منها، وذلك من شرعه ودينه، وهذه المسألة من المسائل المجمع عليها عند أهل السنّة والجماعة (١).

والذي أعنيه هنا: الاشتقاق الأكبر وهو التوافق في اللفظ والمعنى؛لأن أسماء الله تعالى متضمنة لصفاته، فمن اسمه تعالى (الله) نستدل على صفة الإلهية وهكذا سائر الأسماء، وليس المراد تولد الصفات عن الأسماء تولد الفرع من أصله، أو أنّها مستمدّةٌ من أصلٍ آخر، فإنّ هذا باطلٌ؛ لأنّ لازم ذلك القولُ بأنّها مخلوقة، ولم يقلْ بهذا أحدٌ من السلف (٢)، .

هذا ممّا هو متقرّر ومعلومٌ عند أهل الاختصاص، فقد "أجمع أهل اللغة -إلّا من شذّ منهم- أنّ للغة العرب قياسًا، وأنّ العرب تشتقّ بعض الكلام من بعضٍ"(٣).

فإذا ثبت الاسم لله تعالى جاز شرعًا الإخبار عن الله بالمصدر والفعل المشتقّين من ذلك الاسم، بما هو حقٌّ ثابتٌ ممّا يستحقّه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزّه عنه من العيوب والنقائص، هذا إن كان الفعل متعدّيًا، أمّا إن كان الفعل لازمًا فإنّه لا يُخبر عنه إلّا بالمصدر فقط.

ويؤيّد ابن القيم ﵀ هذا المعنى في قوله: "الاسم إذا أُطلق عليه جاز أن يُشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلًا ومصدرًا، نحو: (السميع، البصير، القدير)، يُطلق عليه منه: السمع، والبصر، والقدرة، ويُخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، علي بن حزم (١/١٠٤).

(٢) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١/٢٢-٢٣).

(٣) نقله السيوطي عن ابن فارس في المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/٢٧٤).

١]، وقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٣] "(١).

لكن ينبغي التنبّه إلى أنّ الإخبارَ عن الله تعالى ببعض أفعاله مقيّدٌ، ولا يلزم منه أن يُشتقّ له منها أسماءٌ مطلقةٌ، نحو: الماكر والمخادع والفاتن، فهي لم تُطلق عليه إلّا في أفعالٍ مخصوصةٍ معيّنةٍ لا مطلقة دائمًا، فإنّ مثله ممّا وقع فيه البعضُ، فليُحذر منه(٢).

وقد أخبر الله تعالى عن نفسه بالأفعال المشتقّة من أسمائه وبالمصادر أيضًا في القرآن الكريم، فمن إخباره عن نفسه بالمصدر بيانُه أنّ له الحكمَ، قال تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢]، استنادًا على قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: ٣٠]. وفي الإخبار بالفعل بقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، لأنّه قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

وأخبر عن نفسه بالفعل، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس: ٧٦]، وسمّى نفسه (العليم) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

ومثلُه في السنّة قولُ عائشة رضي الله عنها: (الحمدُ لله الذي وسع سمعُه الأصوات)(٣)، إخبارًا بالمصدر الذي اشتقّ من اسم السميع في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]، وأمثلته كثيرةٌ في النصوص.

بهذا يتّضح أنّ باب الإخبار أوسعُ من بابي الأسماء والصفات وأعمُّ، وباب الأسماء أخصُّ من بابي الصفات والإخبار، فأشملُ الأبواب بابُ الإخبار، وأضيقُها بابُ الأسماء(٤).

ومن أسمائه الثابتة له سبحانه والدالّة على أفعاله اسم (الفتّاح) أو (الفاتح)، فإنّه يدلّ

---

(١) بدائع الفوائد (١٦٢/١).

(٢) المصدر السابق (١٦٢/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وكان الله سميعًا بصيرًا)، (١١٧/٩)، برقم ٧٣٨٦؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (٧٣/٨) برقم ٢٧٠٤، بنحوه.

(٤) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١٦١/١)؛ معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى، محمد التميمي (ص: ٣٤)؛ فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر (ص: ٥٥-٥٦).

على أفعاله تعالى الاختياريّة التي يفعلها متى شاء، وهو من الأسماء الدالّة على فعلٍ متعدٍّ أثره إلى الخلْق، فيخبر عنه بالفعل والمصدر.



ثامنًا: الاشتراك اللفظي في الأسماء بين الله تعالى وبين خلقه

إنّ إطلاق اللفظ الواحد على الله تعالى وعلى العبد، ممّا جاءت به الآيات القرآنيّة، ويدخل بعض خلْقه معه في معنى تلك الألفاظ بإجماع المسلمين (١).

ومع ذلك فإن ممّا يُعلم من الدين بالضرورة أنّ الله تعالى منزّهٌ عن مماثلة خلقه له في أسمائه وصفاته وأفعاله، فإنّ الشّرِكَة في ذلك ممتنعةٌ محالةٌ؛ لأنّه الحميدُ في أسمائه وصفاته أنْ يشابهه فيها أحدٌ أو أنْ يشاركوه فيها.

ويُستدل على ما سبق تقريره بأدلّةٍ من الكتاب، والعقل، واللغة وهي:

أمّا أدلّة الكتاب، فهي:

أولًا: قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، دلالةُ ذلك من الآية على وجهين: "أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيءٍ، وأدخل (المثل) في الكلام توكيدًا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد... والآخر: أن يكون معناه: ليس مثلُ شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام"(٢). وعلى كلا القولين ليس أحدٌ مثلَ الله اسمًا ووصفًا.

ثانيًا: قال تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النحل: ٧٤]، أي: "فلا تمثّلوا لله الأمثال، ولا تشبّهوا له الأشباه، فإنّه لا مثْلَ له ولا شبه"(٣)، فإنّه لا

(١) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن ابن الوزير اليماني (٧٤/٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٥٠٨/٢١-٥٠٩).

(٣) المصدر السابق، (٢٥٩/١٧).

يجوز أنْ يُجعل له الأندادُ ولا الأشباهُ، لا في الصفات ولا في الأفعال (١).

أمّا أدلّة العقل فمنها:

أولًا: إنّ الخلق وإنِ اتّفقوا في بعض الأسماء فلا يلزم أن يكونوا مماثلين لبعضهم في كلّ شيءٍ، فالاتّفاق في الاسم لا يلزم منه التوافقُ في المسمّى.

وفرْقٌ بين ذات الله العليّة وذات البشر الضعيفة، ومعلومٌ أنّ الربّ العزيز ليس كالمخلوق العزيز، ولا الربُّ الملِكُ كالمخلوق الملك، فلكلٍّ منهم معنًى يخصّه، وهكذا جميع الأسماء، ومنها (الفتّاح) أو (الفاتح)، إذًا التماثلُ في الاسم المطلق لا يلزمُ منه التماثلُ عند الإضافة والتخصيص والتقييد (٢).

ثانيًا: الربُّ الكامل من كلِّ الوجوه لا يكون مشابهًا للعبد المخلوق الناقص المحتاج إلى من يكمله، فإنّ تشبيهه بالمخلوق واعتقادَ ذلك فيه تنقيصٌ له (٣).

ثالثًا: إنّ إثبات القدْر المشترك بين الخالق والخلْق غيرُ مؤدٍّ إلى منع إثبات ما هو من حقّ الله المختصّ به.

فإن قيل: يلزم من إثبات القدْر المشترك التجويزُ على الله بمثل ما يجوز على مَن أُشرك معه في الاسم.

قيل: هذا غيرُ لازمٍ، ما دام أنّه لم يحصل اشتراكٌ بين ما يخصّ الخالق وما يختصّ بالمخلوق، خاصّةً وأنّ القدْر المشترك ليس ممتنعًا، بل لا بُدّ منه؛ لأنّ القدْر المشترك مطلقٌ كلّيٌّ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤/٥٨٨).

(٢) انظر: الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية (ص:٢١).

(٣) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين (ص: ٢٦).

(١) لا يختصّ بأحدٍ دون الآخر، وإثبات هذا ليس محظورًا أصلًا(٢).

وأمّا دليل اللغة:

أولًا: الأسماء في اللغة العربية تنقسم إلى عدّة أقسام:

فمنها المترادف: وهو ما تغاير لفظه واتّحد معناه: كالليث والأسد والغضنفر، ومنها المشترك: وهو ما اتّحد لفظه وتغاير معناه: كالعين والقُرء، ومنها المتباين: وهو ما تغاير لفظه ومعناه، كالسماء والأرض، ومنها المتواطئ: وهو ما اتّفق لفظه ومعناه(٣)، وهو ضربان:

- المطلق: وهو ما كان المعنى فيه متساويًا بين الجميع.
- المشكّك: وهو ما تفاضل فيه المعنى وتفاوت، وسمّي مشككًا لتشكّك السامع فيه هل هو من قبيل المتواطئ أو المشترك(٤).

والأسماء التي تُطلق على الله تعالى وعلى الخلق من هذا النوع -المشكك- فمعناها في الربّ أتمُّ وأكمل، وعلى هذا فإنّ الألفاظ المتواطئة لها معنيان هما: معنى القدر المشترك بين الخالق والمخلوق، وهذا في حالة الإطلاق، ومعنى مختصّ بالخالق وآخر مختصّ بالمخلوق، وهذا إذا قيّدت بإضافةٍ أو تعريفٍ.

لهذا كان ظاهرُ ما أضيف للجَنَّة مغايرًا لما أُضيف للدّنيا من النّعيم وإن اتّفقت الأسماء؛ كما قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: (ليس في الدّنيا من الجنّة شيءٌ إلّا الأسماء)(٥).

ثانيًا: إنّ أفعل التفضيل -ومن صيغه كلمة خير إلّا أنّ همزته حذفت لكثرة استعماله- إذا أضيف إلى جنسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢﴾ [المؤمنون: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ [هود: ٤٥]، ونحوها من التراكيب: فالقصد أنّ الله خيرٌ من

---

(١) والمراد به: "المعنى الذي يشترك فيه كثيرون كالعلم والجهل والإنسان والحيوان، واللفظ الدال عليه يسمى مطلقا"، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، عبد الرحيم الإسنوي (٢٩٧-٢٩٨).

(٢) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن الوزير اليماني (١٥٨/٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٦١/٤-١٦٠)؛ التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح آل مهدي (٢٠٩/١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٧٧/٣)؛ وله: الرسالة التدمرية، (ص:١٣٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٩٢/١).

كلّ من تسمّى بـ (رازق)، خيرٌ من كلّ من تسمّى بـ (حاكم)(١).

إذًا الاشتراكُ في الأسماء بين الله والخلْق من الأمور الكلّيّة التي لا يمنع انفراد كلٍّ منهما بما يخصّه، إذا قيّد بإضافةٍ أو تعريفٍ، ومن ذلك اسم الله (الفتاح)، فإنه يطلق على الرب وعلى الخلق.

لكن هناك فرْقٌ بين فتح الله تعالى وفتح العبد:

ففتحه تعالى مطلقٌ وأمره نافذٌ، وفتحُ العبد مقيّدٌ، ولا يقبل إلّا إنْ كان موافقًا لفتح الله، وقد لا يحصل على حسب مراده، وفتح الله عامٌّ شامل في أمور الدنيا والآخرة.

أمّا فتح العبد خاصٌّ، فغاية ما يكون فتحه في أمر الدنيا.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي (١٦٧/٤).

تاسعًا: حكم التسمية باسمٍ من أسماء الله تعالى

تفرّع عن المبحث السابق سؤالٌ فحواه: ما حكم التسمية بأسماء الله تعالى: كالفاتح، والحاكم والكريم وغيرها؟

تحرير محلّ النّزاع: أنّ من الأسماء الحسنى ما هو مختصٌّ به سبحانه كاسمه: الله، البارئ، الخالق ونحوها، فهذه يحرُم التسمية بها(١).

أمّا الأسماء غيرُ المختصّة به فقد اختلف العلماءُ في حكم ذلك على قولين:

القول الأول: جواز ذلك، بشرط جعله عَلَمًا فقط، وعدم قصد المعنى الموجود في الاسم بما هو من خصائص الله من كمال المعنى، سواءٌ حُلّي الاسم بأل، أم لم يحلَّ، فإن لوحظ في التسمية قصدُ المعنى فحينها يُمنع من التسمّي بها(٢).

واستدلّوا على قولهم بأدلّةٍ منها:

١- وجود ذلك في القرآن، في أكثر من موضعٍ منها، قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨].

٢- تسمية الرسول بعضَ الخلْق باسمٍ من أسماء الله تعالى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ الرسول ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام»(٣).

٣- وممّا قالوه أيضًا: ثبوت أسماء عددٍ من الصحابة بهذا المعنى، ولكن لم يغيرها النبيّ ﷺ

---

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحي النووي (١٤/١٢٢)؛ تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن القيم (ص: ١٢٥).

(٢) وهذا قول الشيخ محمد بن صالح العثيمين، انظر له: شرح العقيدة السفارينية (١/١٦٦- ١٦٧)؛ المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، كاملة الكواري (١٥١- ١٥٢)؛ المسلك الرشيد شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (٢/٤٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، (٤/١٤٩)، برقم ٣٣٨٢.

لانتفاء قصد المعنى في أسمائهم(١).

وأورد أصحابُ القول الثاني على دليلهم الثاني إيرادًا فقالوا: إنّ هذه أوصافٌ وليست بأسماءٍ، والحكمُ مختصٌّ بالأسماء دون الصفات.

أجابوا عليهم: إنّ أل تفيد الاستغراق في الاسم والصفة معًا دون فرق بينهما(٢).

القول الثاني: المنع من ذلك؛ لما فيه من تحقيق التوحيد(٣)، وجعله البعض من الإلحاد في الأسماء الحسنى(٤)، والبعض جعله من أمثلة الشرك الأصغر(٥)، **وأدلّة هذا القول هي**:

١- إنّ تقدم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، مفيدٌ للحصر والقصر لهذه الأسماء عليه وحدَه تعالى، فإن كان الأمر كذلك فليس لأحدٍ مشاركتُه تعالى فيما هو من خصائصه.

٢- قياسًا على المنع من التسمية باسم (الله) إذ لا وجهَ للتفرقة بين أسماء الله تعالى(٦).

٣- واستدلّوا بالحديث الوارد عن الرسول ﷺ عن هانئ (٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إنّ الله هو الحَكم وإليه الحُكم، فَلِمَ تُكنّى: أبا الحكم؟ فقال: إنّ قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحكمتُ بينهم،

---

(١) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، كاملة الكواري (١٥١- ١٥٢)، ومن ذلك اسم الصحابي حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: المسلك الرشيد شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (٢/٤٤٣).

(٣) وهو قول الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، انظر له: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (ص: ٥٣٣).

(٤) وهو قول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، انظر: السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، (٢/٣٩٧-٣٩٨).

(٥) وهو قول الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، انظر: مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ١٢٤).

(٦) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، كاملة الكواري (ص: ١٥٢).

(٧) "هانئ بن يزيد بن نهيك.....، شهد المشاهد كلها، روى عنه: ابنه شريح .....، كان ابنه شريح من جلة التابعين، ومن كبار أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وممن شهد معه مشاهده كلها." الاستيعاب في معرفة الأصحاب، عمر بن عبد البر (٤/ ١٥٣٥)؛ وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن الأثير (٥/ ٣٥٩).

فرضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟، قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: فمن أكبرُهم؟، قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح[١]»، فقالوا: إنّ تغيير رسول الله ﷺ لكنية الصحابي رضي الله عنه دليلٌ على منع التسمّي بأسماء الله[٢].

ثمّ أجاب أصحاب القول الأول عن أدلّة هؤلاء بما يلي:

المرادُ من الآية في الدليل الأول: قصرُ كمال الحسن على أسمائه تعالى؛ لأنّ كلمة الحسنى اسمُ تفضيلٍ، جاءت نعتًا للأسماء الحسنى، وليس المرادُ قصرَ إطلاق أسمائه عليه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥]، فالمرادُ هنا هو: قصرُ كمال الغِنى والحمْدِ عليه تعالى، لا قصرُ اسمِ الغنيّ والحميدِ عليه؛ فإنّ غيرَ الله يُسمّى غنيًا وحميدًا.

وأجابوا عن الدليلُ الثاني بأن: المنع في التسمية باسم (الله)؛ كون الاسم المعيّنٌ لا يقبل التشارك فيه، فكلُّ ما كان من أسمائه في معناه من اختصاص وعدم قبول الشركة كذلك في المنع، كالخالق والبارئ، فإنّ الخالق مَن يُنشئ الشيءَ على غير مثلٍ سابق، والبارئَ مَن يُنشئ الشيء خاليًا من النقيصة، وذلك لا يكون إلّا مِن الله وحدَه فلا يُسمّى به إلّا الله تعالى. أمّا ما كان له معنًى كلّيٌّ تتفاوت فيه أفرادُه من الأسماء والصفات -كالملك، والعزيز، والجبار، والمتكبر- فيجوز تسمية غيره بها[٣]، فهذا قياسٌ مع الفارق، وهو خارج محل النزاع أصلًا.

أما الدليل الثالث فقد أجابوا عنه بقولهم: إنّ سبب تغيير الاسم هو ما كان مقصودًا عندهم من معنى الاسم، وقرينةُ ذلك أنّهم يقبلون بحكمٍ ويَرْضَوْنه دون نزاعٍ.

والراجح -والله أعلم- هو القول الأول؛ لموافقته أدلّة القرآنِ الكريم، وسنّةِ الرسول ﷺ القوليّة، وكذلك سنّتِه التقريريّة، فلو كانت التسميةُ بأسماء الله تعالى محرّمةً ما سكت النبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، (٤/٤٤٤)، برقم ٤٩٥٥؛ والنسائي في سننه، كتاب آداب القضاة، باب إذا حكموا رجلًا فقضى بينهم، (١/١٠٢٩)، برقم ٥٤٠٢، بمثله، وقال عنه الألباني مشكاة المصابيح: "إسناده جيد" (٣/١٣٤٦)، ومثله شعيب الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود (٧/٣٠٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله (ص: ٥٣٣).

(٣) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، كاملة الكواري (١٥٠-١٥٧)؛ المسلك الرشيد شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (٢/٤٤٣).

عن أسماء من تسمّى بها من الصحابة؛ لأنّ تأخير البيان عن وقت الحاجة غيرُ جائز.

إذًا هذه قضيّة عين مختصّة بحالٍ مخصوصةٍ لا يشمل حكمُها غيرَها.



عاشرًا: حكم تصغير الأسماء الحسنى

حكم هذه المسألة تبعٌ للمسألة السابقة فهي أصلها الذي بنيت عليه، وقد تكلّم العلماء في بيان حكمها وإيضاحه، وهم في ذلك على خلاف.

تحرير محلّ النزاع: إنّ تصغير الأسماء المعَبَّدة يحوي قسميها: الاسم المضاف والاسم المضاف إليه، والخلاف فيه كائنٌ في تصغير الاسم المضاف إليه، وهو أحد الأسماء الحسنى، أمّا الاسم المضاف فلم أقفْ على الخلاف في جوازه كأنْ يُقال: عبيد وعبود وعبادي ونحوه.

أمّا حكم تصغير الاسم المضاف إليه كقول: عُزيز ودُحيم؛ بدلًا عن عبد العزيز وعبد الرحمن، ففي المسألة قولان:

القول الأول: جواز ذلك وعدم الكراهة -ما لم يكن فيه من التنابز بالألقاب، النهي عنه شرعًا ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١] - فلئن جازت التسمية بالاسم مكبَّرًا فلا بأس من تصغيره، لا سيما وأنّ المقصود بالتصغير هو المسمّى، وليس ذات الاسم[١].

القول الثاني: كراهة ذلك، والمنع منه، بل حكى بعضُهم الإجماعَ على ذلك[٢]، وعلّة المنع هي: عدم وجوده عند السلف ﵏[٣]، ولما فيه من تحريفٍ لاسم الله تعالى[٤].

القول الراجح: والأقرب للصواب -والله أعلم- هو القولُ الأول لعدّة أسباب، وهي:

١- الإجماع المحكي كان في المنع من التصغير الذي يوهم التحقير والاستخفاف.

٢- تبعًا لجواز أصلها الذي بُنيت عليه، فإنْ جازت التسمية بالاسم جازت تصغيره من

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٥٤/١٨)؛ اللقاء الشهري، محمد العثيمين اللقاء: ٦٦ (١٧٠/١٦٩)؛ المعتصر شرح كتاب التوحيد، علي الخضير (ص: ٢٨٧).

[٢] نقله ابن حجر عن الجويني، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣٦٦/١٣).

[٣] وهو قول الشيخ بكر أبو زيد﵀، انظر له: معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ (ص: ٤٩٦-٥٥٦-٥٥٩).

[٤] وهو قول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، انظر له: السبك الفريد شرح كتاب التوحيد (٣٨١/٢).

بابٍ أولى، ما دام أنّ القصد بها المسّمى لا الاسم[١].

٣- وجودُه في كثيرٍ من الأحاديث والآثار، خلاف ما قاله أصحابُ القول الأول[٢]؛ فقد جاء في صحيح البخاري وسنن أبي داود شيءٌ من ذلك، وأرى أنّه لو كان فيه ملحظٌ شرعيٌّ لَمَا سكت أحدٌ منهم عليه[٣].

---

[١] انظر: المعتصر شرح كتاب التوحيد، علي الخضير (ص: ٢٨٧).

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٥٤/١٨)؛ فتاوى إسلامية، مجوعة من العلماء (٤٠٣/٤).

[٣] انظر: صحيح البخاري (٦٥/٥)، سنن أبي داود (١٦٥/١)، فقد كان شيخهم عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي.

الفصل الأول: اسم الله الفتّاح، معناه، وموارد استعماله، ودلالاته في القرآن والسنة، وخصائص الفتح الشرعي، وأسبابه، وموانعه.

المبحث الأول: معنى الفتح في اللغة، والاصطلاح، ومعناه اللائق بالله تعالى

المبحث الثاني: موارد وروده في الكتاب والسنّة

المبحث الثالث: دلالة وروده في القرآن والسنة

المبحث الرابع: خصائص الفتح الشرعي، وأسبابه، وموانعه

المبحث الأول:
معنى الفتح في اللغة ،والاصطلاح ،
ومعناه اللائق بالله تعالى

المطلب الأول:
معنى الفتح في اللغة

بعد الاطلاع على كتب المعاجم اللغويّة، وجدتُ أنّ لكلمة الفتاح أصلًا واحدًا، ويتبعه عدّة معاني في اللغة.

ف (الفتّاح) صيغةُ مبالغةٍ من الفتح، ومادة " **(فتح) الفاء والتاء والحاء أصلٌ صحيحٌ، يدلّ على خلاف الإغلاق،** يقال: فتحت الباب وغيره فتحًا، ثمّ يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء"(١).

أما المعاني التي تحمل على ذلك الأصل سبعة هي:

المعنى الأول: القضاء: وذلك في لغة أهل اليمن وعُمان، فهم إنْ كانت بينهم خصومةٌ يقول أحدهم لصاحبه: تعال حتى أفاتحك إلى الفتّاح، أي القاضي(٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما كنت أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، حتى سمعت ابنة ذي يزن(٣) تقول: تعال أفاتِحْك، تعني: أقاضيك(٤).

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤/٤٦٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري، (٤/٢٥٩)؛ لسان العرب، محمد بن منظور (٢/٥٣٧-٥٣٨).

(٣) لم أجد ترجمة لها فيما اطلعت عليه من المصادر والمراجع.

(٤) نقله الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (١٢/٥٦٤)؛ وانظر: تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن ابن أبي حاتم (٥/١٥٢٣)، ولفظه: أخاصمك.

المعنى الثاني: الحُكم: فإنّ "الفتح: أنْ تحكم بين قومٍ يختصمون إليك"[(١)]، ويقال: "وفتح الحاكم بينهم، وما أحسن فتاحته أي: حكومته"[(٢)]، وممّا يُروى أنّ نساء العرب إنْ حصل بين الواحدة منهنّ وبين زوجها شيءٌ من الخلاف قالت له: بيني وبينك الفتّاح، تريد: الحاكم[(٣)].

قال الشاعر[(٤)]:

ألا أبلغ بني عوف رسولًا ... بأنّي عن فتاحتكم غني [(٥)]

يعني: حكمكم.

وقد جعل بعض العلماء الفتحَ والقضاء من المترادف اللفظي، ولم يفرّق بينهما[(٦)].

قلت: لكن التحقيق هو تمييز كلّ كلمةٍ منهما عن الأخرى؛ اعتبارًا بأصلهما، فمعنى القضاء: إنهاءُ الخصومة وقطعها؛ لأنّ الأصل في الكلمة الفصلُ بتمام الأمر، وأمّا الحكم: فيعني منع ابتداء الخصومة؛ لأنّ الأصل فيها المنع[(٧)].

أمرٌ آخرُ يميّزُ بينهما: وهو انفراد كلمة (الحكْم) بجواز استعمالاها في موارد لا يصحّ استعمال كلمة (القضاء) فيها نحو قول: إنّ الحكم في هذه المسألة كالحكم في هذه؛ لاتّفاقهما

---

(١) تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٢٥٧/٤)؛ وانظر: جمهرة اللغة، محمد بن دريد (٣٨٦/١)؛ المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٢٧٧/٣)؛ لسان العرب، محمد بن منظور (٥٣٨/٢-٥٣٩).

(٢) أساس البلاغة، محمود الزمخشري (٤/٢).

(٣) انظر: غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلّام (٢٤٨/١)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن الأثير (٤٠٦/٣).

(٤) هو الأسعر الجعفي، مرثد بن أبي عمران الجعفي، شاعر جاهلي، الحيوان (٤٣٨/٧)، وسمِّي بذلك لقوله:

فلا تدعني الاقوام من آل مالك = إذا أنا لم أسعر عليهم وأثقب

انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، محمد الجوهري، (٦٨٥/٢).

(٥) إصلاح المنطق، يعقوب بن السكيت، (ص: ٨٨)؛ وانظر: جمهرة اللغة، محمد بن دريد (٣٨٦/١)، ولفظه:

أَلَا أبلغ بني بكر بن عبد = بِأَنِّي عَن فتاحتكم غَنِي

(٦) انظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٢٥٩/٤).

(٧) انظر: الفروق اللغوية، الحسن العسكري (ص: ١٩٠)؛ الكليات، أيوب الكفوي (ص٧٠٥).

في العلّة، إذ لا يصحّ إيرادُ كلمة القضاء في مثل ذلك[١].

فالقضاء فتح لما أغلق من وجوه الحق بين المتخاصمين، وإنهاء لها، والحكم فتح بمنع ابتداءها أصلًا.

المعنى الثالث: النصر والاظفار: يقال: "استفتح الله على فلان أي: سأله النصر عليه، والفتاحة: النصرة"[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، أي: إنْ تسألوا الله النصرَ على عدوّكم فقد جاءكم النصر[٣].

المعنى الرابع: "افتتاح دار الحرب"[٤]، سواءٌ كان عَنْوةً أو صلحًا؛ ولذلك سمّى الله تعالى صلْحَ الحديبية فتحًا[٥].

وعلى هذين المعنيين الأخيرين: النصر، وافتتاح أرض العدو، فهو فتح لما أغلق من التمكن من العدو، والاستيلاء على أرضهم.

المعنى الخامس: الابتداء، إذ إنّ "كلّ ما بدأتُ به فقد استفتَحْتُه"[٦]، ويقال للريح الشديدة: الفتحي؛ لأنّها بُشرى بالمطر، ويقال لأوّل المطر الوسميّ: الفَتح؛ لابتداء موسم المطر

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، الحسن العسكري (ص: ١٩٠). .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٢٧٧/٣)؛ وانظر: العين الخليل بن أحمد (١٩٤/٣)؛ تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٢٥٧/٤)؛ أساس البلاغة، محمود الزمخشري (٤/٢)؛ لسان العرب، محمد بن منظور (٥٣٧/٢).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤٦٩/٤-٤٧٠).

(٤) العين، الخليل بن أحمد (١٩٤/٣)؛ وانظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٢٥٧/٤)؛ المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٢٧٧/٣).

(٥) "بضمّ الأول، وتشدّد ياؤها وتخفّف، وتقع الآن على مسافة اثنين وعشرين كيلًا غرب مكة على طريق جدة، ولا زال يُعرف بهذا الاسم". المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب (ص: ٩٧)؛ وانظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (٢٢٩/٢).

(٦) جمهرة اللغة، محمد بن دريد (٣٨٦/١).

به[١].

وعلى هذا المعنى فالمراد: الفتح لما كان مغلقًا، وإتيان بما لم يوجد من قبل.

المعنى السادس: " **الماء المفتح إلى الأرض**؛ لتستقي به، والفتح: الماء الجاري على وجه الأرض... والمفتح: قناة الماء"[٢].

المعنى السابع: الخزائن والكنوز، وبه فسّر قومٌ قولَه تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ [القصص: ٧٦]، وقيل: بل المرادُ المفاتيح التي تُفتح بها تلك الكنوز، يُقال: مَفتَح ومَفتِح، فإن كان ممّا يُعتمل به كالمفتاح الذي يُفتح به البابُ فهو المكسور، وحينها يُجمع على مفاتِح ومفاتيح، وإن لم يكن منه فهو المفتوح ويجمع على مفاتِح فقط[٣].

وعلى القول الثاني، فالمراد: فتح للخزائن والكنوز المغلقة.

هذا ما يتعلّق بأصل كلمة الفتح في اللغة أنه: ضد الإغلاق، والمعاني السبعة التي بُنيت على ذلك الأصل وهي: القضاء، الحكم، النصر والاظفار، افتتاح دار الحرب، الابتداء، الماء المفتح إلى الأرض، الخزائن والكنوز.



---

(١) انظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٤/٢٥٩).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٣/٢٧٧)؛ وانظر: لسان العرب، محمد بن منظور (٢/٥٣٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٤/٢٥٨)؛ المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٣/٢٧٦)؛ لسان العرب، محمد بن منظور (٢/٥٣٧).

المطلب الثاني:
معنى (الفتح) في الاصطلاح

عند إطلاق كلمة (الفتح) فإنّ المتبادر للذهن هو الاتّساع والانبساط، سواءٌ كان مرئيًّا بالعين، أو ممّا يُحسُّ ويُشعر به، **فإن كان متعلّق (الفتح) عمومَ ما يُرى في الوجود والكون؛** فإنّ الفتح هو: "توسعة الضيق حسًّا ومعنًى"[١]، **وإن كان متعلّقه الإنسان خاصّةً،** وكيفيّة حصوله له فيقال: إنّ الفتح على ضربين:

الأول: الحسّيّ: ما يُرى بالبصر كفتح الباب والقفل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٥].

الثاني: المعنويّ: ما يُعلم بالبصيرة كتجلية ما خفي من العلوم، وذلك نحو قولك: فلانٌ فتح من العلم بابًا مُغلقًا، ويكون الفتح المعنويّ أيضًا بالفرح المزيل للغمّ، أو الغنى المذهب للفقر، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤][٢].

بعد النظر في أقوال العلماء عن معنى (الفتح) اصطلاحًا نلحظُ عدمَ تغير معناه وإن تغير متعلّقه، فالمعنيان متّحدان، والمراد فيهما واحدٌ وهو: أنّ الفتح حسيٌّ ومعنويٌّ.

والمعنى الذي أرتضيه للفتح اصطلاحًا هو: السعة في الضيق والفسحة في المنحصر المنقبض، سواء كان سبيله الحس أو المعنى.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المناوي (ص: ٥٤٩).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين الأصفهاني (ص: ٦٢١).

المطلب الثالث:
معنى اسم (الفتّاح) في حقّ الله تعالى

يأتي هذا المطلب خلافًا لسابقه الذي كان مَعنيًّا بإيضاح معنى الفتح العامّ في الاصطلاح، أمّا هذا فإنّه مخصّصٌ لإيضاح معناه بشكلٍ خاصٍّ، وهو: إيضاحُ معناه في حقّ الله تعالى.

إنّ من أولى الأمور التي ينبغي على المسلم معرفتُها، بل هو أصل الدين الأصيل، وركنه القويم هو: فَهْمُ معاني أسماء الله تعالى ومدلولاتِها على المعنى اللائق به، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائةً إلّا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة»(١).

"مراتب إحصاء أسمائه التي مَن أحصاها دخل الجنّة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح: المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها، المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها، المرتبة الثالثة: دعاؤه بها"(٢)،فإحصاء أسماء الله تعالى الحسنى شامل لكلّ ما ذكر من إحصاءٍ نظريٍّ: بالعلم بها ومعرفة أدلّتها، وإحصاءٍ فقهيٍّ: بفهم ما دلّت عليه من معانٍ واشتملت عليه من مغازٍ، وإحصاءٍ عملي: بالتعبّد بها ودعاء الله بها، سواءٌ كان دعاءَ عبادةٍ أو دعاءَ مسألةٍ(٣).

ولئن كان ذلك الفهم أحدَ معاني الإحصاء فإنّ سلفنا الصالح قد عنوا ببيان ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار (١٩٨/٣)، برقم ٢٧٣٦؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، (٦٣/٨)، رقم ٢٦٧٧.

(٢) بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١٦٤/١).

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الحسنى، محمد التميمي (ص: ٣٦٩).

وحرصوا على إعلام الأمّة به؛ ليكون العلم بمعاني أسماء الربّ تعالى عقيدةً قلبيّةً ومنهجًا سلوكيًّا، وانبرى لذلك الأمر ثلّةٌ من أهل العلم الأجلّاء تصنيفًا وشرحًا نظمًا ونثرًا، ولعلّي في هذا المطلب من البحث أن أنقل أقوالَهم وشرحَهم لمعنى اسم الله (الفتّاح).

فبعد قراءتي لِمَا جاء في كتب السلف الصالح من معاني اسم الله (الفتّاح) اللائقة به تعالى وجدتها تُشير إلى مدلولات متعدّدة، وقد بلغ ما جمعته منها تسع معانٍ هي:

المعنى الأول: القاضي: فالله يفتح بيننا بالحقّ، أي "يقضي بيننا بالعدل، فيتبيّن عند ذلك المهتدي منّا من الضالّ (وهو الفتاح العليم)، يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنّه لا تخفى عنه خافية، ولا يحتاج إلى شهودٍ تُعرِّفُه المحقَّ من المبطل"(١).

فهو سبحانه يقضي بين الرسل وأتباعهم وبين معارضيهم وأعدائهم في الدنيا والآخرة، فيجزي هؤلاء بنارٍ تلظّى، ويكرم أولئك بالجنة نعم المثوى(٢).

المعنى الثاني: الحاكم: فهو تعالى " الفتّاح العليم؛ أي الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور"(٣)، والله الفتاح هو الحاكم بين الحقّ والباطل، فهو مظهرٌ الحقّ ومشهره، ودامغ الحقّ ومزهقه، وناصر أتباع الحقّ ومعينهم، وخاذل أتباع الباطل ومهينهم(٤).

المعنى الثالث: الناصر: فإن المراد في قوله تعالى: فإن كان لكم فتحٌ أي: "نصر وتأييد وظفر وغنيمة"(٥).

فالله الفتّاح: يُمُدُّ أهلَ الإيمان بأسباب النصر ويهيّئها لهم، وإن كانت منهم بعيدةً، ويمنع

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٠/٤٠٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن، منصور السمعاني (٢/١٩٩)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٣/٦٠٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير (٦/٥١٧)؛ وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٢/٥٦٣)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٦٨٠).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم الزجاج (ص: ٣٩)؛ اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن الزجاجي (ص: ١٨٩)؛ تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٤/٢٥٧)؛ المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٣/٢٧٧)؛ تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢٢٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٢/٤٣٦).

الكافرين أسباب النصر، وإن كانت بين أيديهم قريبةً، فيحرمهم الوصول إليها، وإنْ وصلوا إليها حال بينهم وبين الأخذ بها، فهو الذي إليه يركن المؤمنون في نيل أسباب النصّر، وعليه يتوكّلون في إخذال الكافرين وإخفاضهم(١).

المعنى الرابع: الفتح بين الحقّ والباطل، فالله تعالى أوضح الحقّ وبيّنه، وأدحض الباطل وأبطله فهو الفتّاح"(٢).

المعنى الخامس: فتح القلوب والبصائر، فهو سبحانه "يفتح لمن اختصّهم بلطفه وعنايته أقفالَ القلوب ويُدِرُّ عليها من المعارف الربّانيّة والحقائق الإيمانيّة ما يُصلح أحوالهم وتستقيم به على الصراط المستقيم، وأخصّ من ذلك أنَّه يفتح لأرباب محبّته والإقبال عليه علومًا ربّانيّة، وأحوالًا روحانيّة، وأنوارًا ساطعة، وفهومًا وأذواقًا صادقة"(٣).

كما فتح الله (الفتّاح) قلوبَ عباده المتّقين، فإنّه فتح بكرمه بصائرهم وألهمهم معارفَ ربانيّةً وعلومًا إلاهيّةً، فإن استغلقتْ عليهم العلوم وحارتْ في معرفتها العقول بلغهم الله معرفتها وحَلَّ ما تعقَّد منها، لأنّهم أحسنوا النيّة فجازاهم الكريم بالإحسان إحساناً(٤).

وهذا هو الفرقان الذي يجعله الله تعالى في قلوب المتّقين، يفصلون به بين الحقّ والباطل والهدى والضلال، فتكون أقوالهم وأعمالهم موافقةً للحكمة بما فتح الله عليهم من فتوحه الربانيّة(٥).

ثمّ يفتح بعد ذلك الله تعالى للمؤمنين مسامعَ خلْقه؛ ليدعوهم إلى الله ويعلّموهم الدين

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١٢٤/٢)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢٩٧).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص: ٣٩).

(٣) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٣٥).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢٢٠).

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٨٧/١٣)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٢٨٦/٢).

فيكونوا سببًا لفتح قلوبهم، وتنوير بصائرهم، وسلوكهم سبيل المؤمنين، ودخولهم في زمرة عباد الله الصالحين(١).

لما كان هذا الفتحُ من الله بشرح الصدر من أهمّ الأمور الموصلة للحقّ؛ كان من دعاء الأنبياء عليهم السلام، فهذا نبيّ الله موسى عليه السلام يسأل الله ويدعوه قائلًا: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾ [طه: ٢٥]، أمّا خير خلق الله وأفضلهم رسول الله ﷺ فقد أُوتيها من غير سؤال ﷺ لِمَا له من منزلةٍ عند الله، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١﴾ [الشرح: ١].

المعنى السادس: تسهيل الطاعات، وعمل القربات، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧].

فهم لما آمنوا بالكتاب كلّه محكمه ومتشابه وردّوا ما تشابه منه للمحكم، ولم يضربوا كتاب الله بعضه ببعض، بأنْ يؤمنوا ببعضه ويكفروا ببعضٍ كما فعل أهلُ الكتاب من قبل هداهم الله تعالى للحقّ.

فكان من ثمار ذلك أنّهم اهتدوا لطاعته، وعرفوا الطرق الموصلة إلى بارئهم، حتى عمرت قلوبهم بمحبّته فاستنارت وأضاءت(٢)، فسهلت عليهم الطاعات حتى وجدوا حلاوةَ الإيمان في قلوبهم فعلموا ثمّ عملوا ولم يكونوا كالذين مِن قبلهم من اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضلال.

المعنى السابع: الفتح على عباده بالحكم الشرعي على ألسنة أنبيائه ورسله وبما في كتبه

---

(١) وهذا السرّ فيما نلاحظه من ترديد أولئك في تقريرهم المسائل بأنّها ممّا فتح بها عليه الله الفتّاح وأعانه عليه، وجعل عنوان مؤلّفاتهم بأنّها من فتح الله عليهم نحو: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وأمثالها من المؤلفات.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢٢٠-٢٢١)؛ وله أيضًا: توضيح الكافية توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، (ص: ٢٠٠).

المنزلة عليهم، فيُثيب مَنِ اتّبع أمره أحسنَ الجزاء ويُعاقب مَن خالف الأمر وعصاه[١].

المعنى الثامن: الذي يفتح لعباده أبواب الرحمة والفضل والرزق[٢]، فيفتح على عباده المؤمنين في أرزاقهم، وفي أسباب عيشهم، ويخصّ بذلك المتوكّلين فيعطيهم فوقَ سؤلهم، وييسّر عليهم ما تعسّر من أمرهم، فإذا بالأبواب الموصدة دونهم الحائلة بينهم وبين رحمته قد فُتحت، وهُيِّئت لعباده أسبابُ نيل فضله وكرمه، وإذا بالطرائقِ المسدودة قد فرجت والسبلِ المهجورة قد سلكت ليتوصّلوا بها إلى منافعهم الدنيويّة والأخروية.

فمن ضاقت عليه دنياه وافتقر فليطرق باب (الفتّاح) ليفتح له خزائنَ فضله ورزقه، فإنّه يفتح لعباده المؤمنين الذين عرفوا الإيمان وحقّقوه، وعبدوا الله ووحّدوه من أبواب فضله ورزقه وبرّه ما لم يكن في الحسبان أو يخطر على بال.

وفي الأثر عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: (ومن يأت بابًا مغلقًا يجد إلى جنبه بابًا فتحًا)[٣]، فالقصد هنا الحثّ على دوام سؤال اللهِ تعالى ذي الجلال والجمال الفتحَ بالرزق والتوسعة في الحال[٤].

ويفتح على أعدائه ضدَّ ذلك من نكد العيش وضيق الصدر وعسرٍ في الرزق، وذلك بفضله وعدله، وقد يعطيهم من الأرزاق على ما هم عليه من الكفر والطغيان استدراجًا لهم[٥].

المعنى التاسع: الذي يفتح لعباده أبواب التوبة ثمّ يقبلها منهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

وبالجملة فإنّ "فتحه تعالى قسمان:

---

(١) انظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبد الرحمن السعدي (ص: ٨٤).

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن للسعدي (ص: ٢٢١)؛ وله أيضًا: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، (ص: ٣٥).

(٣) نقله المبارك بن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤٠٨/٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤٠٨/٣).

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٥٨/١١)؛ تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢٢١).

أحدهما: فتحه بحكمه الديني، وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

ففتحه بحكمه الدينيّ هو شرعه على ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلّفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم.

وأمّا فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء واتّباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة، وحكمه بين الخلائق حين يوفّى كلٌّ عاملٍ ما عمله.

وأمّا فتحه القدري فهو ما يقدّره على عباده من خيرٍ، وشرٍّ، ونفعٍ، وضرٍّ، وعطاءٍ، ومنعٍ، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢]، فالربُّ تعالى هو الفتّاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه"(١).

هذا أشهرُ ما كتب في كتب السلف ﷺ في بيان معنى اسم (الفتّاح)، وتوصيفُه بالمعنى اللائق بربّنا تعالى وتقدّس(٢).

إنّ بيان العلماء ﷺ لمعنى اسم (الفتّاح) وإيرادهم في ذلك عدّة معانٍ يؤكّد ما سبق بيانه في المبحث الرابع من التمهيد بأنّ الأسماء الحسنى ألفاظٌ ذاتُ معانٍ محكمةٍ ومدلولاتٍ واضحةٍ.

لكن أريد التنبيه على أنّ كلّ ذلك من اختلافِ التنوّع السائغ شرعًا، لا اختلافِ التضاد(٣)، فمن "عادة السلف أنْ يذكر أحدُهم في تفسير اللفظة بعضَ معانيها ولازمًا من

---

(١) المصدر الأخير (ص: ٢٢١).

(٢) للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن السعدي (ص: ٣٥)؛ وله أيضًا: توضيح الكافية الشافية (ص: ١٩٩)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٧).

(٣) اختلاف التنوع واختلاف التضاد، أما الأول: فيكون على وجوه متعددة كأن يكون كل واحد من القولين حقًّا، ومنه ما يكون كلٌّ من القولين داخلًا في معنى الآخر لكن العبارتان مختلفتان، ومنه ما يكون المعنيان غيرين لكن لا يتنافيان، ومنه ما يكون طريقتين مشروعتين، ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكل القائلين فيه على صواب، وأما الثاني: فهما القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع، وعند الجمهور

لوازمها أو الغاية المقصودة منها، أو مثالًا ينبّه السامع على نظيره، وهذا كثيرٌ في كلامهم لمن تأمّله"(١).

بعد ما ذكرته من معاني اسم الله (الفتّاح) عن السلف رحمهم الله **فإنّه بالإمكان تقسيم فتح الله تعالى بالنظر إلى عدّة اعتباراتٍ وحيثيّاتٍ، وهي:**

أولًا: أقسام فتح الله بالنظر إلى حقيقته.

وهو إمّا فتحٌ حسيٌّ بالأرزاق والنعم الظاهرة، وإمّا فتحٌ معنويٌّ للقلوب بالعلوم والمعارف النافعة.

ثانيًا: أقسام فتح الله بالنظر إلى غايته.

فإمّا أن يكون إكرامًا من الله لعباده جزاءً على طاعتهم فيكون لهم خيرَ عطاء، وإمّا أن يكون استدراجًا للكافرين جزاءً لكفرهم فيكون عليهم شرًّا وبلاءً.

ثالثًا: أقسام فتح الله بالنظر إلى زمانه.

إمّا أن يكون فتحًا في الدنيا بالأحكام الدينيّة والقدريّة، أو فتحًا في الآخرة بالأحكام الجزائيّة.

رابعًا: أقسام فتح الله بالنظر إلى متعلّقه.

فإما أن يكون فتحًا في أمور الدين بالعلم والطاعات والقربات، أو فتحًا في أمور الدنيا بما يستحدث من اختراعات، وما يتوصّل إليه من علوم ومعارف في جميع التخصّصات.

خامسًا: أقسام فتح الله بالنظر إلى كماله ونقصانه.

فإن كان العبد ممّن أتى بالتوحيد كاملًا وأدّى الواجبات واجتنب المحرمات فتح له فتحًا تامًّا، ومن نقص في ذلك أنقص عليه بحسبه.

وممّا سبق ذكره في معنى اسم الله (الفتّاح) المذكورة في كتب السلف الصالح رحمهم الله: نخلص إلى أنّها تنتظم في عدّة معانٍ كلُّها متعلّقةٌ بما له سبحانه من الخلق والأمر والتدبير، ونخلص أيضًا

=

المصيب منهما واحد. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (١٤٩/٣٧١-١٥٢).

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (ص: ٥٥٥).

إلى القول: أنّها متوافقةٌ ومتّسقة مع أصل مادة -فتح- الواحد الذي هو ضدّ الإغلاق.



المبحث الثاني:
موارد ورود اسم الله (الفتّاح) في الكتاب والسنّة

في الفصل بيانُ موقف السلف ﷺ من أسماء الله الحُسنى بأنّها توقيفيّة المصدر، واهتداءً بهدي سلفنا الصالح ﷺ سأعمل في هذا المبحث إن شاء الله على سرد الأدلّة على إثبات اسم (الفتّاح) لله تعالى.

المطلب الأول:
ورود اسم (الفتّاح) في القرآن

يتضمن هذا المطلب مسألتين هما:

المسألة الأولى: كيفيّة ورود عموم الأسماء الحسنى في القرآن، وفائدة ذلك

عند النظر في حالات ورود أسماء الله الحسنى في القرآن المجيد نجد أنّها لم تأت بطريقةٍ واحدةٍ، إنّما جاءت بطريقتين مختلفتين، وهما:

١ - إمّا أن تكون مفردةً وحدَها في الآية.

٢ - وإمّا أن تأتي مقترنةً بغيرها من أسماء الله تعالى، وأغلب الأسماء على هذه الطريقة.

ولاريب أنّ كلَّ اسمٍ من الأسماء الحسنى يدلّ حالَ إفراده على معنًى عظيمٍ، ومفهومٍ جليلٍ، فإذا اقترن بغيره أعطى معنًى زائدًا عن المعنى المفهوم حال انفراده، فيزداد المعنى بياناً وعظمةً وجلالًا.

إن جاء الاسمان مقترنان مع بعضهما فالأصل عدم العطف بينهما، وقد يعطف بينهما بحرف عاطف، واختصّ حرف الواو بالعطف بين الأسماء الحسنى دون غيره من الحروف.

فإن سأل سائل وقال: متى يُصار إلى العطف، ومتى يُترك؟ وما فائدة مجيء بعض الأسماء هكذا بالعطف؟

أقول: يصار إليه -ويكون هو الأفضل- عند ظهور الاختلاف والتمايز، أو توهم ذلك، في نحو

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣](١).

ويحسن تركه حين يكون المقام للتعداد فقط دون نظرٍ إلى جمعٍ أو انفرادٍ في نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

وفائدة ذلك ظاهرة لغويًّا؛ كون حروف العطف بمنزلة تكرار العامل، فإذا قلت: قام زيد وعمرو؛ فهي بمعنى: قام زيد وقام عمرو، والثاني غير الأول، وإن جاء مثل ذلك -ومجيئه نادر- فلأجل معنًى زائدٍ في اللفظ الثاني، ولهذا يبعد جدًّا أنْ يجيءَ في كلام العرب: جاءني عمر وأبو حفص، ورضي الله عن أبي بكر وعتيق، فإنّ الواو إنّما تجمع بين الشيئين لا بين الشيء الواحد، وأسماء الله دالّة على ذاتٍ واحدة.

وثمّة فائدةٌ بلاغيّةٌ بيانيّةٌ وهي: قصد إظهار تعداد الصفات وهي متغايرةٌ، فيُقال: زيدٌ وفقيهٌ وشاعرٌ وكاتبٌ، خلاف قول: زيدٌ فقيهٌ شاعرٌ كاتبٌ؛ بدون عطف، فالقصد هنا اتّحاد الصفات(٢)، وعليه فالأكثر تركُ العطف بين الأسماء الحسنى لأنّها كلُّها دالّةٌ على ذاتٍ واحدة.

وإنّما جاءت معطوفةً على غير الأصل في موضعين:

أحدهما: في أربعة أسماء وهي: الأول والآخر والظاهر والباطن، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

وفائدة العطف دفعُ "وهم قد يعتريه إنكارٌ لاجتماع هذه المقابلات في موصوفٍ واحدٍ، فإذا قيل: هو الأول ربما سرى الوهم إلى أنّ كونه أولًا يقتضي أن يكون الآخر غيره؛ لأنّ الأوليّة والآخريّة من المتضايفات(٣)، وكذلك الظاهر والباطن، إذا قيل هو ظاهرٌ ربما سرى الوهم إلى أنّ

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (٥٣/٣).

(٢) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١٨٩/١).

(٣) المتقابلان الوجوديان اللذان يعقل كل منهما بالقياس إلى الآخر، كالأبوة والبنوة"، التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٢١٧).

الباطن مقابله، فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدالّ على أنّ الموصوف بالأوليّة هو الموصوف بالآخريّة، فكأنّه قيل: هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن لا سواه فتأمّل ذلك، فإنّه من لطيف العربيّة ودقيقه"(١).

والثاني: في بعض الصفات بالاسم الموصول مثل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الأعلى: ١-٢].

سبب ترك العطف هنا: أنّ الشيء لا يعطف على نفسه، والأسماء الحسنى مقاربةٌ لبعضها، فما يَرِدُ على الذهن عند سماع الاسم الأول مقاربٌ لما يَرِدُ عند سماع الاسم الثاني.

وهي أعلامٌ مترادفةٌ تدل على ذاتٍ واحدةٍ لا يختلف المسمّى بها، وإن كان كلُّ اسمٍ منها متضمّنٍ لمعنًى مغايرٍ للمعنى الذي يدلّ عليه الاسمُ الآخر، فتكون من هذه الجهة متباينة(٢).

فالأسماء الحسنى في القرآن تأتي إمّا مفردةً وإمّا مقترنةً، وإنِ اقترنت فالأصلُ تركُ العطف، وربما جيء به في مواضع معيّنة، ولكلٍّ من حالتي العطف وتركه فوائدُ ذكرها أهل العلم.

المسألة الثانية: كيفيّة ورود اسم الله (الفتّاح) في القرآن

بعد النظر في مجيء اسم الله تعالى (الفتّاح) في القرآن الكريم نجد أنّه أتى في حالة واحدة وهي: وروده مقترناً مع غيره من الأسماء، في هذه الحالة جاء اسم الله (الفتّاح) مقترناً مع اسم الله (العليم) في موضعٍ واحدٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: ٢٦].

هنا اطّراد للأصل وروود الأسماء الحسنى المقترنة، حيث جاء بدون عطف، وفائدته هنا الإيذان بأنّهما في تلازمهما كالاسم الواحد في الدلالة على الذات الإلهيّة، وأنّ الصفات المتضمّنة في هذين الاسمين متحقّقة فيه سبحانه، فهو في حالة كونه فتّاحًا كان عليمًا.

عند النظر إلى سياق الآية نرى أنّها وردت ضمن ثلاثة سياقاتٍ سبق ذكر مدلولاتها، وهي:

الأول: قضيّة الرزق التي جاء الحديث عنها عبر استفهامٍ تقريريٍّ حيث قال تعالى: ﴿۞قُلْ

(١) المصدر السابق (١/٩١).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل (ص: ١٠٩)؛ بدائع الفوائد، محمد بن القيم، (١/١٩٠).

مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ [سبأ: ٢٤]. فالله تعالى (الفتّاح) هو الرزّاق لعباده بأنواع الرزق وأصنافه، ومنها الهداية للحقّ والبعد عن الزيغ والضلال.

الثاني: قضيّة فرديّة المسؤوليّة، ووحدة التبعيّة، قال تعالى: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ [سبأ: ٢٥]، فالمرء مسؤول عن عمله وحدَه حين يلقى ربه (الفتّاح) فيجازيه بأعماله.

الثالث: قضيّة الحِجَاج بين أهل الحقّ والباطل، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ [سبأ: ٢٦]، فالله وحدَه وهو (الفتّاح) الذي إليه مرجعُ التنازع بين الفريقين يوم الفتح، وحينها يُعرف المحقُّ من المبطل والهادي من الضالّ[1].

والفتْحُ والعلْمُ متلازمان قال تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، قال تعالى: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩].

من أسرار اقتران اسم (الفتّاح) باسم العليم بيان أنّه تعالى (الفتّاح) يحكم بحكمه الشرعيّ بين عباده؛ لأنّه خالقُهم وعالمٌ بما يصلحهم، ثم هو (الفتّاح) يقضي بين الخلق بالعلم، لا تخفى عليه بواطن عباده فضلًا عن ظواهرهم، يعلم الدقيق والجليل من أمورهم، قد أحاط بهم علمًا، وأحصاهم عددًا فيجازيهم عليها، وليس بحاجةٍ إلى شهودٍ يُعلِمُوه المحقَّ من المبطل والصادقَ من الكاذب، والضالَّ من المهتدي، فهو عالمٌ بخلقه، وما يصلحهم، وبما يخفوه، وبوجوه الحكم، وبحقائق الأمور[2].

---

[1] انظر: اقتران أسماء الله الحسنى العزيز والفتاح والخلاق باسمه العليم في السياق القرآني، زياد الدغامين (ص: ١٢-١١٣).

[2] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٠/٤٠٥).

وفتْحُ الله لعبده إنّما هو بعلمه سبحانه لما العبد بحاجةٍ إليه، وما هو مفتقرٌ إليه، وقد يفتح عليه به ابتدءًا منه بمنّه وكرمه، وقد يفتح عليه به إجابةً لدعواتٍ دعا بها ربّه، فمن علم الله منه احتياجه للمال فتح عليه به، ومن علم أنّه معتازٌ للشفاء فتح عليه به، ومن علم الله منه كثرةَ سؤاله العلم فتح عليه به إن شاء، وهكذا سائر الفتوحات، فكلُّ فتحٍ من الله لعبده فهو مِن علم الله تعالى بعباده، واطّلاعه على احتياجاتهم.

ومن معاني الجمع بين الفتح والعلم: أنّ العلم من أخصِّ ما يفتح الله به على عبده، وأوله وأشرفه العلم بالله وأسمائه وصفاته فهو الغاية من الخلق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢][1].

لقد اختصّ الله بعضَ خلقه وهم الرسل عليهم السلام بمعرفة شيء الغيب، وأظهرهم عليه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، ثمّ اختص ورثتهم وأتباعهم وهم العلماء رحمهم الله وأعطاهم مفاتح العلوم والمعارف، فهذا شيءٌ من معنى اقتران الفتح بالعلم.

وتقديم الفتح على العلم لازمٌ لأنّ الحكم والفتح ممّا تتشوّق النفوس إلى معرفته على وجهه الذي هو عليه، ويتطلّع العقلاء إلى لزومه واتّباعه، وهذا الحكمُ مؤسّس ومبنيٌّ على كمال العلم وصحّته، فناسب البدء بالأساس والأصل ثمّ ذكر الفرع والمبنيّ عليه[2].

يورد بعض العلماء اسم الله (الفتَاح) بالتخفيف على وزن الفاعل أي: الفاتح ويقولون: "ومن أسماء الله عز وجل: الفاتح والفتاح"[3]، وهنا أرى من المستحسن إيضاحُ توجيه لفظة (الفتّاح)

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢٩٧).

(٢) انظر: اقتران أسماء الله الحسنى (العزيز والفتاح والخلاق) باسمه العليم في السياق القرآني، زياد الدغامين (ص: ١٣).

(٣) التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، محمد بن مَنْدَه (١٥٨/٢)؛ وانظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، محمد بن الوزير اليماني (ص: ١٦٠)، وهي أيضًا قراءة شاذة لعيسى بن عمر قرأ بها قوله تعالى: (وهو الفتاح العليم)، انظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالَويه (ص: ١٢٣).

بالتشديد، فإنّ في زيادة المبنى زيادةً للمعنى، فالله فتّاحٌ فتحًا وعلومًا بالكمّ والنوع.

فمن الأول: ما يرى في الحياة من كثرة فتحه وتعدّد صوره وتنوّع أصنافه.

ومن الثاني: كثرة فتحه تعالى لِمَا أُغلق، ولم يستطع أحدٌ على فتحه، بل قد يظنّ البعض أنّه أغلق غلقًا لا فتحَ بعده.

يدخل في صور الفتح بالنوع قولُ الشاعر:

يا فاتحًا لي كلّ باب مرتج = إنّي لعفو منك عني مرتج

فامنن عليّ بما يفيد سعادتي = فسعادتي طوعًا متى تأمر تجي[١]

فإنّه أراد بـ (مرتج) الأولى: ما صعب من الأمور ولم يكن هيّنًا، وقصد بـ (مرتج) الثانية: الرجاء والأمل من الله بالعفو عنه.

وقولُ الامام الشافعي ﵀:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيق لها الفتى = ذرعًا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلمّا استحكمت حلقاتها = فُرِجت وكنت أظنّها لا تفرج[٢]

ولا أدلَّ على مثل هذا الفتح -الفتحِ بالنوع- ما حصل في صُلْح الحديبية بين المسلمين وقريش، فإنّه كان متعذّراً لِمَا كانت عليه قريشٌ من عداوةٍ شديدةٍ للإسلام، ومحاربةٍ له وصدِّ الناس عن الدين بكلِّ الطرق وشتّى الوسائل، حتى كان ذلك الصلح، وحينها أَمِن الناسُ واستطاع المسلمون توسعةَ الدعوة للإسلام، فبلغ الدينُ القاصي والداني، وأصبح بمقدور كلِّ مريدٍ للحقّ الوقوفُ على حقيقة الدِّين وهو آمنٌ لا يخاف شيئًا، فلم يُكلِّمْ أحدٌ بالإسلام يعقل شيئًا إلّا دخل فيه، ودخل في الدين فئامٌ كثيرةٌ من الناس، والبرهان على ذلك أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في أواخر العام السادس في ألف وأربع مائة، ثمّ خرج عام فتح مكّة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.

---

[١] قال تقي الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: أنّ هذا البيت نسبه السمعاني في كتابه التحبير إلى العباس بن محمد، المعروف بعباسة (١٣٩/٥)، ولم أجده في الكتاب المذكور.

[٢] ديوان الإمام الشافعي، محمد الشافعي (ص: ٤٠).

فأتمّ الله بهذا الصلح -الذي كان مستغلقًا- النعمةَ على رسوله بإعزازِ الدين، وإعلاءِ كلمة التوحيد والنصرِ على الكافرين نصرًا مؤزّرًا، به انكسرت به شوكة الكافرين، ودحض به من كانوا لله ولرسوله محادين، وكان مفتتَحًا ومقدِّمَةً للفتح الأكبر والنصر الأعظم فتح مكة(١).

عن البراء رضي الله عنه قال: (تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية)(٢).

بيّنت في التمهيد جوازَ الإخبار عن الله تعالى بأفعاله وأوصافه المشتقّة من أسمائه، فإنّ عملنا بهذه القاعدة أمكننا الإخبار عن الله تعالى بجملةٍ من الأخبار كما وردت في الكتاب والسنّة.

ولقد وردت في القرآن الكريم نحو خمس عشرة آية تخبر عن الله تعالى بصفة الفتح فعلًا ومصدرًا، في عدة معان وهي:

أولًا: الفتح العام، ومن الآيات الدالة على ذلك

١- قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢].

ثانيًا: معنى الحكم، ومن الآيات الدالة على ذلك:

٢- قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٦﴾ [البقرة: ٧٦].

٣-قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف:٨٩].

٤-قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧].

٥-قال تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٨﴾ [الشعراء: ١١٨].

---

(١) انظر: السيرة النبوية، عبد الملك المعافري (٤/٢٩١)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي باب غزوة الحديبية (٥/١٢٢)، برقم، ٤١٥٠.

٦ -قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٢٩﴾ [السجدة: ٢٨-٢٩].

ثالثًا: معنى النصر، ومن الآيات الدالة على ذلك:

٧ -قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ [النساء: ١٤١].

٨ -قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ [المائدة: ٥٢].

٩ -قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

١٠ -قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح: ١٨].

١١ -قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ [الفتح: ٢٧].

١٢ -قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف: ١٣].

١٣ -قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنفال: ١٩].

رابعًا: معنى الرزق، ومن الآيات الدالة على ذلك:

١٤ -قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤].

١٥ -قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالآيات السابقة كلُّها تُخبر عن الله تعالى بأنّه فتّاح، وأنّ من صفاته صفةَ الفتح، سواءٌ كان إخبارها بصيغة الفعل أو صيغة المصدر.



المطلب الثاني:
ورود اسم الله الفتاح وصفة الفتح والإخبار عنه بها في السنّة النبويّة

أشهر الأحاديث في تعداد الأسماء الحسنى ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لله تعالى تسعةً وتسعين اسمًا، مائةً غيرَ واحدةٍ، من أحصاها دخل الجنة: هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتّاح...»[١]، فإنّ هذا الحديث هو العمدة عند من يسردون الأسماء الحسنى، وبه يستدلّون، إلّا أنّ العلماء تكلّموا في سند الحديث ومتنه، وهذا سبب ترك الشيخين إخراجه في صحيحيهما[٢]، بل إنّه "قد اتّفق أهلُ المعرفة بالحديث على أنّ هاتين الروايتين ليستا من كلام النبيّ ﷺ وإنّما كلٌّ منهما من كلام بعض السلف"[٣].

وبعد البحث في كتب السنّة الشريفة لم أقفْ على حديثٍ مقبولٍ وَرَدَ فيه اسمُ الله (الفتّاح) هكذا بصيغة الاسم.

وكما مرّ معنا في الآيات القرآنيّة الكريمة من الإخبار عن الله تعالى، **سأعرض هنا اثنا عشر حديثًا فيها خبرٌ عن الله تعالى بالفتح عبر الفعل الذي اشتُّق منه اسمُ الله (الفتّاح)، وتحوي عدة معان هي:**

أولًا: معنى النصر، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

١- عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ: «كان يُؤتى بالرجل المتوفّى عليه الدَّيْن، فيسأل: هل

---

[١] أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ‘، باب (٨٢) (٨٧)، (٥/٤٨٦)، رقم ٣٨٦٥، وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأذكار، ذكر تفصيل الأسامي التي يدخل الله محصيها الجنة، (٣/٨٨)، رقم ٨٠٨، بمثله والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الْإِيمَانِ، إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة (١/١٦)، رقم ٤١، بمثله مطولًا، قال عنه الترمذي: "حسن غريب، وذكر الأسماء ليس له إسناد صحيح"، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٥٦).

[٢] انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (١١/٢١٥).

[٣] مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/٣٧٩).

ترك لدَيْنه فضلًا؟ فإنْ حُدِّث أنّه ترك لدينه وفاءً صلّى، وإلّا قال للمسلمين: صلّوا على صاحبكم. فلمّا فتح الله عليه الفتوح، قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن تُوفّيَ من المؤمنين فترك دينًا فعليَّ قضاؤُه، ومن ترك مالًا فلورثته»[١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «منزلُنا إن شاء الله إذا فتح الله الخَيْف[٢]، حيث تقاسموا على الكفر»[٣].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ ملك بضْعَ امرأةٍ، وهو يريد أن يبنيَ بها ولما يبْنِ بها، ولا أحدٌ بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحدٌ اشترى غنمًا أو خلفاتٍ، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنّك مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهمّ احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه»[٤].

٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لأعطينّ الرايةَ غدًا رجلًا يفتح الله على يديه»[٥].

ثانيًا: معنى الحكم، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

٥- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنّا ليلةَ الجمعة في المسجد إذ جاء رجلٌ من الأنصار، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب الدين، (٩٧/٣)، ٩٧، برقم ٢٢٩٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب من ترك مالا فلورثته، (٦٢/٥)، برقم: ١٦١٩، بمثله.

(٢) "ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء.....، والخيف اسم يقع مضافا إلى مواضع كثيرة، وأشهر الأخياف: خيف منى: ومسجده مسجد الخيف."، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شُرَّاب (ص:١١٠)؛ وانظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٤١٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ‘الراية يوم الفتح، (١٤٧/٥)، برقم ٤٢٨٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به، (٨٦/٤)، برقم ١٣١٤، بنحوه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي أحلت لكم الغنائم (٨٦/٤)، برقم ٣١٢٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة، (١٤٥/٥)، برقم ١٧٤٧، بنحوه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ‘الناس إلى الإسلام (٤٧/٤)، برقم ٢٩٤٢؛ ومسلم صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (١١٢/٧)، برقم، ٢٤٠٦، بمثله.

لو أنّ رجلًا وجد مع امرأته رجلًا، فتكلّم جلدتموه أو قتل قتلتموه، وإن سكت سكت على غيظٍ، والله لأسألنّ عنه رسولَ الله ﷺ، فلمّا كان من الغد أتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال: لو أنّ رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فتكلّم جلدتموه، أو قتل قتلتموه، أو سكت سكت على غيظٍ، فقال: اللهم افتح، وجعل يدعو فنزلت آية اللعان»(١).

ثالثًا: معنى التوبة، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

٦ -عن صفوان بن عسّال المرادي رضي الله عنه: «إنّ من قِبَل المغرب لبابًا مسيرةُ عرضه سبعون -أو أربعون- عامًا، فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض، ولا يغلقه حتى تطلع الشمس منه»(٢).

٧-عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريشٌ للنبيّ ﷺ: ادعُ لنا ربّك يصبح لنا الصفا ذهبة، فإن أصبحت ذهبة اتّبعناك، وعرفنا أنّ ما قلت كما قلت. فسأل ربّه عز وجل، فأتاه جبريل فقال: إنْ شئت أصبحت لهم هذه الصفا ذهبة، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحنا لهم أبواب التوبة. قال: «يا رب، لا، بل افتح لهم أبواب التوبة»(٣).

رابعًا: فتح خاص بالرسول محمد ﷺ، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

٨ -عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثمّ يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، (٤/٢٠٨)، رقم ١٤٩٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، (٨/٤١٠٧)، برقم ١٨٣٨٢؛ والترمذي في جامعه أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، (٥/٥٠٥)، رقم ٣٥٣٥بنحوه؛ وابن ماجه في سننه، أبواب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، (٥/١٨٧)، رقم ٤٠٧٠، بنحوه مختصرًا، وقال عنه الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: "بعضه صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقيةُ رجاله ثقات" (٣٠/٢٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم ٪، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي ‘، (٢/٧٦٥)، رقم ٣٢٨٤؛ والحاكم في مستدركه، كِتَابُ الْإِيمَانِ، من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله، (١/٥٣)، برقم ١٧٤، بنحوه، قال عنه أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد: "إسناده صحيح" (٣/٣٨٠)، وشعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمران أبي الحكم" (٥/٢٨٤).

شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي»(١).

خامسًا: فتح خاص ببعض العباد، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

٩ -عن أبي عِنَبَة الخولاني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢)قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله ﷻ بعبدٍ خيراً عَسَله، قيل: وما عَسَله؟ قال: يفتح الله ﷻ له عملًا صالحًا قبل موته ثمّ يقبضه عليه»(٣).

سادسًا: فتح بجنس عمل العبد، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

١٠ -عن أبي كبشة الأنماري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٤) أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهنّ وأحدّثكم حديثًا فاحفظوه، قال: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلّا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلّا فتح الله عليه بابَ فقرٍ، أو كلمةً نحوها»(٥).

١١ -عن حرام بن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٦)قال: قال النبي ﷺ: «مَن وَلِي من أمر السلطان شيئًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا، (٦/٨٤)، برقم ٤٧١٢؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١/١٢٧)، رقم ١٩٤، بمثله.

(٢) "قيل: إنه ممن صلى القبلتين، قديم الإسلام. وقيل: إنه ممن أسلم قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يصحبه." الاستيعاب في معرفة الأصحاب، عمر بن عبد البر (٤/ ١٧٢٢)؛ وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن الأثير (٦/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين ﷺ، (٧/٣٩٩٨)، رقم ١٨٠٦٢، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: "فيه بقيّة وقد صرح بالسماع في المسند وبقيّة رجاله ثقات" (٧/٢١٥)، وقال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: "إسناده جيد" (٣/١٢٣٦).

(٤) "أنمار مذحج، له صحبة. اختلف في اسمه. فقيل: عمر بن سعد، وقيل: عمرو بن سعد، وقيل: سعد بن عمرو: روى عنه: سالم بن أبي الجعد، وعمرو بن رؤبة"، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، عمر بن عبد البر (٤/ ١٧٣٩)؛ وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن الأثير (٦/ ٢٥٥).

(٥) أخرج الترمذي في جامعه، أبواب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (٤/١٥٣)، برقم ٢٣٢٥؛ وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب النية (٥/٣٠٦)، رقم ٤٢٢٨، بنحوه مختصرًا، وقال عنه الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/٣٢٥).

(٦) "حرام بن معاوية الأنصاري وقيل: العبسي، نزيل دمشق" الإصابة في تمييز الصحابة، علي بن حجر(٢/ ٢٠٨).

ففتح بابه لذي الحاجة والفاقة والفقر؛ يفتح الله أبواب السماء لحاجته وفاقته وفقره. ومن أغلق بابه دون ذوي الحاجة والفاقة والفقر؛ أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وفاقته وفقره»(١).

سابعًا: فتح أبواب السماء، ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

١٢-عن ابن مسعود ﵁: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ثلثُ الليل الباقي يهبط إلى السماء الدنيا، ثمّ يفتح أبواب السماء، ثمّ يبسط يده فيقول: هل من سائلٍ يُعطى سؤله؟ ولا يزال كذلك حتى يسطعَ الفجر»(٢).

هكذا نرى أنّ الأحاديث السابقة كلّها تخبر عن الله تعالى بأنّه فتّاح، وأنّ من صفاته صفةَ الفتح.



(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الجامع، باب الإمام راع، (٣٢/١١)، برقم ٢٠٦٥٥، من حديث حرام بن معاوية ﵁، مرفوعًا، وله شاهد: «ما من إمامٍ يُغلق بابَه دون ذوي الحاجة والخلّة والمسكنة، إلّا أغلق الله أبواب السماء دون خلّته وحاجته ومسكنته»، أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الأحكام عن رسول الله ، باب ما جاء في إمام الرعية، (١٢/٣)، برقم ١٣٣٢ من حديث مرة بن معاوية ﵁، وقال الترمذي في جامعه: "إنّه حديث غريب".

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود ﵁، (٨٥٥/٢)، برقم ٣٧٤٧؛ وأبو يعلى في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، (٢١٩/٩)، برقم ٥٣١٩، بمثله، قال عنه أحمد شاكر في تحقيقه مسند أحمد: "إسناده صحيح" (٥٣٩/٣)، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد: "حديث صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين غير أبي الأحوص" (١٩٢/٦).

المطلب الثالث:
أقوال العلماء الذين ذكروا اسم الله (الفتّاح) ضمن الأسماء الحسنى.

بما أنّ اسم (الفتّاح) ثابتٌ في القرآن الكريم، فقد أصبح هذا الاسم من المتّفق عليه عند أهل السنّة والجماعة، "وأجمعوا على أنّه الفتّاح المقتدر"(١).

ثمّ تبعًا لذلك نصَّ عليه ثلّةٌ من العلماء -رحمهم الله- في كتبهم عند تعدادهم لأسماء الله تبارك وتعالى، أو نقل عنهم، وهذا عرضٌ لأقوالهم:

١- قال العلّامة أبو زيد اللغوي رحمه الله(٢) في جمعه للأسماء الحسنى: "وفي سبأ فتاح"(٣).

٢- ذكره العلّامة عبد الرحمن الزجاجي رحمه الله(٤)، مستندًا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه(٥).

---

(١) تمام المنة ببعض ما اتفق عليه أهل السنة، وليد السعيدان (ص: ١).

(٢) أبو زيد، سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري اللغوي، ولد: سنة نيف وعشرين ومائة، كان إمامًا في الأدب واللغة، حدث عن: رؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء. وحدث عنه: خلف بن هشام البزار، وأبو عبيد القاسم. من مصنفاته: كتاب اللغات وكتاب النوادر. توفي بعد المئتين. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٢/٣٧٨-٣٨٠)؛ سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي (٩/٤٩٤-٤٩٧).

(٣) نقل هذا الجمع ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/٢١٧)، وقال: وافقه عليه سفيان بن عيينة رحمه الله.

(٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، كان إماماً في علم النحو، أخذ عن: أبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري، روى عنه: أحمد بن علي الحلبي، وأبو محمد بن أبي نصر التميمي، وصنف كتاب الجمل الكبرى، توفي في رجب سنة ثلاثمائة وأربعين، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٣/ ١٣٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٧/ ٧٣٨)

(٥) انظر: اشتقاق أسماء الله (ص: ١٨٩).

٣- ذكره العالم أبو سليمان الخطابي رحمه الله[١]، مستندًا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٢].

قال العلّامة ابن منده رحمه الله[٣]: "ومن أسماء الله عز وجل: الفاتح والفتّاح، قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] "[٤]

٤- وقال العلّامة ابن فارس رحمه الله[٥]: "والله تعالى الفاتح، أي الحاكم"[٦].

٥- وقال العلّامة ابن حزم رحمه الله[٧]: "وممّا صحّ عن النبيّ ﷺ، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما

---

[١] أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُستي الخطَابي، الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، سمع من عدد من العلماء منهم: أبو علي الصفار، وأبو جعفر الرزاز، وغيرهما. حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم، وأبو حامد الأسفراييني وغيرهما، وله عدّة مصنّفات وكتب منها: شرح الأسماء الحسنى، وكتاب الغنية عن الكلام وأهله، وكتاب إصلاح غلط المحدثين، وغير ذلك، توفي عام ٣٨٨هـ. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٢/٢١٤)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (٣/١٤٩)؛ وله: سير أعلام النبلاء، (١٧/٢٦).

[٢] انظر: شأن الدعاء (١/٥٦).

[٣] أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن منده، ولد سنة إحدى -وقيل: اثنتين- وأربعين وأربعمائة بنيسابور، الحافظ الإمام، روى عن: إسماعيل بن موسى الفزاري السدي، وهناد بن السري وطبقتهم، وحدث عنه: أبو أحمد العسال، وأبو القاسم الطبراني. من مؤلّفاته: كتاب الإيمان، وكتاب التوحيد، مات في رجب سنة إحدى وثلاثمائة. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٤/٢٨٩)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (٢/٢١٩-٢٢٠).

[٤] التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد (٢/١٥٨).

[٥] أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، ولد بقزوين، ونشأ بهمذان، روى عن: أبي الحسن علي بن إبراهيم القطان، وسليمان بن يزيد الفامي. وروى عنه: أبو منصور بن عيسى الصوفي، وعلي بن القاسم الخياط المقرئ. وله من التصانيف: كتاب المجمل، وكتاب فقه اللغة. مات سنة ثلاثمائة وتسع وستين. انظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (١/٤١٠-٤١١)؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٨/٧٤٦-٧٤٧).

[٦] مقاييس اللغة (٤/٤٦٩).

[٧] أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي، المحدث الفقيه الحافظ، ولد سنة ٣٨٤هـ، روى عن: أبي عمر أحمد بن الحسور، وأبي عمر الطلمنكي، روى عنه: أبو عبد الله الحميدي، وابنه أبو رافع الفضل. وقد صنف كتبًا كثيرة منها: الإحكام في أصول الأحكام، وكتاب الفصل في الملل والنحل، محمد الشهرستاني، مات عام أربعمائة

نذكر، وهي: الله، الرحمن، الرحيم... الفتاح"[١].

٦- وقال المفسّر ابن العربي ﵀[٢]: "وعددناها على ما ورد في الكتاب والسنّة، وذكره الأئمّة... الخامس والتسعون: الفتّاح، يفتح غلق العدم بالوجود، وغلق الجهل بالعلم، وغلق الرزق بالعطاء"[٣].

٧- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "الفتّاح: جاء مقروناً في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: ٢٦]، ومفضَّلًا في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩] "[٤]، وقال أيضًا: "أسماء تختصّ المحمود؛ كاسمه الحكيم، والرحيم، والصادق، و... الفتاح"[٥].

٨- وقال العلامة ابن القيم ﵀: "التوكّل مِن أعمّ المقامات تعلّقًا بالأسماء الحسنى.... فله تعلّقٌ باسم الغفار، والتواب، والعفو، والرؤوف، والرحيم، وتعلّقٌ باسم الفتّاح"[٦]، وقال في نونيّته:

كـــذلك الفتّـــاح مـــن أسمائـــه = والفـــتح في أوصـــافه أمـــرانِ
فـــتحٌ بحكـــمٍ وهـــو شـــرع إلهنـــا = والفـــتح بالأقـــدار فـــتحٌ ثانِ
والـــربُّ فتّـــاح بـــذين كليهمـــا = عـــدلًا وإحســـاناً مـــن الـــرحمن[٧]

=

وست وخمسين. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٣/٣٢٥-٣٢٨)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (٣/٢٢٧).

(١) المحلى بالآثار (٦/٢٨٢).

(٢) أبو بكر، محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري، ولد عام ٤٦٨هـ، أخذ عن: أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، وأبي حامد الغزالي. روى عنه: عبد الخالق بن أحمد اليوسفي، وأخوه، وأحمد بن خلف الإشبيلي. من مصنفاته: عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، العواصم من القواصم. توفي عام ٥٤٣هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٤/٢٩٦-٢٩٧)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (٤/٦٢-٦٣).

(٣) أحكام القرآن، (٢/٣٤٣-٣٤٧).

(٤) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٤٨).

(٥) شرح الأصبهانية (ص: ١٠).

(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/١٢٤-١٢٥).

(٧) القصيدة النونية (ص: ٢١٠-٢١١).

٩- قال العلّامة ابن الوزير اليماني رحمه الله[١]: "فلنذكر هنا ما وجدناه منصوصا من الأسماء في كتاب الله باليقين من غير تقليد... والذي عرفت منها إلى الآن بالنص صريحا دون الاشتقاق في القرآن مائة وخمسة وخمسون... وهي هذه وهي الاعتقاد متى سأل عنه سائل: هو الله الذي لا إله إلا هو الا له الصمد الواحد الاحد الرحمن الرحيم... الفاتح الفتاح"[٢].

١٠- وقال العلّامة ابن حجر[٣] رحمه الله: "وقد رتبتها على هذا الوجه ليدعى بها: "الإله، الرب، الواحد، الله، الرب، الرحمن... الفتاح"[٤].

١٢- وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله[٥]: "وقد تكرر كثير من أسماء الله الحسنى في القرآن بحسب المناسبات، والحاجة داعية إلى التنبيه إلى معانيها الجامعة، فنقول: ...."الفتاح" الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء"[٦].

---

(١) أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن المرتضى القاسمي، ولد علام ٧٧٥ ç، من وجهاء اليمن، من مصنفاته: قبول البشرى بالتيسير لليسرى، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، مات عام ٨٤٠هـ. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي (٥/٣٠٠).

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد (ص: ١٥٩-١٦٠).

(٣) أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني، وهو الحافظ الكبير، ولد سنة ٧٧٣ هـ، بمصر، درس على: شمس الدين ابنُ العلّاف، وصدر الدين المقرء، أخذ عنه: أحمد بن إبراهيم بن نصر اللَّه، من كتبه: وتهذيب التهذيب، ولسان الميزان وغيرها، توفي بمصر ٨٥٢هـ، انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن حجر (١/ ٣) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، عبد الرحمن السخاوي (١/ ١٠٢).

(٤) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٤/٤٢٥).

(٥) أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، ولد عام ١٣٠٧هـ، أخذ عن: على إبراهيم بن حمد بن جاسر، وعبد الكريم الشبل، وصالح بن عثمان، وأخذ عنه: محمد بن عبد العزيز المطوع، وعبد الله بن عبد الرحمن البسام، ومحمد الصالح العثيمين، من مؤلفاته: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب مرتبة على طريقة السؤال والجواب، توفي ستة ١٣٧٦هـ، انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف (ص: ٢٥٦-٢٦٠).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٥-٩٤٥).

١٣- وقال الشيخ محمد العثيمين ﷺ(١): "وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسما مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فمن كتاب الله تعالى: " الله، الأحد، الأعلى، الأكرم... الفتاح"(٢).

جميع العلماء السابقين أثبتوا اسم الفتاح لله تعالى، وهو ما وافق الأدلة الصحيحة التي ذكرتها في إثبات اسم الله الفتاح.



(١) أبو عبد الله محمد بن صالح عثيمين، ولد في مدينة عُنيزة من عام ١٣٤٧ ا، أخذ عن شيخُه عبد الرحمن بن ناصر السعدي وعلي الصالحي، من مؤلفاته: الشرح الممتع والإبداع في كمال الشرع، وله العديد من الطلاب اللذين درسوا على يديه كالشيخ عبد المحسن القاضي، وخالد المصلح توفي عام ١٤٢١هـ، انظر: محمد صالح العثيمين العالم القدوة المربي والشيخ الزاهد الورع (ص: ٧٣).

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ١٥).

المبحث الثالث:
دلالة ورود اسم الله (الفتّاح) في القرآن والسنّة

بعد بيان موارد استعمال اسم الله (الفتّاح) في النصوص الشرعيّة؛ سأُتبع ذلك بإيضاح دلالة ورودها حسب سياقات النصوص ليتجلّى بوضوح معنى الاسم؛ لأنّ اعتبار السياق مبين للمعنى، وهو من أعظم القرائن على فهم مراد المتكلّم، وأدعى للبعد عن الغلط(١).

فمقتضى البلاغة أن يكون الكلامُ متناسقًا منتظمًا بعضه مع بعض، تناسقًا يربط أوله بآخره بحيث ينضمّ فيه المعنى دون انفصالٍ أو انقطاع، ليس ذلك فحسب، بل مع حسن انتقالٍ وتدرّجٍ حتى يتمّ المعنى ويكتمل، ونصوصُ الشرع أوفرُ حظًّا من كلّ كلامٍ في ذلك(٢).

وعند قراءتي للسياقات التي جاءت فيها اسم (الفتّاح)، أو الإخبار عنه تعالى بصفة الفتح، أو فعله؛ استخرجت خمس دلالات لاسم الله (الفتّاح)، وهي:

المطلب الأول:
دلالة النصوص على أنّ (الحاكم) من معاني اسم الله (الفتّاح)

جاءت النصوص الشرعيّة مثبتةً اسم (الفتّاح) من ضمن الأسماء الثابتة لله تعالى، ومشيرةً إلى أنّ لهذا الاسم معانيَ متنوعةً كلُّها من اللائق بالله تعالى، واستنبط العلماء من تلك النصوص دلالاتِ اسم الله (الفتّاح)، ومن تلك الدلالة على أنّه سبحانه الحاكم.

وسأبيّن الصور الثلاث التي جاء فيها اسم الله (الفتّاح) بمعنى الحاكم، وهي على النحو

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الزركشي (٢/٢٠٠).

(٢) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد المزيني (١/١٨٠).

التالي:

المسألة الأولى: الحكم بين الرسل و أتباعهم من المؤمنين، وبين أعدائهم الكافرين

وذلك في الزمان الأول: الدنيا

قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥﴾ [إبراهيم: ١٥]، فلمّا كان موقف الأقوام من الدعوة: التكذيب والإعراض، ما كان من الأنبياء إلّا أنْ سألوا الله تعالى (الفتّاح) أن يفتح ويحكم بينهم وبين أقوامهم بالحقّ وهو خير الحاكمين، وذلك بإهلاك عدوّهم حتى يتبيّن أنّهم على الحقّ، طلبوا من الله الفتح، ودعوه سبحانه موقنين بأنّه لا يكون فتحه وحكمه سبحانه إلّا بنصر المحقّين على المبطلين.

فهؤلاء قومُ نوحٍ عليه السلام مكث فيهم ألفَ سنةٍ إلّا خمسين عامًا يدعوهم للتوحيد، مستنفدًا جميعَ وسائل الدعوة معهم سرًّا وجهرًا، ليلًا ونهارًا، فما كان منهم أن قابلوا دعوته بالرفض والتكذيب، ثمّ تطاولوا عليه بالتهديد بالرجم، حتى أوحى الله إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، فحينئذٍ دعا عليهم، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

ومن بعده شعيب عليه السلام لما دعا قومه للتوحيد خيّروه بين الطرد والإبعاد أو العودة معهم إلى عبادة الأوثان، فاستفتح وقال: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩]، فاستجاب الله تعالى دعاءَهم وحكم بينهم الفتّاح بفعلٍ من أفعاله، فقال تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢﴾ [القمر: ١١-١٢]. وأغرق الله قومَ نوحٍ، وأرسل على قوم شعيبٍ الرجفةَ فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

ومن بعدهم في الكفر والتكذيب كفّار قريش، فإنّهم لما كان الرسولُ صلى الله عليه وسلم يدعوهم للتوحيد، ويحذّرهم من تماديهم وطغيانهم، وأنّه سيأتي يومٌ يفتح الله بينهم وبينه بالحقّ، وعند ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾ [السجدة: ٢٨] أي: متى يجيء هذا

الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب(١).

إن حكم الله تعالى بالنصر لأوليائه المؤمنين على أعدائه الكافرين شامل، لجميع الأنبياء، لكنّه تعالى يفضّل مَن شاء مِن خلقه، ويختاره ليعطيه من فضله ما لم يعط غيره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الرسول: «غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ ملك بضعَ امرأةٍ، وهو يريد أن يبنيَ بها ولما يبْنِ بها، ولا أحدٌ بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفَها، ولا أحدٌ اشترى غنمًا أو خلفاتٍ، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنّك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا. فحُبست حتى فتح الله عليه،» (٢)، فاختصّ هذه الأمّة بإحلال الغنيمة لهم، وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر. وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وفي الحديث إخطارٌ بأنّ إبداء الضعف والفقر من العبد يقتضي ثبوت الفضل والمنّ من الربّ(٣).

الزمان الثاني: في الآخرة

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ: ٢٦]، ففي الآية السابقة يأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أنْ يقول للمشركين الذين نصبوا له العداوة واتّهموه بالجهل: إنّنا وأنتم -أيّها المشركون- فريقان: أحدنا على هدًى، والآخر على ضلال، وإنّا غير مسؤولين عمّا تجرمون وتقترفون من الشرك وغيره من الفواحش والآثام، وفي المقابل أنتم غير مسؤولين عن أعمالنا على أيِّ حالٍ كانت.

ولكن اعلموا أنّه سيأتي يومٌ يَجمع فيه ربُّنا بيننا وبينكم في صعيدٍ واحدٍ ثمّ يحكم بالحقّ، حكمًا به يجزي كلُّ عاملٍ عمله إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ، وحينها تعلمون لمن العزُّ والتمكين، ومَن هو نائلٌ للسعادة الأبديّة ممّن تصيبه الشقاوة الأمديّة، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤٤٨/٣)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (٩٥/٦).

(٢) سبق تخريجه: (ص: ٦٧).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (٢٢٣/٦).

يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤-١٦]، فهو الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور حكمًا يتبيّن به الصادق من الكاذب والمستحقّ للثواب من المستحقّ للعقاب(١).

المسألة الثانية: الحكم على العباد بالأحكام الشرعيّة الدينيّة، أو الأحكام الكونيّة القدريّة

وهاهنا صور من صور فتح الله وحكمه منها:

أولًا: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: ٧٦].

هذا من جملة ما حكم الله به على اليهود، وما أخذه عليهم من ميثاق الإيمان بمحمّد ﷺ؛ لموافقة ما جاء في التوراة من البشارة به، وذكر أوصافه.

وقيل: إنّ المراد ما فتح الله عليكم وحكم من العذاب، بأنْ جعل بعضهم قردةً وخنازير، فتكون لهم الحجّة عليكم ويقولوا نحن أحبُّ إلى الله منكم وأكرمُ عليه منكم(٢).

وعلى القول الأول: فإنّ المراد بحكم الله هو الحكم الشرعيّ الدينيّ.

وعلى القول الثاني: فإنّ المراد هو الحكم القدريّ الكونيّ.

والآية تحتمل المعنيان، لكن السياق يعضد القول الأول، فإنّ ابتداء الحديث كان عن إخبارهم عن الإيمان بالرسول ﷺ عند لقاء المؤمنين، فناسب أن يكون ختمُ الحديث عمّا يخبرون بعضه به من الإيمان به ﷺ(٣).

ثانيًا: من صور فتحه بأحكامه الدينيّة أنّه بيّن حكم اللعان بين الزوجين:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنّا ليلة الجمعة في المسجد إذ جاء رجلٌ من

(١) انظر: تفسير القرآن، منصور السمعاني (٤/٣٣٣)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٦/٧ ١٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن، منصور السمعاني (١/٩٨)؛ فتح القدير، محمد الشوكاني (١/١٢٠).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١/٢٥٤- ٢٥٥).

الأنصار، فقال: لو أنّ رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فتكلّم جلدتموه أو قَتل قتلتموه، وإنْ سكت سكت على غيظٍ، والله لأسألنّ عنه رسولَ الله ﷺ، فلمّا كان من الغد أتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال: لو أنّ رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فتكلّم جلدتموه، أو قتل قتلتموه، أو سكت سكت على غيظٍ، فقال: اللهم افتح، وجعل يدعو فنزلت آية اللعان: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النور: ٦] هذه الآيات»[(١)]، "أي احكم أو بيِّن لنا الحكم في هذا، والفتاح الحاكم"[(٢)].

المسألة الثالثة: الحكم على العباد بحصر أعمالهم ثم توفيتهم جزاءها

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: ٢٦]، وفتحه تعالى غيرُ مقتصرٍ على الحكم بين الرسل وأعدائهم، وإنّما هو حكم على العباد أنفسهم، فهو المحصي لأعمال العباد ثمّ يجازيهم بها، فهو "الفتّاح الحاكم، الديّان المجازي، الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء"[(٣)].

هذه هي دلالات النصوص على مجيء اسم الله (الفتّاح) بمعنى الحاكم، فهو يحكم بين الرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة وبين العباد فيما اختلفوا فيه، ويحكم عليهم بجزاء أعمالهم، ويحكم عليهم بالشرع.



---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٦٨).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد آبادي (٣٤٠/٦)؛ وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى النووي (١٢٨/١٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم الزجاج (١٥٣/٥).

المطلب الثاني:
دلالة النصوص على أنّ (القاضي) من معاني اسم الله (الفتّاح)

المعنى الثاني الذي دلّت النصوص على أنّه من معاني اسم الله (الفتّاح): القضاء.

هذا المعنى مقاربٌ لمعنى الحكم، لهذا لم يفرّق بعضُ العلماء بينهما، فنجدهم يفسّرون الآيات التي ذكر فيها فتح الله بالقضاء أيضًا كما فسّروها بالحكم، ومنها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٨-٢٩].

فالله يجمع بين الخلْق يوم القيامة، ثمّ يقضي وهو القاضي بالحقّ، العليمُ بالقضاء بين خلْقه قضاءً عادلًا، فيتبيّن عند ذلك المهتدي من الضالّ؛ لأنّه الفتّاح العليم بأحوال الخلْق لا تخفى عليه خافية(١).

وبقضاء الله يُفتح ما انّسد وأُغلق من الأحكام؛ فالله القاضي بالصواب العليم بما يتعلّق بحكمه وقضائه من المصالح(٢).

فالقضاء من المعاني التي دلّت عليها النصوص لبيان معنى اسم الله (الفتّاح)، بنحوٍ من معنى الحاكم، ودلالة اللغة أيضًا تتوافق مع أنّ مِن معاني الفتّاح القاضي(٣).



---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٠/٤٠٥).

(٢) انظر: انظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٦/٣٧٤).

(٣) انظر: المعنى اللغوي.

المطلب الثالث:
دلالة النصوص على أنّ (الناصر) من معاني اسم الله (الفتّاح)

النصرُ من الله لعباده هو من المعاني سابقةِ الذكر في دلالة اسم (الفتّاح) على معنى الحكم، فيكون ذكره هنا من باب عطف الخاصّ على العام، وإنّما أَعَدت ذكره لمجيئه في النصوص مخصوصًا بمعنى النصر.

وسأبيّن الصور التي جاء فيها اسم الله (الفتّاح) بمعنى (الناصر)، وهي على النحْو التالي:

المسألة الأولى: النصر العام:

أولًا: يقول تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة: ٥٢]، فالمراد بالفتح هنا: النصر العامّ لكلّ الفتوح التي امتنّ الله بها على المسلمين، وبذلك حصل للمسلمين من الخير والرزق والفسحة في العيش ما صلحت به أحوالهم(١)،في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنّ رسول الله ﷺ كان يُؤتى بالرجل المتوفّى عليه الدّين، فيسأل: هل ترك لدَيْنه فضلًا؟ فإنْ حُدِّث أنّه ترك لدينه وفاء، صلى، وإلّا قال للمسلمين: صلّوا على صاحبكم. فلمّا فتح الله عليه الفتوح، قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفّي من المؤمنين فترك دينًا فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فلورثته»(٢).

ثانيًا: يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء: ١٤١]،

---

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٢/٥٨).

(٢) سبق تخريجه: (ص: ٦٧).

بين الله تعالى حالَ المنافقين الذين لم يقِرَّ الإيمانُ في أفئدتهم، ولم يخالط بشاشة قلوبهم، وكيف كان تردّدهم بين الإسلام والكفر إنْ جاء من الله الفتح.

فهم إنْ جاء من الله الفتح -يعني: النصر والظفر والغلبة- ورأوا الغنيمةَ بين يد المسلمين مالوا إليهم، ليكون لهم منها نصيب، وإن كانت الأخرى عادوا إلى الكفّار ولجؤوا لهم، لكنّهم وإنْ جرت عليهم أحكامُ المسلم في الدنيا، فإنّه سيأتي يوم يظهر فيه مكنون الصدور، فيحكم الله عليهم بحكمه وهو خير الحاكمين(١).

المسألة الثانية: النصر الخاصّ:

وقد تمثّل هذا في نصر الله تعالى لنبيّه في الوقائع التي شهدها ضدّ أعدائه.

أولًا: ما كان يوم بدر، في قوله ﷻ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، فإنّ كفار قريش قالوا: " حين التقى القوم: أيُّنا أقطعُ للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأَحِنْه الغَدَاةَ. فكان ذلك استفتاحه"(٢)، وجاء النصر والفتح غيرَ أنّه نصرٌ عليه وليس لهم، بل هو نصرٌ للرسول ﷺ ومن معه.

ثانيًا: ما كان ضدّ كفّار قريش في فتح مكة، قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥٢]، كلّ (عسى) من الله فهي قولٌ حقٌّ، ووعدُ صدقٍ من الله، تفضّلًا منه وتكرّمًا، وإلّا فإنّه لا يجب عليه شيءٌ لعباده إلّا ما أوجبه على نفسه، والله تعالى لا يُخلف الميعاد.

وقد رأى المؤمنون ذلك الوعدَ حين فُتحت مكةُ على قول جماعة من المفسرين، فقد كان فتحًا من الله نصر به كلمة الدين، وأوهن كيد الكافرين(٣)، هذا أحد القولين في تفسير الآية.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤٣٦/٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٥٢/١٣)؛ وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٢٧٩/٢).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٠٥/١٠).

وقيل المراد بها: ما كان ضدّ اليهود، قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة: ٥٢]، قال بعض المفسّرين: المقصود بالفتح في الآية: هو ما فتح الله به على رسوله من قُرى اليهود مثل: فَدَك[١] وخيبر[٢]، والنصرُ على يهود المدينة [٣]، وهو أيضًا من فتح الله ونصره لرسوله والمؤمنين، ففي الحديث أنّ الرسول ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ الرايةَ رجلًا يفتح الله على يديه....»[٤]، ففتح خيبر من نصر الله.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما فُتحت خيبرُ قلنا: الآن نشبع من التمر)[٥]، ففي قولها إشارةٌ إلى كثرة النخيل بخيبر، وإلى ما كانوا عليه من فقرٍ وقلّة ذات اليد قبل فتحها[٦].

وقد كان فتح مكة لرسول الله ﷺ والمؤمنين نصرًا عظيمًا من عند الله؛ لذا أضافه الرسول لربّه في أكثر من مرّةٍ إعلامًا بأنّ النصر من عنده سبحانه فهو من قدَّره بلطفه، وأعطاهم أسبابه، ودلّهم على سبيله، في قوله ﷺ: «منزلنا إنْ شاء الله إذا فتح الله الخيفُ، حيث تقاسموا على الكفر»[٧].

ثالثًا: ما فتح الله لدينه وعباده المسلمين أنْ مدَّهم برجالٍ صالحين يُعزُّون الدينَ ولأجل نصره يعملون، في كلّ زمانٍ وحين، وفي مقدّمتهم الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، ومنهم

---

(١) وهي القرية التي أفاءها الله على رسوله في العام السابع من الهجرة، تبعد عن المدينة النبوية مسيرة يومين أو ثلاثة، ويطلق عليها اليوم الحائط. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/٢٣٨)؛ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شراب (ص: ٢١٥).

(٢) مدينة قديمة ذات حصون وزرع ونخل، فتحت عام ٧هـ، بينها وبين المدينة النبوية ١٦٥ كيلو شمالًا. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/٤٠٩)؛ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شراب (ص: ١٠٩).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٢/٥٩).

(٤) سبق تخريجه: (ص: ٦٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٥/١٤٠)، برقم ٤٢٤٢.

(٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (٧/٤٩٥).

(٧) سبق تخريجه: (ص: ٦٧).

الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ الذي قال عنه عبد الله بن مسعود ﵁: (إذا ذُكِر الصالحون فحيّهلًا بعمر، إنّ إسلامَ عمر كان نصرًا، وإنّ إمارته كانت فتحًا)(١)، وقال له ابن عباس ﵄ لما طُعِن: (أليس قد دعا رسول الله ﷺ أنْ يُعِزّ الله بك الدين والمسلمين إذْ يخافون بمكة، فلمّا أسلمتَ كان إسلامك عزًّا، وظهر بك الإسلامُ ورسولُ الله ﷺ وأصحابُه)(٢)، فقد امتدّت خلافته لأكثر من عشر سنين كانت فيها أغلب الفتوحات الإسلاميّة وأعظمها، ومنها فتح بلاد فارس والروم.

إذًا مجيء اسم الله (الفتّاح) بمعنى (الناصر) له صورٌ متعدّدة، منها النصرُ العامّ: الذي كان من آثاره غنى المسلمين وتوسعة الله عليهم، وبه أيضًا عُرِف المنافقون المترددون بين الكفر والإسلام، ومنها الخاصُّ: ببعض الأحداث المسطرة في السيرة النبويّة.

وبالجملة فإنّ هذه المعاني الثلاثة -الحكم والقضاء والنصر- هي أكثر المعاني والدلالات المستفادة من النصوص لاسم الله (الفتّاح) وذاته المبرّأة من كلّ عيبٍ وسوءٍ، المتفرّدة بالربوبيّة والألوهيّة.

لكن هناك معانٍ أخرى جاءت في سياق النصوص الشرعيّة ذات صلة بمعنى اسم الله (الفتّاح)، وهي:

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ﵁، باب وفاة عمر ﵁، (٩/٧٨)، برقم ١٤٤٦٩.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ﵁ باب وفاة عمر ﵁، (٩/٧٤)، برقم ١٤٤٦٣.

المطلب الرابع: دلالة النصوص على أنّه لا حابس ولا مانعَ لِمَا يفتحه الله على العباد من خير

إنّ الله تعالى منفردٌ بتدبير أمر الكون، واحدٌ في تصريف شؤونه، كلُّ شيءٍ بمشيئته، وكلُّ خيرٍ فمِن عطائه، ما شاء كان وما لم يشأْ لم يكُن، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢]، وقوله: (رحمة) نكرةٌ في سياق الشرط فهي عامّةٌ شاملةٌ لكلِّ خيرٍ ونفعٍ ونعمةٍ في الدنيا والآخرة، لذلك لا وجهَ لتخصيصها ببعض الخير دون بعض، وهذا موجبٌ للتعلّق بالله وحده، وألّا يلتفتَ القلب إلى غيره لجلبِ نفعٍ أو دفع ضرٍّ(١).

وسوف أمثّل بمثالين لفتح الله تعالى: فالأول فتحه بالرزق، والثاني فتحه للتوبة.

دليلُ المثال الأول ما جاء عن أبي مسعود الأنصاري ﵁ قال: (كان رسول الله ﷺ يأمر بالصدقة، فيحتال أحدُنا حتى يجيءَ بالمدِّ، وإنّ لأحدهم اليوم مائةُ ألفٍ. كأنّه يعرِّضُ بنفسه)(٢).

الدليل الثاني ما رُوي عن ابن عباس ﵄ قال: قالت قريش للنبيّ ﷺ: ادع لنا ربك يصبح لنا الصفا ذهبةً، فإنْ أصبحت ذهبةً اتّبعناك، وعرفنا أنّ ما قلت كما قلت. فسأل ربَّه ﷻ، فأتاه جبريل فقال: إنْ شئتَ أصبحت لهم هذه الصفا ذهبةً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذّبته عذابًا لا أعذّبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحنا لهم أبواب التوبة. قال: «يا رب، لا،

---

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٤/٣٨٨-٣٨٩)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (٦/٢٧٧)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٦٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة براءة، باب قوله: {ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ} [سورة التوبة:٧٩]، (٦/٦٧)، رقم ٤٦٦٩؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحمل بأجرة يتصدق بها والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل،(٣/٨٨)، رقم ١٠١٨.

بل افتح لهم أبواب التوبة»[١].

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٦٨).

المطلب الخامس:
دلالة النصوص على أنّ مفاتح الخزائن بيد الله ﷻ

سأبين هذه الدلالة عبر مسألتين هما:

المسألة الأولى: مفاتح الخزائن بيد الله تعالى

وهي متعلّقة بما أسلفت في المعنى اللغوي، أنّ ممّا يلحق بالفتح: المفتَح وهو: الخزائن والكنوز، والمفتِح وهو: المفاتيح التي يفتح بها. وبالقولين فُسّر قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]، فإنّ ذينك المعنيان هما المرادان في الآيات وقد قال الله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١٢]، أخبر الله تعالى عن اقتصار وحصر مقاليد[١] السماوات والأرض عليه وحدَه سبحانه، ويدلّ عليه تقديم الجار والمجرور.

والمراد بالمقاليد في الآيات: مفاتيح السماوات والأرض بالرزق والرحمة، وقيل: خزائن المطر وخزائن النبات، وقيل: ما يحدثه بمشيئته في الكون من عطاءٍ ومنْعٍ أو فتْحٍ وغلْقٍ.

على كلٍّ فالمعنى: إنّ الله عنده خزائن السماوات والأرض، ومفاتيحها عنده، فهو الحاكم والمتصرّف فيها، يفتحها على مَن يشاء ويمسكها عمّن شاء، يوسّع على مَن يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التامّ، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيءٍ قدير[٢]، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٩]، وقوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ

---

(١) المقاليد: المفاتيح بالفارسيّة، واحدها مِقْليد ومِقْلَاد، انظر: جمهرة اللغة، محمد بن دريد (٦٧٥/٢)؛ تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٤٧/٩).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٢١/٢١)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١١٢/٧).

خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠].

ومن أخصّ المفاتيح التي عند الله تعالى: ما جاء في قوله تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، فهذا ممّا اختصّ الله به سبحانه وجاء حصره وقصره عليه، ودليله هنا أمران: تقديم الجار والمجرور، والإثبات المتبع بالنفي، فالله الفتاح عنده وحدَه مفاتيح الغيب أي خزائن الغيب(١).

والمعنى: إنّ عنده سبحانه خاصّةً مخازن الغيب، أو المفاتح التي يتوصّل بها إلى المخازن، ثمّ أكّد ذلك بقوله: ﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فلا عِلْمَ لأحدٍ مِن خلقه بشيءٍ من الأمور الغيبيّة التي استأثر الله بعلمها، ويندرج تحت هذه الآية علْمُ ما يستعجله الكفار ويستفتحونه من العذاب كما يرشد إليه السياق اندراجًا أوّليًّا(٢).

غير أنه اختُلف في تحديد ذلك الغيب على أقوال عديدة، وأرى أنّه يُغني عن كلّ ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمسٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]»(٣)، ففيه تعدادٌ لأصول الغيب ومجموعه، وكلُّ ما ذُكِر بعدَه فهو من التفصيل والتمثيل.

وإنّما خصّها الله تعالى بالذكر دون سائر المفاتح التي بيده؛ صوناً للغيب من محاولة العابثين لدركه، وإقفالًا للباب دون مَن يرومُ معرفتَه، وردًّا على المتجاسرين المدّعين لأنفسهم إحاطتهم

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين (١/١٩٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد هرّاس (١/٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الأنعام، باب {۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا} [سورة الأنعام:٥٩]، (٦/٥٥)، برقم ٤٦٢٧.

بعلمه(١).

بهذا نكون استفدنا من دلالة النصوص: أنّ مقاليد السماوات والأرض ومفاتيحَها من اختصاص الله تعالى وحدَه، وأنّ مفاتيحَ الغيب مثلُها في تفرّد الله بعلمها دون خلْقه.

المسألة الثانية: بيان الآيات التي جاءت فيها المقاليد

وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر: ٦٢-٦٦]. وقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقولُه تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢ ۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى:

---

(١) يشكل على البعض ما قد وصل له العلم الحديث، من إخبارٍ ببعض مفاتح الغيب التي اختصّ الله بها، مثل: الإخبار عما في الأرحام، أو نزول المطر، أو حصول الخسوف والكسوف، وغيرها، ويقول: كيف الجواب عن هذا؟

أقول: لا إشكالَ في ذلك ولله الحمد، ويكون الجواب من وجوهٍ عدّة، منها:

إنّ إخبارهم بشيءٍ من الغيب كان بعد بظهور بعض أدلّته والأمور المتعلّقة به، وأمّا قبله فليس بمقدورهم ذلك، وهذه الأسباب يعلمها غيرُ مَن أخبر بها فليست من الغيب المطلق، بل هو ممّا أخبر الله به بعضَ عباده، إذًا فليس بمقدور أحدٍ الإخبارُ عن نوع الجنين مثلًا أو وقت نزول المطر إلّا بعد ظهور الأسباب المتعلّقة به، فرقٌ بين إخبار الله عن الغيب، وإخبار الناس عنه، فإنّ الأول قطعيٌّ متحقّقٌ وقوعه، والثاني غاية ما فيه الظنّ والتعويل على ما يظهر من أسباب.

إنّ الأمور بمجرّد وقوعها، فإنّها تخرج من الغيب المطلق إلى الغيب النسبي الذي يعلمه بعض الناس دون البعض. انظر: المسلك الرشيد شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (٢/١٥١).

١١-١٣]، وقولُه تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الشورى: ١٨].

وبالتأمّل في الآيات السابقة يظهر لنا مدى إحكام القرآن، وترابط آياته واتّساقها في نسقٍ واحدٍ لإقرار بعض أركان الإيمان، وهي الإيمان بالله وربوبيّته والرسل والمعاد، وهي الأركان التي اتّفقت جميع الأديان، ولا عجب في ذلك فإنّه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ(١).

بعد تفصيل دلالات معاني اسم الله (الفتّاح) في النصوص الشرعيّة، فإنّه يمكن إجمالها في أربعة أوجه، وهي:

"أحدها: الفتح الذي هو ضدّ الاغلاق، ومنه قوله تعالى في الزمر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

والثاني: القضاء، ومنه قوله تعالى في الأعراف: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وفي سبأ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦]، وفي السجدة: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٩]، وفي الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح: ١].

والثالث: الارسال. ومنه قوله تعالى في الأنبياء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء:٩٦]، وفي المؤمنين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [المؤمنون: ٧٧]، وفي فاطر: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾ [فاطر: ٢].

والرابع: النصر. ومنه قوله تعالى في النساء: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٤١]، وفي المائدة: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]، وفي الصف: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ [الصف: ١٣] "(٢).

أضيف إلى ما ذُكر في النقل السابق: أنّ ممّا جاء في كتب التفسير لمعنى الفتح: الحكم، وقد فُسّرت به أكثرُ من آية، كما سبق بيانه.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية، (٥/٣).

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن الجوزي (ص: ٤٦٢).

وجميع تلك المدلولات المستنبطة من النصوص الشرعيّة حقٌّ لله تعالى، ومَنْ خالفها أو عارضها انطبق عليه قولُه تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦﴾ [الفتح: ٦]، وهو ظانٌّ بالله ظنَّ سَوءٍ باطل.

"وإنّما كان هذا ظنَّ السَّوْء، وظنَّ الجاهليّة المنسوب إلى أهل الجهل، وظنَّ غيرِ الحقِ؛ لأنّه ظنّ غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاتِه العليا وذاتِه المبرَّأة من كلِّ عيبٍ وسوءٍ، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرّده بالربوبيّة والإلهيّة، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يُخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله أنّه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنّهم هم الغالبون، فمن ظنّ بأنّه لا ينصر رسوله، ولا يتمّ أمره، ولا يؤيّده ويؤيّد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنّه لا ينصر دينه وكتابه، وأنّه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحقّ إدالةً مستقرّةً يضمحّل معها التوحيد والحقّ اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا، فقد ظنّ بالله ظنّ السَّوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإنّ حمده وعزّته وحكمته وإلهيّته تأبى ذلك، وتأبى أنْ يذلّ حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرّة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به.

فمن ظنّ به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك مَن أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيّته وملكه وعظمته، وكذلك مَن أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمةٍ بالغةٍ وغايةٍ محمودةٍ يستحقّ الحمد عليها، وأنّ ذلك إنّما صدر عن مشيئةٍ مجرّدةٍ عن حكمةٍ وغايةٍ مطلوبةٍ هي أحبّ إليه من فوتها، وأنّ تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يحبّ، وإن كانت مكروهةً له فما قدرها سُدًى، ولا أنشأها عبثًا، ولا خلقها باطلًا، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾ [ص: ٢٧]، وأكثر الناس يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ السّوء فيما يختصّ بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلّا مَن عرف الله وعرف أسماءَه وصفاته، وعرف موجبَ حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظنَّ به ظنّ السّوء.

ومَن جوّز عليه أن يعذب أولياءَه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوّي بينهم وبين أعدائه، فقد ظنَّ به ظنَّ السّوء.

ومَن ظنّ به أن يترك خلقَه سُدًى معطّلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رُسُلَه، ولا

ينزل عليهم كتبه، بل يتركهم هملًا كالأنعام، فقد ظنّ به ظنّ السوء.

ومَن ظنّ أنّه لن يجمع عبيدَه بعد موتهم للثواب والعقاب في دارٍ يجازي المحسنَ فيها بإحسانه والمسيءَ بإساءته، ويبيّن لخلقه حقيقةَ ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلّهم صدقه وصدق رسله، وأنّ أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظنَّ به ظنَّ السّوء.

ومن ظنّ أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه الكريم على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سببٍ من العبد، أو أنّه يعاقبه بما لا صنعَ فيه ولا اختيارَ له ولا قدرةَ ولا إرادةَ في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظنّ به أنّه يجوز عليه أن يؤيّد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيّد بها أنبياءه ورسله، ويجريها على أيديهم يضلون بها عباده، وأنّه يحسن منه كلّ شيءٍ حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم أسفل السافلين، وينعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه، فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء"(١).

فهو مسيءٌ مخطئٌ، ويجب عليه أن "يتب إلى الله تعالى، وليستغفره كلَّ وقتٍ مِن ظنِّهِ بربّه ظنّ السوء، وَلْيَظُنّ السوءَ بنفسه التي هي مأوى كلِّ سوءٍ ومنبعُ كلِّ شرٍّ، المركبةُ على الجهل والظلم، فهي أولى بظنّ السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين، الغنيِ الحميدِ الذي له الغنى التامّ والحمدُ التامّ والحكمةُ التامّة، المنزّه عن كلِّ سوءٍ في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاتُه لها الكمال المطلقُ من كلِّ وجهٍ، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلُّها حكمةٌ ومصلحةٌ ورحمةٌ وعدلٌ، وأسماؤه كلُّها حسنى

فلا تظنَّنَّ بربّك ظنّ سوءٍ   فإنّ الله أولى بالجميل (٢)



(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن القيم، محمد بن القيم (٣/٢٠٥-٢٠٧).

(٢) المصدر السابق (٣/٢١١).

[illegible]

من تأمّل أدلة الشرع عامة، وموارد اسم الله (الفتّاح) خاصة، واستقرأ كلام السلف رحمهم الله فيما يتصل بهذا المفهوم عرَف أنّهم قد جعلوا للفتح الشرعي خصائص تحدده وتميزه عن غيره، وأسبابًا يتوصّل بها إليه، وله في المقابل موانع تحجبه عن العبد.

هذا وإنّ عباد الله الموفّقين، يُديمون النظر في كتاب الله تعالى، وأحاديث رسول الله ﷺ وما جاء عن سلف الأمة الصالحين رحمهم الله، يتأمّلونها ويتدبّرونها؛ ليبلغوا بها إلى ما فيه خيرُهم ونفعُهم، وما يكون سببَ فوزِهم وفلاحِهم في الدنيا والآخرة، وإن كان الفتح من الله أحدَ الأمور المؤدّية إلى ذلك؛ فإنّي سأذكر للقارئ الكريم فيما يلي خصائصه المميزة له، والأسباب الجالبة له؛ ليأخذها، وموانعه؛ ليدعها ويطّرحها.

المطلب الأول:
خصائص الفتح الشرعي

يرى البعض عدم صحة إقرار السلف الصالح رحمهم الله لمفهوم الفتح بالجملة؛ لما يصاحب هذا المصطلح من خرافات وخزعبلات بعضها أقرب للخيال منها للواقع، لكن التحقيق الصحيح خلاف ذلك، فهم يقررون وجوده[١]، فمن "أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم؛ من خوارق العادات، في أنواع العلوم، والمكاشفات، وأنواع القدرة، والتأثيرات[٢]، وكالمأثور عن سالف الأمم، في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١١/ ٣٣٨).

[٢] "المؤثر: ما له تأثير في الشيء إما تام فهو العلة التامة أو غير تام فهو العلة الناقصة."، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي نكري (٣/ ٢٦٥)

الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة"(١).

ويعرفونه بأنه: "علوم يحدثها الرب ﷻ في قلب العبد، ويطلعه بها على أمور تخفى على غيره"(٢)، سواء كانت علومًا شرعية أو كونية أو ما يصح جعله معرفة؛ غير أنهم في الغالب لا يعبرون عنه بهذا المصطلح، إنما يسمونه بمسمَّيات أخرى كالإلهام والفراسة والتحديث والرؤيا ونحوها(٣)، وهذه المفردات تدل على جزء معنى الفتح أو الكشف البدعي الذي هو جنس تحته أنواع متعددة؛ لذلك فإن" الكشفُ عند التحقيق ضرب من الرؤيا"(٤)، فما دام المعنى متحد فلا مشاحة في الاصطلاح، والمسميات لا تغير من حقيقة المسمى شيئًا.

ويستدلون على بعض أنواع الكشف والفتح بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [سورة القصص:٧]، وهذا وحي إلهام قذفه الله في قلبها لا وحي نبوة(٥)، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب» (٦)، ومنها حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر: ٧٥]» (٧) .

---

(١) العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، أحمد بن تيمية (ص: ١٢٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين محمد بن القيم (٣/ ٢١١).

(٣) وإنما سميته بالفتح لدلالة اللفظ اللغوي، واللفظ الشرعي عليه.

(٤) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، عبد الرحمن المعلمي (٢/ ٢٧٢).

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٩/ ٥١٩)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٣/ ٥٢٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، (١٧٤/٤)، رقم ٣٤٦٩.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب ومن سورة الحجر، (٢٠٠/٥)، رقم ٣١٢٧؛ والطبراني في الأوسط، باب الميم، محمود بن محمد الواسطي، (٨ / ٢٣)، رقم، ٧٨٤٣ بلفظه، وقال عنه الترمذي حديث غريب، وحسن اسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٢٦٨).

لكنهم وإن أثبتوا هذا الأمر فإنهم لم يَدَعُوه هكذا مطلقًا دون تقييد، ولم يتركوه مُرْسَلًا بلا خطام أو زمام، بل جعلوا له قواعد وأحكام يحاكموه إليها، وعدُّوا له خصائص تحدده حتى يكون فتحًا صحيحًا شرعيًا ومنها:

المسألة الأولى: أهدافه وغاياته:

لما أثبت السلف الصالح رحمهم الله الفتح، فإنهم قد حددوا الغاية منه، فالفتح لم يكن أبدا مقصود السلف من العبادة والطاعة، إنما أرادوا به تحقيق العبوديّة لله تعالى التي من أجلها خلق الإنسان وهي حق الله على العبيد، وإخلاص الدين له، ورجاء ثواب الله ومخافة من عقابه، ولعلّها تكون سببًا لدخول الجنة والنجاة من النار، وينكرون على من خالف هذا القصد(١).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة:٢١]، فتحقيق التقوى لله تعالى من أهداف العبادة، ويتبع ذلك تهذيب النفس بالخلاق الحسنة، وعمارة القلب بالإيمان حتى يصل إلى الطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة.

المسألة الثانية: ضبط موضوعاته ومسائله:

لأجل اعتبار الفتح شرعيًا لابد من احتوائه على موضوعات موافقة للشرع والعقل غير مباينة لهما ألبتة، و" التمييز بين الحق والباطل من ذلك: أن كل ما استقام على شرع النبي ﷺ ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرُده فهو مقبول، وكل ما لا يستقيم على شرع النبي ﷺ: فهو مردود ويكون ذلك من تسويلات النفس ووساوس الشيطان ويجب رده"(٢).

فكل فتح جاء بما يوافق النقل ولم يخالفه، أو دل على ما يقبله العقل الكامل الصحيح، فهو من الفتح المقبول عند أهل السنة والجماعة، وإلا فلا؛ لأنه لا يتصور إطلاقًا اختلافهما أو

---

(١) انظر: الصفدية، أحمد بن تيمية (٢/ ٢٣٥)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١/ ١١٩).

(٢) قواطع الأدلة في الأصول، منصور السمعاني (٢/٣٥٢).

تعارضهما(١).

المسألة الثالثة: حدود الفتح:

بعد أن أثبت السلف ﵏ وقوع الفتح: حدُّوا له حدودًا لا يتجاوزها أبدًا وهي:

جعله فتحًا لجزء مقدر محدد من الغيب لا كل الغيب، فهذا مما استأثر الله بعلمه وليس بمقدور البشر إدراكه.

وجعله فتحًا لنوع معين من أنواع الغيب، وهو الغيب النسبي الذي يطلع الله من يشاء من خلقه عليه، وليس الغيب المطلق الذي اختص الله تعالى بعلمه(٢). ولا "يحصل لغير الأنبياء نور إلهي تدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه، بحيث يصير بنفسه مدركاً لصفات الرب وملائكته، وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه؟"(٣)

فالفتح السني الشرعي جزئي مقيد وليس كلي مطلق.

وادعاء العلم بالغيب المطلق كفر أكبر، ووجه ذلك: أنه ادّعائه للنفس مشاركة ما استأثر الله بعلمه، وتكذيب لآيات القرآن، كقوله قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، قال تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩](٤)، ومدّعيه أحدُ الطواغيت التي أُمرت الرسل بالكفر بها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن تيمية (٤٢/٢)، (١٨٧/٢)؛ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (١٥١٨/٤).

(٢) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، لطف الله خوجه (٣٥٤ – ٣٥٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (٣٥٣/٥)؛ وانظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، لطف الله خوجه (٣٥٤ – ٣٥٩).

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (٤٨٤/١).

رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦](١).

و "من المكاسب المجتمع على تحريمها: الربا، والسُّحْت، والرّشاوي، وأخذ الأُجرة على النياحة والغناء وعلى الكهانة، وادّعاء الغيب وأخبار السماء"(٢)، ولهذا تُكلّم في تسمية بعض العلماء كتبهم مفاتيح الغيب، فمن الأفضل تجنّب هذه المسمّيات، وما شاكلها من الموهمات(٣).

المسألة الرابعة: دلالته:

ما يفتح به الله على المؤمن غير مجزوم به، ولا مقطوع بصحته، ولا هو حجة مستقلة أو مصدر تشريع، ولكن هو مما يستأنس به؛ لعدم عصمة من أتى به، ولا يؤمن فيه دسيسة الشيطان، واحتمال الخطأ فيه وارد، ومن زعم غير ذلك فهو ضال(٤).

واستنادًا إلى ما سبق فإنه يجب عرض الفتح والكشف على ما في الكتاب والسنة، كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو سيد المحدَّثِين والملهمين يفعل، فلم يكن يقبل شيئًا حتى يزنه بميزان الأدلة، وقد شهد له الرسول ﷺ أنه مُحدَّث مُخَاطَب، وأي الأمة خير منه؟(٥).

المسألة الخامسة: ثمرته ونتائجه:

من أفضل ثمرات الفتح وأجلها " أن يكشف للسالك عن طريق سلوكه ليستقيم عليها، وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب منها"(٦).

ولقد كان هذا حال رسول الله ﷺ وأصحابه، فكلما ارتقوا في العلم والمعرفة بالله زاد جهادهم ومجاهدتهم، لا كما يعتقده بعض المبتدعة أن الترقي في السلوك والمجاهدة مدعاة لترك الأمر والنهي، وعدم التزام بالشرع، وخروج عن طاعة الرحمن وعبادته إلى طاعة الشيطان

---

(١) انظر: ثلاثة الأصول محمد بن عبد الوهاب، (١/١٩٥).

(٢) الكافي في فقه أهل المدينة، يوسف بن عبد البر (١/٤٤٤).

(٣) انظر: معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، بكر أبو زيد (ص: ٥٠٩).

(٤) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١/٢١٤)؛ الموافقات، إبراهيم الشاطبي (٤/٤٧٠).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١١/ ٦٥)، (١١/ ٢٠٥)، (٢٤/ ٣٧٧).

(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد ابن القيم (٣/ ٢١٦).

وعبادته، وانتقال إلى مرتبة الفساق، بل ربما خرج وارتد عن الإسلام.

فيا عجبًا من إفكهم ذاك، وقد علموا أنه لا يمكن للنوع الإنساني العيش إلا في ظل اتِّباع الأمر وترك النهي[١]، و"الله لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٣] فإن كانوا موافقين له فيما أوجبه عليهم: فهم من المقتصدين، وإن كانوا موافقين فيما أوجبه وأحبه: فهم من المقرَّبين مع أن كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبًا، وأما ما يبتلي الله به عبده من السرَّاء بخرق العادة أو بغيرها أو بالضرَّاء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه؛ بل قد يسعد بها قوم إذا أطاعوه في ذلك، وقد يشقى بها قوم إذا عصوه في ذلك. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥﴾ [الفجر: ١٥] ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٦ – ١٧] ولهذا كان الناس في هذه الأمور على ثلاثة أقسام:

قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة إذا استعملوها في طاعة الله، وقوم يتعرضون بها لعذاب الله إذا استعملوها في معصية الله.....، وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات"[٢].

تلك هي الخصائص الشرعية لمفهوم الفتح التي تحدده وتميزه عن غيره، وكل فتح اجتمعت فيه تلك الخصائص فهو مقبول يؤخذ به وما عداه فمردود يرفض.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١١/ ٢٩٩)، (١١/ ٤٠٢)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/ ١١٥).

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٠/ ٣٠).

المطلب الثاني:
أسباب نيل الفتح من الله تعالى

والحديث هنا عن الأمور الموجبة لحصول الفتح وسأقسمها إلى أسباب قلبية، وأسباب فعلية قولية:

المسألة الأولى: الأسباب القلبيّة لنيل الفتح من الله

وهي أهمّ الأسباب، وأولاها بالعناية، وأحقّها بالرعايةِ والحرصِ على الإتيان بها، وشحذِ الهمّة من أجل تحقيقها؛ فمحلها القلب الذي به صلاح أو فساد الجسد، وسأذكر أربعة أسباب هي:

أولاً: الإيمان بالله تعالى وتقواه:

استقرار الإيمانُ بالله تعالى في قلب المسلم، وعَقِبَه تقوى لله بفعل الطاعات وترك الذنوب والسيئات؛ لهو من دواعي فتح أبواب السماء لنزول المطر، وفتْق الأرض لإخراج النبت والزرع، وبهذين يكون قوامُ عيش الإنسان، ليس ذلك فحسب، بل إنّه فتحٌ متّصفٌ بالبركة بشكلٍ مستمرّ، وحالٌ متواصلٌ، وهذا هو المراد بالبركة(١)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويدلّ عليه قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ١٦﴾ [الجن: ١٦].

ولما وشى الواشون بشيخ الإسلام رحمه الله حتى أُودع السجن كتبَ رسالةً وهو في محبسه قال فيها: "فإنّي -والله العظيم الذي لا إله إلا هو- في نِعَمٍ من الله ما رأيت مثلها في عمري كلّه، وقد فتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جوده ورحمته ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال... فإنّ اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه؛ إنّما هو

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٢/٢١٦).

في معرفةُ الله ﷻ، وتوحيدُه، والإيمانُ به، وانفتاحُ الحقائق الإيمانيّة والمعارف القرآنية"(١)، فالفتح بالفضل والنِّعَم والعلم والفضل مقرونٌ بالإيمان بالله سبحانه.

ثانيًا: الإخلاص لله تعالى:

ومدار قبول الأعمال عليه، وبه تتفاضل الأجور، وهو سببٌ لحصول الفتح، وقد أتتْ أدلّة الشرع موافقةً لهذا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلا الله قطُّ مخلصًا: إلّا فُتحت له أبوابُ السماء، حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر»(٢)، فما أنْ يُخلِصَ العبدُ لربّه في العبادة، إلّا وتأتيه الفتوح من الله، حتى تصلَ أعمالُه إلى الله تعالى، ما اجتنب الكبائر(٣).

فهؤلاء الصحابة ﵃ ممّن بايع الرسول ﷺ في بيعة الرضوان، أخبر الله تعالى عن علمه بما في قلوبهم من: صدق نيّةٍ، ووفاءٍ بما بايعوا عليه، والسمع والطاعة لله سبحانه ولرسوله ﷺ؛ فجازاهم الله بالرضوان، وإنزال السكينة في قلوبهم، ووعدهم على ذلك فتح خيبر الذي غنموا فيه المغانم الكثيرة(٤)، قال تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

ثالثًا: محبّة الله تعالى:

محبّة الله تعالى من أهمّ العبادات القلبيّة؛ فهي تدفع صاحبها للزومِ طاعة ربّه، والقربِ منه

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢٨/٣٠-٣١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ، باب دعاء أم سلمة (٥/٥٤٤)، برقم ٣٥٩٠؛ والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، أفضل الذكر وأفضل الدعاء، (٩/٣٠٧)، برقم ١٠٦٠١، بمثله، قال عنه الترمذي في جامعه: "حديث حسن غريب"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/٩٨٧).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد المباركفوري (٤/٢٨٦).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٢/٢٢٧)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٧/٣٤٠).

أداءً للفرائض، وإكثارًا من النوافل، حتى يبلغ بها درجةَ محبّة الله تعالى له، وحينها يبلغ صاحبها مراده، ويُعطى سؤله، وفي حديث فتح خيبر قال الرسول ﷺ: «لأعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يفتح على يديه يحبّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه»(١)، فمن صفات من ينال الفتح محبّة الله تعالى.

رابعًا: التوكل على الله

إنّ الثقةَ بالله تعالى، وتفويضَ الأمور إليه، واليقينَ بأنّ كلَّ شيءٍ داخلٌ تحت ملكه، ولا يكون شيء إلّا بإذنه، فمنه تُستجلب الخيراتُ، وبه تُدفع الشرورُ: كلُّ هذا يجعل المسلم يتوكّل على الله من أجل بلوغ مراده من فتوحات الله التي يفتح بها على عباده المؤمنين، والتوكّل من أشدّ العبادات تعلّقًا بالأسماء الحسنى، فمن عرف الله حقًّا توكّل عليه صدقًا(٢).

ومن أفضل مَن عمل بذلك هم الأنبياءُ والرسلُ عليهم السلام، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢]، فجمعوا بين التوكّل على الله، والثناء عليه بإنعامه عليه، والالتجاء إليه في النصر على عدوهم، فكان لهم من الله ما أرادوا من فتحٍ ونصرٍ.

المسألة الثانية: الأسباب الفعليّة والقوليّة لنيل الفتح من الله

هذا عامٌّ في الطاعات كلّها، وكونها هي المفتاح للجنّة، ولهذا لما قيل لوهب بن منبه رحمه الله(٣): أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، (ولكن ليس مفتاحٌ إلّا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فَتَح لك وإلّا لم يَفتح لك)(٤)، فمراده بالأسنان التزامُ الطاعة، ومراده بعدم الفتح: الفتح التامّ أو الفتح الأوليّ، وهذا في حكم البعض لأنّه قد يفتح لبعضهم فتحًا

(١) سبق تخريجه: (ص: ٦٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١٢٥/٢).

(٣) أبو عبد الله وهب بن منبّه الصنعانيّ، ولد سنة ٣٤هـ، من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن، كان ثقةً تابعيًّا، روى عن أبي هريرة يسيراً وعن عبد الله بن عمر ؆، حدث عنه: وهب ابن أخيه، ووهب بن عبد الصمد، وعمرو بن دينار، وإسرائيل. وله مصنف في ذكر ملوك حمير مفيد، توفي سنة ١١٤هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكري (٧٣/٢)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (٧٧/١-٧٨).

(٤) نقله ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، كتاب الإيمان والتوحيد، باب (٣٣٣/١٢)، برقم ٢٨٩٣.

أوليًّا أو تامًّا، إن شملته رحمة أرحم الراحمين ما دام أنّه من الموحدين[١]، وقال ابن القيم ﵀:

هـذا وفـتح البـاب لـيس بممكـنٍ = إلّا بمفتـــاحٍ علـــى أســـنانِ

مفتاحـه بشـهادة الإخـلاص والتـو = حيـــد تلـــك شـــهادة الإيمـــانِ

أسـنانه الأعمـال وهـي شـرائع الـ = إســـلام والمفتـــاح بالأســـنانِ

لا تلغـين هـذا المثـال فكـم بـه = مـن حـلِّ إشـكالٍ لـذي العرفـانِ[٢]

ولكن ثمّة أعمال خُصّت بالذكر لبيان أنّها مما ينال به الفتح، وسأذكر تسعة أسباب هي:

أولاً: أداء الفرائض واجتناب الكبائر:

فإنّ الله لما خلق الخلْقَ افترض عليهم فرائض، وحرّم عليهم نواهيَ: صغائرَ وكبائر، فمن التزم ذلك فُتِح له، عن أبي هريرة وأبي سعيد ﵄ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من عبدٍ يُصلّي الصلوات الخمس ويصومُ رمضان ويخرجُ الزكاة ويجتنبُ الكبائر السبعَ؛ إلّا فُتحت له أبواب الجنة فقيل له: ادخل بسلام»[٣]؛ ذلك أنّ "المسلم الصادق إذا عبدَ الله بما شرع، فتح الله عليه أنوار الهداية في مدّةٍ قريبةٍ"[٤]، وما إنْ يعمل بما أُمر إلّا ويَفتح الله عليه الرحمةَ من كلِّ بابٍ، ويسخّر له جميعَ الخلْق[٥].

وعن سلمة بن دينار ﵀ [٦] أنّه قال: (إذا عزم العبدُ على ترك الآثام أتتْه الفتوحُ من كلِّ

---

[١] انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (١١٠/٣).

[٢] القصيدة النونية، محمد بن القيم (ص: ٣١١).

[٣] أخرجه النسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (٤٨٧/١)، رقم ٢٤٣٧؛ وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن الصلوات الخمس إنما تكفر صغائر الذنوب دون كبائرها، (٤١٧/١)، رقم ٣١٥، بنحوه وصححه الحاكم، (٢٤٠/٢) و وافقه الذهبي.

[٤] الاستقامة، أحمد بن تيمية (١٠٠/١).

[٥] انظر: قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، أحمد بن تيمية (ص: ١٢٩).

[٦] أبو حازم، سلمة بن دينار الأعرج المدني، ولد سنة ١٣١هـ، كان من علماء المدينة، واعظًا، قاصًّا، فارسي الأصل، من أمٍّ رومية، سمع من: سهل بن سعد ﵁، وسعيد بن المسيب. وروى عنه: الزهري، ومعمر، ومالك. توفي سنة

جانبٍ)[١].

ثانيًا: الدعاء:

لا شكّ أن التوجّه إلى الله بالدعاء والالتجاء إليه وكثرة الالحاح عليه بطلب الفتح مع الالتزام بمستحبّاته، ومراعاة آدابه: من الأمور التي يحصل بها الفتح من الله ﷻ، وعن أبي الدرداء ﵁ أنّه كان يقول: (جدّوا في الدعاء، فإنّه مَن يكثر قرعَ الباب يُوشك أنْ يفتحَ له) [٢].

ومن الأزمنة والأوقات التي يُتحرّى فيها الدعاء:

- الدعاء في الثلث الأخير من الليل:

ودليله قولُه ﷺ: «إذا كان ثلثُ الليل الباقي يهبط الله ﷻ إلى السماء الدنيا، ثمّ تفتح أبواب السماء، ثمّ يبسط يدَه فيقول: هل من سائلٍ يُعطى سؤله؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»[٣].

- الدعاء عند الأذان:

ودليلُه عن أبي أمامة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «إذا نادى المنادي فُتحت أبوابُ السماء، واستُجيب الدعاء» [٤].

=
١٤٠هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٦٦٤/٣)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (١٠٠/١).

(١) نقله اسماعيل الأصبهاني في سير السلف الصالحين، (ص: ٧٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الدعاء، في فضل الدعاء، (٩٢/١٥)، رقم ٢٩٧٨٥.

(٣) سبق تخريجه: (ص: ٧٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، باب إجابة الأذان والدعاء بعده، (٥٤٦/١)، برقم (٢٠٠٤)؛ والطبراني في الكبير باب الصاد، سليمان بن حبيب المحاربي قاضي عمر بن عبد العزيز عن أبي أمامة صدي بن عجلان (١٠٢/٨)، برقم: (٧٤٩٦)، بمعناه، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٠١/١).

● الدعاء يوم الجمعة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إنّ يومَ الجمعة مثلُ يوم عرفة، وإنّ فيه لساعةً تُفتح فيها أبوابُ الرحمة، فقلنا: أيُّ ساعة هي؟ فقالت: حين ينادي المنادي بالصلاة) [١].

● الدعاء في الصلاة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إنّك ما دمتَ في الصلاة فإنّك تقرع بابَ الملك، ومَنْ يُكثر قرعَ باب الملك يُفتح له) [٢].

وكان ابن القيم رحمه الله يقول: "ينبغي للعبد أنْ يواظب على هذا الورد -وهي الأربعين ركعةً راتبةً- دائمًا إلى الممات، فما أسرعَ الإجابة وأعجلَ فتح الباب لمن يقرعه كلَّ يومٍ وليلةٍ أربعين مرّة، والله المستعان"[٣].

وقال: "وشهدت شيخَ الإسلام قدَّس اللَّه روحَه إذا أعيته المسائل، واستعصت عليه فرَّ منها إلى التوبة والاستغفار والاستغاثة باللَّه واللَّجَأ إليه، واستنزال الصواب من عنده والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلّما يلبث المدد الإلهيّ أن يتتابعَ عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهيّة إليه بأيّتهنّ يبدأ، ولا ريبَ أنّ من وُفِّقَ لهذا الافتقار علمًا وحالًا وسار قلبه في ميادينه حقيقةً وقصدًا، فقد أُعطي حظّه من التوفيق، ومَن حُرِمَه فقد مُنع الطريقَ والرفيقَ"[٤].

فعلى كلِّ مَن أراد مِن الله الفتحَ أن يلزمَ الدعاءَ ويتحرّى أوقات الإجابة، ولْيُبْشِرْ بفتوحٍ من الله (الفتّاح) عليه إن شاء الله.

ثالثًا: الجهاد في سبيل الله تعالى بالمال والنفس:

متى انضمّ الجهادُ في سبيل الله إلى الإيمان بالله والرسول حصل الفتح بإذن الله، والدليل

---

[١] نقله ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجمعة، الساعة التي ترجى يوم الجمعة (٤/١٤١)، رقم ٥٥١٢.

[٢] نقله البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة التطوع وقيام شهر رمضان، باب الترغيب في الإكثار من الصلاة (٢/٤٨٦)، رقم ٤٦٤٢.

[٣] زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن القيم (١/٣١٦).

[٤] إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن القيم، (٦/٦٧-٦٨).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف: ١٠-١٣]، فالمؤمنُ المجاهدُ موعودٌ بثوابٍ مؤجّلٍ يومَ القيامة بدخول الجنّة، وموعودٌ بفتحٍ ونصرٍ قريبٍ معجّلٍ في الدنيا(١).

رابعًا: إسباغ الوضوء، ثمّ قول الذكر الوارد بعده:

من توضّأ وطهّر ظاهره بالماء، ثمّ أتبع ذلك بتطهير باطنه بالتوحيد، والإقرار بالشهادة؛ فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانيّة، عن عقبة بن عامر ﷺ أنّ الرسول ﷺ قال: «ما منكم من أحدٍ يتوضّأ فيبلغ -أو فيسبغ- الوضوء، ثمّ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا عبدُ الله ورسولُه إلّا فُتحت له أبوابُ الجنّة الثمانية، يدخل من أيّها شاء»(٢)، فأيُّ شرفٍ كائنٍ لمن هذا حاله، حين تُفتحَ له يومَ القيامة أبوابُ الجنة الثمانيّة فيتخيّر منها ما يشاء للدخول، بسبب عملٍ سهلٍ يسيرٍ كهذا، استحقّ صاحبُه به هذا النوالَ العظيم(٣).

خامسًا: ذكر الله تعالى، والثناء عليه وتعظيمه بما هو أهله:

لأنّ ذكرَ الله وتمجيدَه على ما يليق بجلال الله وكبريائه أَمَارةٌ على ما وَقَر في القلب من خضوعٍ وتعظيمٍ لله؛ حتى كانت من أسباب فتح أبواب السماء، عن ابن عمر ﷺ قال: بينما نحن نصلّي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجلٌ من القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا، فقال رسول الله ﷺ: «من القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. قال: عجبتُ لها! فُتحت لها أبوابُ السماء. قال ابن عمر: فما تركتهنَّ منذ سمعتُ

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٦٤/٢٣)، تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١١٢/٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، (١٤٤/١)، برقم ٢٣٤.

(٣) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي، عبد الرحمن السيوطي (٩٣/١).

رسولَ الله ﷺ يقول ذلك»[١]، قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، فذِكْرُ العبد لله، وثناؤُه عليه مرفوعٌ إلى الله، ومعروضٌ عليه، يُجازى به العبدُ أحسنَ الجزاء وأوفاه[٢].

سادسًا: تلمُّسُ السلطان حاجةَ الرعية، وفتحُ بابه لهم:

دليله عن حرام بن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن وَلِيَ مِن أمر السلطان شيئًا ففتح بابَه لذي الحاجة والفاقة والفقر؛ يفتح الله أبواب السماء لحاجته وفاقته وفقره. ومَن أغلق بابه دون ذوي الحاجة والفاقة والفقر؛ أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وفاقته وفقره»[٣]، في الحديث حثٌّ وحضٌّ للولاة وأئمّة المسلمين بفتح أبوابهم لرعيّتهم ليكونوا ممّن فُتح لهم ولحاجتهم أبوابُ السماء.

سابعًا: انتظار الصلاة بعد الصلاة:

الصلاةُ عمودُ الدين ودليلُ الإيمان، سيّما لمن رابطٌ لأجل أدائها، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: صلّينا مع رسول الله ﷺ المغربَ فرَجَع مَن رَجَع، وعقّب من عقّب، فجاء رسول الله ﷺ مسرعًا قد حفزه النفس، وقد حسر عن ركبتيه فقال: «أبشروا هذا ربُّكم، قد فتح بابًا من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي، قد قضوا فريضةً، وهم ينتظرون أخرى»[٤]، وهذا أحدُ الكفّارات التي يختصم فيها الملائكة المقرّبون، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «أتاني ربّي في أحسن صورةٍ، فقال: يا محمد، قلت: لبّيك ربّي وسعديك، قال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، (٢/٩٩)، رقم ٦٠١.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٠/٤٤٤)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٦/٥٣٦)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٦٨٥).

(٣) سبق تخريجه: (ص: ٧٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، (١/٥١٣)، برقم ٨٠١؛ وأحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، (٣/١٤٢٠)، رقم ٦٨٦٥، بنحوه مطولًا، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/٢٦٥)، وقال في صحيح الجامع الصغير وزيادته: "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم" (١/٦٩).

فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: ربِّ لا أدري، فوضع يدَه بين كتفّي، فوجدت بردَها بين ثديي، فعلمت ما بين المشرق والمغرب، فقال: يا محمد، فقلت: لبّيك ربّ وسعديك؟ قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الدرجات، والكفارات، وفي نقلِ الأقدام إلى الجماعات، وإسباغِ الوضوء في المكروهات، وانتظارِ الصلاة بعد الصلاة، ومَن يحافظ عليهنَّ عاش بخيرٍ ومات بخيرٍ، وكان مِن ذنوبه كيوم ولدته أمُّه»(١).

"اختصامُهم إمّا عبارةٌ عن تبادرهم إلى إثباتِ تلك الأعمال والصعودِ بها إلى السماء، وإمّا عن تقاولهم في فضلها وشرفها، وإمّا عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل؛ لاختصاصهم بها، وتفضّلهم على الملائكة بسببها مع تهافتهم في الشهوات"(٢)، فلهذا الفضل المذكور كان فتح أبواب السماء ومباهاة الله ملائكته بصالحي خلْقه.

وأداءُ الصلاة فرضًا والإكثارُ منها نفلًا من أسباب نيل الفتح؛ لهذا قال ابن القيم ﵀ بعد أنْ سرد الأربعين ركعةً التي هي مجموع ما كان يواظب عليه الرسول ﷺ منها في اليوم والليلة: "فينبغي للعبد أنْ يواظب على هذا الورد دائمًا إلى الممات، فما أسرعَ الإجابة وأعجلَ فتح الباب لمن يقرعه كلَّ يومٍ وليلةٍ أربعين مرّةً، والله المستعان"(٣).

ثامنًا: الصبر:

فبالصبر ينال المسلم ما يرجوه ويأمله من فتحٍ ونصرٍ، عن ابن عباس ﵄ أنّه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا غلام -أو يا غُليّم- ألَا أعلّمك كلماتٍ ينفعك الله بهنّ؟، فقلت: بلى، فقال: احفظِ الله يحفظْك، احفظِ الله تجدْه أمامك، تعرَّف إليه في الرّخاء يعرفْك في

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ‘، باب ومن سورة ص، (٢٨٣/٥)، رقم ٣٢٣٤، من حديث ابن عباس﵄؛ والدارمي في مسنده، كتاب الرؤيا، باب فِي رؤيا الرب تَعَالَى فِي النوم (١٣٦٥/٢)، رقم ٢١٩٥، بنحوه مختصرًا، من حديث عبد الرحمن بن عائش ﵁، وقال عنه الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، صححه الألباني في موسوعة العقيدة (٧٥٧/٧).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد المباركفوري (٧٤/٩).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن القيم (٣١٦/١).

الشدّة... واعلمْ أنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرجَ مع الكرب، وأنّ مع العسر يسرًا»(١)؛ فالصبرُ مفتاحُ كلِّ خيرٍ، وبه يحصلُ للمرء النصرُ على عدوّه، سواءٌ كان عدوًا ظاهرًا كالكافرين، أو باطنًا كنفسه وهواه، فإنّ المرء في كلِّ أمرِه محتاجٌ للصبر؛ ومن ترك الصبر بات أسيراً عند أعداءه(٢)، "وقد جعل الله سبحانه لكلِّ مطلوبٍ مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور... ومفتاح النصر والظفر الصبر"(٣).

تاسعًا: التفكر والتذكر:

على مَن أراد نيل الفتح من الله إعمالُ عقلِه بالتفكّر، وقلبِه بالتذكّر حتى يبلغ مرادَه من الفتح، وهذا هو دأْب الصالحين وعادتهم، قال ابن القيم ﷺ: "والتذكّر والتفكّر منزلان يثمران أنواعَ المعارف، وحقائقَ الإيمان والإحسان، والعارفُ لا يزال يعود بتفكّره على تذكّره، وبتذكّره على تفكّره، حتى يفتح قُفْل قلبه بإذن الفتّاح العليم"(٤)، وقد أثنى الله في كتابه على أهل التفكّر والتذكّر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحل: ١١]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوۡمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣﴾ [النحل: ١٣]، لأنّهم "يستحضرون في ذاكرتهم ما ينفعهم من العلم النافع، ويتأمّلون ما دعاهم الله إلى التأمّل فيه حتى يتذكّروا بذلك ما هو دليل عليه"(٥).

فكلُّ مَن تأمّل، وأعمل خاطره في مسألةٍ لم يكن له بها علمٌ، فإنّه سيفتح له فيها بإذن الله؛ ما دام مستعينًا بربّه طالبًا منه الفتح، ومثله مَن كان عنده علمٌ بها، ولكنّه نسيها، ولم يقدر

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم ٪، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ﷺ عن النبي ‘، (٢/٦٨٠)، رقم ٢٨٤٩؛ والترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ‘، باب، (٤/٢٨٤)، رقم ٢٥١٦، بنحوه مختصرًا، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/١٤٥٩)؛ وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/١٣١٨).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، عبد الرحمن الحنبلي (١/٤٨٩-٤٩٠).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن القيم، (ص: ٦٨).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١/٤٤٠).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٤٣٧).

على استحضارها فإنّه متى ما تذكّر، واستدعى ما كان غائبًا عليه من العلم؛ حصل له الفتح والتذكّر بأمر الله، فيكون تفكّره وتذكّره علمًا داعيًا له إلى فعل الأمر وترك النهي(١).

هذه هي الأسباب المؤدّية إلى بلوغ الفتح من الله تعالى، ومنها أسبابٌ قلبيّةٌ، ومنها أسبابٌ فعليّة قوليّة، جاءت بها الأدلّة في كونها من أسباب وموجباته.

وعلى هذا فمن فُتح له شيءٌ من أبواب الخير فلْيلزَمْه متمسّكًا به، وليكن دائمَ العمل به، شكرًا لله على ذلك، ورجاءَ المزيد من فتحه وإنعامه.

ولما كتب عبد الله ابن المبارك(٢) إلى الإمام مالك -رحمهما الله- كتابًا يحثّه فيه على اعتزال الناس والتعبّد، ردَّ عليه قائلًا: "إنّ الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رجلٍ فُتِح له في الصلاة ولم يُفتح له في الصوم، وآخرُ فُتح له في الصدقة ولم يُفتح له في الصوم، وآخرُ فُتح له في الجهاد، فَنَشْرُ العلم مِن أفضل أعمال البرِّ، وقد رضيتُ بما فُتِح لي فيه، وما أظنُّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبرٍّ"(٣)

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن القيم (٢/٦٠٧-٦٠٨).

(٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، ولد سنة ١١٨هـ، العالم الزاهد أمير المؤمنين في الحديث، تتلمذ على: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وروى عنه: معمر، والثوري، وأبو إسحاق الفزاري، له مصنفات عديدة منها: الزهد والرقائق، الجهاد، وتوفي سنة ١٨٢هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٣/٣٢-٣٤)؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٤/٨٨٢).

(٣) سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي (٨/١١٤).

المطلب الثالث:
موانع حصول الفتح من الله

كما أنّ للفتح أسبابٌ تؤدّي إلى حصوله، فإنّ له في المقابل صوارفُ تمنعه، وموانعُ تحجبه عن العبد تُسمّى الغيم[١] -وهو حجاب المؤمن عن ربّه- وهذه الحجب والموانع منها القلبيٌّ، ومنها العمليُّ، ومن أجمع النقولات في تعدادها، ما كتبه ابن القيم ﷺ[٢]، وهي السبعة موانع الآتية:

المانع الأول: الكفر بالله والتكذيب بآياته.

وهذا أول حبائل الشيطان التي يضعها للعبد، وغاية مراده منه، فإن ظفر بذلك منه؛ جعله ضمن جنده وعسكره، وحينها يحرم من الفتح في الدنيا والاخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ [سورة الأعراف:٤٠]، فكل من كذَّب بالله وحججه ولم يصدق بما جاءت به الرسل عليهم السلام واستكبروا عن اليقين بها، فإن جزاؤهم حجب أعمالهم عن الله، فلا يرفع لهم منها إلى الله تعالى شيء، إذ أن كل أعمالهم خبيثة سيئة ولايرفع إلى الله تعالى إلا الكلم الطيب والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾ [سورة فاطر:١٠]، ولا تفتح أبواب السماء لأرواحهم عند خروجها من أجسادهم أيضًا[٣].

---

[١] كلمة معناها تغطية القلب وستره بشي يغشاه. انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤/٤٠٦-٤٠٧)؛ جمهرة اللغة، محمد بن دريد (١/١٦٠).

[٢] انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/٢١١-٢١٢).

[٣] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٢/ ٤٢١)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣/ ٤١٢).

واختلف القراء في قراءة الآية، حيث قرأها الكوفيون: (لا يُفَتَحُ) أي: لا تفتح لهم جميع الأبواب مرة وفتحة واحدة، وقرأ الباقون: (لا تُفَتَّحُ) أي: لا تفتح لهم الأبواب باب تلو الباب مرة بعد مرة[١].

المانع الثاني: تعطيل الله سبحانه عن أسمائه وصفاته ونفيُ حقيقتها عنه، وهو أشدّها وأقواها، فكيف لعبدٍ تجرّأ على ربّه بتجريده عنها، ولم يدعُ ربّه أصلًا بمقتضى أسمائه ولا بلوازم صفاته، فأنّى له أن ينال الفتح.؟

المانع الثالث: البدعة في الدين.

يشمل هذا البدع بأنواعها الاعتقادية، كأقوال الفِرَقِ الضّالّة والمنحرفة عن منهج السلف الصالح رحمهم الله، والبدع العبادية سواء القولية أو العمليّة، وإن كانت الأولى شر من الآخرة، لكنهما متلازمان قل أن يفترقا[٢].

وهي أحب إلى الشيطان من المعاصي والذنوب؛ والبدعة قريبة من الكفر والشرك، بل هي مدخلها والباب المفضي لها وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: (تزوجت الحقيقة الكافرة، بالبدعة الفاجرة، فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة)[٣].

إن المبتدع ضال عن الصراط المستقيم، خارج عن مقصد الشرع، بدلالة الشرع والعقل.

فمن أدلة الشرع: ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «كل بدعة ضلالة،» [٤]، والشارع الحكيم قد جعل للعبد طرقًا يسير عليها، وقَصَر عليها الخلق والأمر، وأعلمنا أن الخير في لزومها، وأن الشر في تركها، والله الخالق يعلم ونحن لا نعلم.

أما دلالة النظر العقلي: فإنه قد علم بالتجربة والخبرة في الدنيا عدم قدرة العقل على

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٢/ ٤٢٦).

(٢) انظر: التمسك بالسنن والتحذير من البدع، محمد الذهبي (١٢٤ -١٢٨).

(٣) نقله عنه ابن القيم في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٣٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٣/ ١١)، رقم ٨٦٧.

الاستقلال التام بمعرفة النفع والضر في الأمور الدنيوية والأخروية [(١)]، فمن ترك الشرع، واكتفى بالعقل فقد ضل، وهو كما قال أيوب السختياني رحمه الله [(٢)]: (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا) [(٣)]، وصدق رحمه الله، فالمبتدع لن تقبل منه الطاعات والقربات، ولن ينال الهدى والفتوحات، وإن قامت بهم الأعمال قعدت بهم النيات.

المانع الرابع: الكبائر من الذنوب.

سواءٌ كانت باطنةً: كالكبر والعجْب والحسد والفخر، أو ظاهرةً: كالفسق والكذب وغيرها.

غير أنّ حجاب أهل الكبائر الباطنة أرقُّ وأخفُّ من حجاب أهل الكبائر الظاهرة؛ لأنّ بعض هؤلاء مدلّسين ملبّسين على الناس، يُلبسون فساد قلوبهم ثيابَ الطاعة والعبادة.

وهي من مصائد الشيطان التي يجملها في قلوب العباد، ثم يفتح لهم باب الإرجاء وأنه لا تضر مع الإيمان معصية، ويغرر صاحبه بأنه مازال من أهل السنة وفساق اهل السنة في جملة أولياء الله، حتى يألفها، ويصبح معاندًا لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ناهيًا عن كل ما أمر به، آمرًا بكل ما نهى عنه.!

المانع الخامس: الصغائر من الذنوب.

فهي وإن لم تبلغ حدَّ الكبائر في الفحش إلّا أنّها تصرفُ عن العبد بلوغَ الفتح، وهي مصيدة كبرى للشيطان يهونها في عين فاعلها، بأن ترك الكبائر مكفرة لها فكأنها لم تكن، وأن التوبة منها تبدلها إلى حسنات، فما يزال الشيطان به على ذلك حتى يضحي أسوأ حالا من مرتكب الكبيرة، وما يزال يهونها عليه ويصغرها في ناظريه، فلا ينفك عن اقترافها، مصرًا على

---

(١) انظر: الاعتصام، إبراهيم الشاطبي (١/ ٦١).

(٢) أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السّختيانيّ، فقيه أهل البصرة، كان من صغار التابعين، ولد عام ١٣١ ه، سمع من: أبي العالية، وسعيد بن جبير، وروى عنه: شعبة، والسفيانان، توفي عام ١٤٠ ه، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكري (٢/ ١٣٥)؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٣/ ٦١٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٣/ ٩).

ارتكابها، وما أقبح الإصرار على الذنب، وقد حذر النبي ﷺ منها، فعن سهل بن سعدرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال : قال [١٠/٥٤٠٠] رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا بطن واد ، فجاء ذا بعود ، وجاء ذا بعود ، حتى أنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه.»(١)

المانع السادس: التوسّع في المباحات.

ومن مصائد الشيطان التي ينصبها للعبد ليوقعه في حبائله: التوسّع في المباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، ولكن الخسارة في الانجرار فيها يكون بالانشغال بها عن زيادة الطاعة والتزود للآخرة، ثم ترك السنن فالواجبات، ثم إتيان المحرّمات.

المانع السابع: الغفلة.

إن غفلةُ النفس واشتغالها بالدنيا عن تذكّر الغاية التي مِن أجلها خُلِقَ الإنسانُ، وهي مداومةُ عبادة الله وذكره حائلة بين العبد وبين درك الفتح؛ كون العبد الغافل لا شك مقصر في الإتيان بأسباب الفتح الآنفة الذكر.

فهذه جوامع مكايد الشيطان وخدعه، ولا يحصر عدد أفرادها إلا الله تعالى، وأصلُ مادة هذه الموانع ومصدرها الذي تصدرُ عنه أربعةُ أمورٍ، وليس بالإمكان كشفُ هذه الحجب ولا دفعُ تلك الصوارف إلّا بعد معرفتها، ومعرفة كيفيّة مواجهتها، وما أحسن قول القائل في جمعها :

إني بليت بأربع ما سلّطت ... إلا لعظم بليّتي وشقائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف التخلص من يدي أعدائي(٢)

إذًا جوامع الموانع أربعة هي:

١ –الشيطان: وهو أول ما يذكر هنا؛ لأنه أشد بأسًا وضررًا على العبد، ويواجه بالاستعاذة، وعصيان أوامره.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعديرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،(١٠/٥٣٩٩)، رقم ٢٣٢٧٢، والطبراني في الكبير، باب السين، أبو ضمرة أنس بن عياض عن أبي حازم، (٦/ ١٦٥) برقم ٥٨٧٢، بمثله، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:" إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين." (٣٧/ ٤٦٧)

(٢) انظر: بحر الدموع، عبد الرحمن بن الجوزي (ص: ٨٢)

٢ -النفس: وتواجه بالإخلاص لله وابتغاء وجهه والدار الآخرة.

٣ -الدنيا: وتواجه بالرغبة عنها والزهد فيها، وترك الافتتان بها.

٤ -الهوى: ويواجه بمخافته واتّباع الشرع، ولزوم الأمر [(١)].

فلئن كانت معاني الفتح متعدّدةً وجِهاتُه مختلفةً؛ فهذا جامع عوائقه وبيان موانعه الحائلة دون بلوغه، ومورِدها الذي تأتي منه، والواجب على المسلم الحذرُ منها والبعدُ عنها.

هذا ما يسّره الله وأعان وفَتَح به عليّ من بيان معنى الفتْح في اللغة والاصطلاح، وما يصحُّ إطلاقه من المعاني في حقّ الله تعالى، وتعداد موارد اسم الله (الفتّاح) في نصوص الشرع، والدلالاتِ المستفادة منها على منهج أهل السنّة والجماعة، وسرد لخصائص الفتح الشرعي، وأسباب بلوغه، وموانع حصوله.

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١/٢٣٧-٢٤٠)؛ وله: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥/ ٢٩٤-٢٩٧)؛ بدائع الفوائد، (٢/ ٧٩٩-٨٠١).

الفصل الثاني: علاقة اسم الله الفتاح بمسائل الاعتقاد

وفيه خمسة مباحث، وهي:

المبحث الأول: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان بالله تعالى

المبحث الثاني: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان بالملائكة والرسل والكتب

المبحث الثالث: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان باليوم الآخر

المبحث الرابع: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان بالقدر

المبحث الخامس: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) وفضائل الصحابة

الفصل الثاني:
علاقة اسم اللّه الفتاح بمسائل الاعتقاد

كلُّ من كان له حظٌّ من العلم بالأسماء الحسنى، وتتبّع آثارها في الخلْق والتكوين، والأمر والشرع؛ أبصرَ سريان آثارها فيهما، وعرف مدى انتظامهما بها أقوى انتظام[١]، "وهذا من أجَلِّ المعارف وأشرفها، وكلُّ اسمٍ من أسمائه سبحانه له صفةٌ خاصّةٌ، فإنّ أسماءَه أوصافُ مدحٍ وكمال، وكلُّ صفةٍ لها مقتضى وفعلٌ: إمّا لازمٌ وإمّا متعدٍّ، ولذلك الفعلِ تعلّقٌ بمفعولٍ هو من لوازمه، وهذا في خلْقه وأمره وثوابه وعقابه، كلُّ ذلك آثارُ الأسماء الحسنى وموجباتها، ومن المحال تعطيلُ أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيلُ الأوصاف عمّا تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيلُ الأفعال عن المفعولات، كما أنّه يستحيل تعطيلُ مفعولِه عن أفعاله وأفعالِه عن صفاته وصفاتِه عن أسمائه، وتعطيلُ أسمائِه وأوصافه عن ذاته"[٢].

ولا شكّ أنّ لاسم الله (الفتّاح) آثارَه المتّصلة به، وعند بحثي في تلك الآثار وجدتها متضمّنةً لعدّة قضايا عقديّة، منها: ما كان ذا صلةٍ بأركان الإيمان بالله تعالى، ومنها المتعلّق بفضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وفي هذا الفصل -إن شاء الله- سأذكر علاقةَ اسم الله (الفتّاح) وارتباطه بمسائل الاعتقاد.

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن القيم (ص:١٣٠).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٤١٨/١-٤٢٠).

المبحث الأول: العلاقة بين اسم اللّه (الفتّاح) والإيمان باللّه تعالى

المطلب الأول:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بوجوده وربوبيّته

وقد اشتمل على عدة مسائل، وهي:

المسألة الأولى: علاقة اسم الله (الفتّاح) بوجوده

تأتي مظاهر وآثار اسم الله تعالى (الفتّاح)؛ لتجلّي أدلّة وجوده سبحانه وتبرهن عليه، فعند النظر إلى تعدّد أصناف الفتح من الله، وتكرّرُ صور فتوحاته، وكثرةُ أنواعها، نجدها كلّها تؤكّد، وتُفيد يقينًا بوجود الربّ (الفتّاح) سبحانه.

إنّ آيات الأنبياء مع ما فيها من تصديق دعواهم، لهي من أظهر الأدلّة على وجود الله تعالى (الفتّاح)، وفتحه ونصره للرسل وأتباعهم، و" لا شّك أنّ لأهل الاسلام من ذلك -أي الاستدلال بالآيات على وجود الربّ الفتّاح- القدحَ المعلّى في إثبات الصانع[١] الحكيم تعالى، وعلى كلّ حالٍ فالنبوّات وآياتها البيّنة وخوارقُها الدامغة أمرٌ كبيرٌ وبرهانٌ منيرٌ، ما طرق العالم له معارض ألبتّة... ثمّ اعتضد ذلك بأمرين: أحدهما: استمرار نصر الأنبياء في عاقبة أمرهم، وإهلاك أعدائهم بالآيات الرائعة. وثانيهما: سلامتهم واتّباعهم، ونجاتهم على الدوام من نزول العذاب

---

(١) الصانع ليس من أسماء الله تعالى، بل هو مما يخبر به عنه سبحانه، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة النمل:٨٨]، والأولى استعمال اللفظ القرآني(الخالق) فإنه يدل على نفس المعنى. انظر: شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد العثيمين (٢١/١)

عليهم كما نزل على أعدائهم."(١)، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤٤]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أو لم يروا أنّا نفتح لمحمّدٍ الأرضَ بعدَ الأرض) (٢)، وقال الحسن البصري رحمه الله(٣): (يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر)(٤)، "والمعنى: أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المكذّبة، والقرى الظالمة، وإنجائه لعباده المؤمنين"(٥).

"وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحّها، وأدلّها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلّة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلّة العقليّة الصريحة بمدلولاتها؛ فإنّها جمعت بين دلالة الحسّ والعقل، ودلالتها ضروريّةٌ بنفسها؛ ولهذا يسمّيها الله سبحانه آياتٍ بيّناتٍ، وليس في طرق الأدلّة أوثق ولا أقوى منها"(٦)، يريد بها طريقة إثبات وجود الله عن طريق آيات الأنبياء، وما فيها من نصر الله الفتاح، وفتحه لهم.

المسألة الثانية: علاقة اسم الله الفتاح بربوبيّته.

وكما دلّنا اسم الله (الفتّاح) على وجود الله تعالى، يمكننا الاستدلال به على ربوبيّته من عدّة أوجه، وهي:

أولًا: الارتباط بين أقسام التوحيد.

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن الوزير اليماني (ص: ٥٥).

(٢) نقله عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧٢).

(٣) أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد قبل نهاية خلافة عمر بن الخطاب رضي الله في المدينة، كان من كبار التابعين، ومن أهل العلم والزهد والورع، حدَّث عن كثير من الصحابة منهم: عثمان، وعمران بن حصين. وروى عنه الكثير: كقتادة، وأيوب، وابن عون. وتوفي بالبصرة شهر رجب سنة عشر ومائة. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٢/٧٢)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (١/٥٧).

(٤) نقله عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، (٥/٣٤٥).

(٥) المصدر السابق.

(٦) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (٣/١١٩٧)؛ وانظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (٩/٤١).

ثبت لدينا بالأدلّة الشرعيّة أنّ اسم الله (الفتّاح) من أسماء الله تعالى، وتوحيد الأسماء والصفات مُتضمِّن توحيد الربوبيّة، والأخير من لوازم النوع الأول ومقتضياته؛ لا ينفك أحدهما عن الآخر، فمن أتى بأحدهما دون الثاني، لم يأت بالتوحيد الكامل[١]، وهذان هما قُطبا توحيد المعرفة والإثبات الذي هو حقيقةٌ في معرفة الله تعالى، وأسمائِه، وصفاته، وأفعاله، وتدبيره لخلقه، وإجراء أحكامه عليهم، وهو كثيرٌ جدًّا في القرآن، وهو التوحيد العلميّ الخبري[٢].

فإنّ إثبات اسم (الفتّاح) لله يفضي إلى إثبات أنّه الربُّ المدبّر (الفتّاح) عليهم بمقتضى ربوبيّته لهم.

ثانيًا: التطابق بين بعض صفات الربّ ومعاني اسم (الفتّاح) اللائقة به سبحانه.

من إحدى طرائق القرآن الكريم لإثباتِ الربوبيّة لله تعالى ونفيها عن غيره: بيانُ صفات كمال الله وجلاله سبحانه، ومن صفاته سبحانه أنّه يدبّر أمور خلقه بما فيه نفعُهم وصلاحُهم، فهو سبحانه: يحكم، ويقضي، ويرزق، ويهدي، وينصر، هذه بعضُ صفات الربِّ سبحانه، خلافَ ما يُعْبد من دونه من آلهة، فإنّهم موصوفون بالنقص والعيب.

ومن معاني اسم (الفتّاح) أنّه سبحانه يحكم على عباده بأحكامه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].

والله (الفتّاح) يقضي في خلقه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ٢٠].

والله (الفتّاح) يفتح عليهم بالأرزاق والأقوات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله (ص: ١٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٤١٧/٣)؛ شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن أبي العز (ص: ٤١).

والله (الفتّاح) يفتح على قلوب مَن شاء منهم بالهداية والرشاد، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥].

والله (الفتّاح) هو الناصر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الملك: ٢٠].

هكذا يُثبت الله تعالى لنفسه الربوبيّة وينفيها عن غيره، بإثبات التواؤُم والانسجام بين مقتضياتها الدالّة عليها وبين معاني اسمه (الفتّاح) من: الحكم، والرزق، والنصر، والقضاء له سبحانه.

ثالثًا: جريان أحكام فتحِ الله وقضائه على عباده.

تقرّر سابقًا أنّ من معاني الفتح فيما هو لائقٌ بالله تعالى الحكمَ والقضاءَ، وقد أعلمنا الله في كتابه بأنّه ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويدخل في خلقه أقدارُه وقضاؤُه على عباده، ويشمل أمرُه أحكامَه الدينيّة المتعلّقة بأُلُوهيّته، فالجامع بين اسم الربّ واسم (الفتّاح) هو: معنى الحكم والقضاء، والله الربُّ (الفتّاح) يحكم، ويقضي على خلقه بذلك كلّه، أي: قضاؤُه وقدره، ودينه وشرعه كلُّها جارية عليهم، ليس لأحدٍ منهم خروجٌ عن القضاء والقدر، وإن خرج بعضُ الكفّار والعصاة عن دينه وشرعه.

فإنه لا تلازم بين الأمرين؛ إذ قد يحكم الله، ويقضي قدرًا بما لم يأمرْ به شرعًا، وقد يأمر بما لم يقض به قدرًا، ويجتمع الأمران فيما حصل من عبادةٍ وطاعةٍ، ويرتفعان عمّا لم يحصل من شركٍ ومعصيةٍ، ويختصّ الحكم والقضاء الشرعيّين بما أمر به الله، ولم يفعله العبد، ويختصّ الكونيُّ منها بما يفعله العبد ويأتيه (١).

بناءً على ذلك: فالقضاء في كتاب الله نوعان:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢/٤١٢-٤١٣)؛ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن القيم (ص: ٦٩٣).

- كونيٌّ قدريٌّ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].
- وشرعيٌّ دينيٌّ، كقوله قال تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

والحكم أيضًا نوعان:

- فالكونيُّ، كقوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].
- والدينيُّ، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١] [1].

إذًا آيات الأنبياء -ومنها تأييد الله لهم بالنصر- برهانٌ على وجود الله الفتاح؛ لأنّ من معاني الفتح: النصرَ. وثبوتُ اسم الله (الفتّاح) بأدلّة النصوص دليلٌ على ربوبيّته؛ للتوافق بين مدلولات الربّ ومعاني اسمه (الفتّاح).

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢/٤١١)؛ وله: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (٢٧٦-٢٨٠)؛ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، (ص: ٥٠٦)؛ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن القيم، (ص: ٦٩٣).

المطلب الثاني:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بألُوهيّته ﷻ

لاسم الله (الفتّاح) علاقةٌ ظاهرةٌ في توحيد الإلهيّة والعبادة من عدّة أوجه، منها:

المسألة الأولى:

أنّ الله تعالى (الفتّاح) يفتح بالطاعات والعبادة لمن يريد من عباده؛ وهو من علامة إرادته ﷻ له الخير، عن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله ﷻ بعبدٍ خيراً عَسَله. قيل: وما عَسَلَه؟ قال: يفتح الله ﷻ له عملًا صالحًا قبل موته ثمّ يقبضه عليه»(١)، فإنّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً وجّهه إلى عمل الصالحات؛ ليكون ذلك سببًا لدخوله الجنّة يوم القيامة(٢)، وإنّما شبه العمل الصالح بالعَسَل؛ لأنّه به يطيب الطعام، وبالعمل الصالح يكون للعبد طيبُ الثناء، والذكر الحسن بين الناس(٣).

والغالب في الفتح على العباد بالطاعة هو المدح، لكن ليس كلُّ فتحٍ بالطاعة محمودًا، بل قد يكون بعضُ مَن فتح عليه بالعمل الصالح مستحقًّا للذمّ؛ إن لم يكن فعلُه على وفق المنهج الصحيح، فعن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ ممّا أتخوّف على أمّتي، أنْ يَكثُرَ فيهم المال، حتى يتنافسوا فيه، فيقتتلوا عليه، وإنّ ممّا أتخوّف على أمّتي أنْ يُفتحَ لهم القرآن، حتى يقرأَه المؤمنُ والكافرُ والمنافقُ، فيحلّ حلاله المؤمن» (٤).

وعليه: هذا الفضل المذكور لا يكون إلّا لمن عمل الطاعة على الوجه الذي يرتضيه الله

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٦٩).

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار، أحمد الطحاوي (٥٣/٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن الأثير (٢٣٧/٣).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، (٢٨٨/٢)، برقم ٣١٥٧، وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص (٤/٣).

تعالى ورسوله ﷺ.

المسألة الثانية:

ما ييسّره الله لعباده من الطاعات في مواسم العبادة هي مِن أسباب فتح أبواب الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتحت أبوابُ الجنّة وغُلّقت أبواب جهنم وسُلسلت الشياطين»[١].

والفتح هنا فتحٌ حقيقيٌّ لأبواب الجنّة، فإنّه لِمَا يَحصل في رمضان للمسلم من إقبالٍ على الطاعة من صيامٍ، وقيامٍ، ودعاءٍ، وكفِّ النفس عن المحرّمات ما لا يكون في غيره من الشهور، ومن كانت هذه حاله كان أقربَ لفتحِ أبواب الجنّة له؛ لإتيانه بأسباب دخولها، وأبعد عن النار؛ لانكفافه عمّا يوجب استحقاقها[٢].

إذًا لاسم الله (الفتّاح) صلةٌ بتوحيد الألوهيّة من جهتين، أولاهما: فتحه لمن أراد من عباده بأنواع العبادة، وثانيهما: كون هذه العبادات من أسباب فتح أبواب الجنّة للعبد فيدخلها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (١٢٣/٤)، برقم ٣٢٧٧؛ ومسلم في صحيحه كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، (١٢١/٣)، برقم ١٠٧٩، بنحوه.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (١٣٧/٧)؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحي النووي (١٨٨/٧)؛ انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العيني (٢٧٠/١٠).

المطلب الثالث:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بأسمائه وصفاته

وقد اشتمل على مسألتين، وهما:

المسألة الأولى: علاقة اسم الله (الفتّاح) ببقيّة أسمائه الحسنى

أسماء الله تعالى كلُّها دالّةٌ عليه؛ ولهذا نجد بعض الأسماء تأتي متقاربةً تتحدّث عن معنًى متّحدٍ؛ فالكلام العربيُّ إنْ جاءت مفرداتُه متقاربةً في المعنى يتّبع بعضه بعضًا(١).

ثمّة أسماءُ تدلّ على مثل معنى اسم الله (الفتّاح)، أو معنًى قريبٍ منه، وقد اعتنى بعض العلماء ﵏ ببيان ذلك عند شرح معاني الأسماء الحسنى، وتجنُّبًا للإطالة وكثرة التفريع سوف أقتصر على تعداد الأسماء المتقاربة في المعنى مع اسم الله (الفتّاح) على ما نصَّ عليه علماء الأمّة.

ومن العبارات المحدّدة للأسماء المقاربة لاسم الله (الفتّاح) ما قاله العلامة الزجاج –﵀ –(٢) في قوله: "الفتّاح، الحاكم، الديان"(٣).

والشيخ السعدي –﵀ – في قوله: "فالفتاح هو: الحكم، المحسن، الجواد"(٤).

وقال الشيخ زين شحاته(٥): "وأمام الحَكم الفتّاح الدّيّان يخيبُ الظالم، ولا يجد الظالمون

---

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن الزجاجي (ص: ٦١).

(٢)أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج النحوي، ولد عام ٢٤١هـ، عالم بالنحو واللغة، وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب، وأخذ عنه: أبو القاسم الزجاجي، وأبو علي الفارسي أيضًا، من مصنفاته: كتاب الأمالي، وكتاب ما فسر من جامع المنطق، وغير ذلك، توفي بعد عام ٣٠٠هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (١/٤٩-٥٠)؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٧/٢٣٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/١٥٣).

(٤) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (ص:٨٤).

(٥) زين محمد شحاته، أستاذ العقيدة بجامعة الملك سعود سابقًا، من مؤلفاته: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، النور المبين في تدبر آيات من القرآن المبين.

حميمًا ولا شفيعًا"(١).

فهذه أربعةُ أسماء ذكرها العلماءُ ﷭ في معنى اسم الله (الفتّاح) وهي: الحكم، والحاكم، الدّيّان، المحسن، الجواد.

بيانها كالآتي:

أولًا: اسم الله الحَكَم والحاكم:

الحكم في اللغة: يرجع أصلُ مادة " (حكم) الحاء والكاف والميم أصلٌ واحدٌ، وهو المنع"(٢)؛ ولأجله يُقال لمن يحكم بين الناس حاكمٌ؛ لأنّه يمنع بحكمه الظلمَ، ويقال: أحكمت السفيهَ إذا منعته عن سفهه، ويقال للجام الفرس حكمة؛ لأنّها تمنعه من الجري السريع (٣).

إذًا مدار معنى كلمة حكم هو: المنع.

الحُكم في الاصطلاح: "إسناد أمر إلى آخر إيجابًا أو سلبًا"(٤)، وحينها يظهر الأثر المترتّب على الإسناد، ومدى وقوعه من عدمه(٥).

معناه في حقّ الله تعالى: فهو في "حقيقته: هو الذي سُلِّم له الحكم، ورُدَّ إليه فيه الأمر"(٦)، وهو الحاكم بين عباده بحكمه الشرعيّ، ويحكم بينهم بقضائه وقدره، وفق حكمته (٧).

---

(١) المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٣٢٥/١).

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٩١/٢).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٧١/٤).

(٤) التعريفات، علي الجرجاني، (ص: ٩٢)؛ وانظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن السيوطي (ص: ١١٧).

(٥) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهاوني (٦٩٤/١)؛ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي نكري (٣٥/٢).

(٦) شأن الدعاء، سليمان الخطابي (ص: ٦١).

(٧) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص: ١٨٥).

والله تعالى الحكم؛ لأنّه يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، ويجازيهم على أعمالهم بالحقّ دون ظلمٍ أو حَيْفٍ، ويبيّن لعباده مواضع الحكم؛ ليحكموا بين بعضهم البعض.

أدلّته في النصوص، وفي إثباتها عدّة أدلّةٍ، منها:

١- قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

٢- عن هانئ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله هو الحَكم وإليه الحُكم»[١].

ثانيًا: اسم الله الدّيّان:

معناه في اللغة: أصلُه مأخوذٌ من " (دين) الدال والياء والنون أصلٌ واحدٌ، إليه يرجع فروعه كلّها، وهو جنس من الانقياد والذل"[٢]، والدِّيْنُ هو: الجزاءُ والحسابُ والمكافأة، ومنه قولهم: كما تَدين تُدان، أي: إنما تُجازى كما تَجزي[٣]، والدين: الطاعة والذل للمعبود، ويقال لمن عليه دينٌ: مُدانٌ، وللعبد مَدينٌ، وللأَمة مدينةٌ[٤].

كلُّ المعاني السابقة راجعةٌ إلى معنى الانقياد بحسب نوعه.

معنى الدّيّان في الاصطلاح: "المجازي الذي لا يُضِيع عملًا، بل يجزي بالخير والشرّ"[٥]، وبين الدّيانة والقضاء والحكم والشرع تقاربٌ؛ لأنّها عبارةٌ عن العلاقة ما بين الله والعبد[٦].

معناه في حقّ الله تعالى: قيل: "هو القهّار. وقيل هو الحاكم والقاضي، وهو فعَّال، من دان الناس: أي قَهَرهم على الطاعة، يقال: دِنْتُهم فدانوا: أي قهرتهم، فأطاعوا"[٧]، وهو الذي

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٣٨).

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣١٩/٢).

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، محمد الجوهري (٢١١٨/٥)؛ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣١٩/٢).

(٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، محمد الجوهري (٢١١٨/٥)؛ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣١٩/٢-٣٢٠)؛ تهذيب اللغة، محمد الأزهري (١٢٩/١٤).

(٥) الكليات، أيوب الكفوي (ص: ٤٥٠).

(٦) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهاوني (٨١٣/١).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن الأثير (١٤٨/٢).

يُجازي العباد على أعمالهم، ويُحاسبهم عليها كلٌّ بحسب عمله، ولا يظلم ربّك أحدًا (١).

أدلّته في النصوص: لم يأتِ اسم الله الدّيّان في القرآن الكريم، إنّما جاء في السنّة النبويّة في أحاديث منها:

عن عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العبادَ -أو قال: الناس- عراةً غُرْلًا(٣) بُهْمًا قال: قلنا: ما بُهْمًا؟ قال: ليس معهم شيءٌ، ثمّ يناديهم بصوتٍ يسمعُه مَنْ بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الدّيّان، لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنّة أنْ يدخلَ الجنّة، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخلَ النار وعنده مظلمةٌ، حتى أقصّه منه، حتّى اللطمةَ» (٤).

ثالثًا: اسم الله المحسن:

معناه في اللغة: أصله مادة "(حسن) الحاء والسين والنون أصلٌ واحدٌ، فالحسن ضدّ القبح"(٥)، والمحاسن من الإنسان وغيره: خلاف المساوي (٦)، "والإحسان يُقال على وجهين: أحدهما: الإنعامُ على الغير، يقال: أَحْسَنَ إلى فلان، والثاني: إحسانٌ في فعله، وذلك إذا

---

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، محمد بن الوزير اليماني (ص: ١٧٢)؛ فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر (ص:٣١١).

(٢) كان "مهاجريا أنصاريا عقبيا، وشهد أحدا وما بعدها، ...... وهو الذي سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، وتعرف تلك الليلة بليلة الجهني بالمدينة، وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة، توفي سنة ٥٤هـ" الاستيعاب في معرفة الأصحاب، عمر بن عبد البر (٣/ ٨٧٠)؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن الأثير(٣/ ١٧٧).

(٣) "الغُرْل: جمع الأغْرَل، وهو الأقلف. والغرلة: القلفة." النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن الأثير (٣/ ٣٦٢)

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين ٪، حديث عبد الله بن أنيس ﷺ، (٦/٤٣٧٠)، برقم ١٦٢٨٨؛ والحاكم في المستدرك على الصحيحين،كتاب التفسير، تفسير سورة المؤمن، احتمال المشقة في طلب الحديث، (٢/٤٣٧)، برقم ٣٦٥٩ بنحوه وصححه (٢/٤٣٧)، وسكت عنه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: "رجاله رجال الصحيح" (١٠/١٣٦).

(٥) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٢/٥٧).

(٦) انظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٤/١٨٣)؛ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٢/٥٨).

عَلِم علمًا حسنًا، أو عَمِل عملًا حسنًا"(١).

معنى الإحسان في الاصطلاح: "فعلٌ ما ينبغي فعلُه من المعروف"(٢)، ويكون على وجهٍ يأخذ فيه المرء أقلَّ ما له من حقٍّ، ويُعطي أكثر ما عليه من واجب(٣).

معناه في حقّ الله تعالى: إنّ الله تعالى محسنٌ على عباده، ما منهم أحدٌ إلّا ناله إحسانُه، فهو يعطي النعمَ العظيمة التي لا تُعدُّ ولا تُحصى(٤).

والإحسان وصفٌ لازم له سبحانه؛ فهو الذي يبيّن لعباده سبيلَ الحقّ والدين، ويهدي قلوبهم لطاعته، ويثبّتهم عليها إلى أنْ يبلغوا أعلى درجات الكرامة وأعلاها وهي الجنة(٥).

أدلّته في النصوص: لم يأتِ اسمُ الله المحسن في القرآن الكريم، إنّما جاء في السنّة النبويّة في أحاديث، منها:

١- عن شداد بن أوس ﵁ قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين قال: «إنّ الله محسنٌ يُحبُّ الإحسانَ إلى كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحَ، ولْيُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، ولْيُرِحْ ذبيحتَه»(٦).

٢- عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإنّ الله ﷻ محسنٌ يحبُّ الإحسان»(٧).

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين الأصفهاني (ص: ٢٣٦).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المناوي (ص: ٤٠).

(٣) انظر: الكليات، أيوب الكفوي (ص: ٦٤٠).

(٤) انظر: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، زين محمد شحاتة (٤١٦/٢).

(٥) انظر: فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر (ص:٣١١).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المناسك، باب سنة الذبح، (٤٩٢/٤)، برقم ٨٦٠٣؛ وأبو داود في سننه، كتاب الضحايا، باب في النهي أن تصبر البهائم والرفق بالذبيحة، (٥٨/٣)، رقم ٢٨١٥ بنحوه، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٧٤/١).

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الميم، من اسمه محمد - محمد بن عبد الله الحضرمي، (٤٠/٦)، برقم ٥٧٣٥، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: رجاله ثقات (١٩٧/٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٧/١).

رابعًا: اسم الله الجواد:

معناه في اللغة: أصلُ الكلمة مأخوذٌ من " (جود) الجيم والواو والدال أصلٌ واحدٌ، وهو التسمّح بالشيء، وكثرة العطاء"[(١)]، ويأتي الأصل: (جود) بمعنى الأمر الجيد، ولهذا يُقال للشاعر إذا أتقن الشعر وأكثر منه: شاعرٌ مجواد، أي مُجيدٌ كثيراً[(٢)].

فمدارُ الأصل جود على معنيين هما: الكثرة والإتقان.

معنى الجود في الاصطلاح: "إفادة ما ينبغي لا بعوض"[(٣)]، وتكون هذه الإفادة شاملةً للفوائد الحسيّة والمعنويّة ابتداءً لا بعد السؤال[(٤)].

معناه في حقّ الله تعالى: هو الجوادُ المطلق، كثيرُ العطاء الذي بلغ جودُه كلَّ المخلوقات، ومن جودِه ما سيكرم به عباده المتّقين في الجنة[(٥)].

ومن جوده سبحانه وكرمه "أنّه سبقتْ رحمتُه غضبَه، وحلمُه عقوبتَه، وعفوُه مؤاخذتَه، وأنّه قد أفاض على خلقه النعمة... وكتب على نفسه الرحمة، وأنّه يحبُّ الإحسان، والجود، والعطاء، والبِرّ، وأنّ الفضلَ كلّه بيده، والخيرَ كلّه منه، والجودَ كلّه له، وأحبُّ ما إليه أن يجود على عباده ويُوسعهم فضلًا، ويغمرهم إحساناً وجودًا، ويتمّ عليهم نعمتَه، ويضاعف لديهم منّته... فهو الجواد لذاته. وجُودُ كلِّ جوادٍ خلَقَه الله، ويخلقه أبدًا أقلّ من ذرة بالقياس إلى جوده، فليس الجواد على الإطلاق إلّا هو، وجوُد كلِّ جوادٍ فمن جُوده، ومحبّتُه للجودِ،

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (١/٤٩٣).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، محمد الجوهري (٢/٤٦١-٤٦٢)؛ المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٥٢٨/٧).

(٣) التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٧٩)؛ وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المناوي (ص: ٤٠٠).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المناوي (ص: ٢٥٨)؛ الكليات، أيوب الكفوي (ص: ٣٥٣).

(٥) انظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبد الرحمن السعدي (ص:٦٦-٦٧)؛ فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر (ص:٣٧٢).

والإعطاءِ والإحسانِ والبرِّ والإنعامِ والإفضالِ فوقَ ما يخطر ببال الخلْق، أو يدور في أوهامهم"(١).

أدلّته في النصوص: لم يأتِ اسمُ الله الجواد في القرآن الكريم، إنّما جاء في السنّة النبويّة في أحاديث، منها:

١- عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ﵎ يقول: يا عبادي كلُّكم مذنبٌ إلّا مَن عافيت، فسلوني المغفرةَ فأغفر لكم، ومَن عَلِم منكم أنّي ذو قدْرةٍ على المغفرة فاستغفرني بقدرتي غفرتُ له... ذلك بأنّي جوادٌ ماجدٌ، عطائي كلام. إذا أردت شيئًا فإنّما أقول له: كنْ، فيكون»(٢).

٢- عن سعد بن أبي وقاص ﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله طيّب يحبُّ الطيب، نظيفٌ يحبّ النظافة، كريمٌ يحبّ الكرم، جوادٌ يحبّ الجود، فنظّفوا -أراه قال- أفْنِيَتَكم ولا تَشبَّهوا باليهود»(٣).

فأسماء الله تعالى: الحكم، الجواد، المحسن، الدّيّان؛ هي التي نصّ عليها بعض السلف الصالح ﵏.

على أنّها مقاربة لاسم الله (الفتّاح) في المعنى، وبمعرفة معاني هذه الأسماء الأربعة نعلم علاقة اسم الله (الفتّاح) بغيره من الأسماء.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٢٢٧/١-٢٢٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب ذكر التوبة، (٣٢٥/٥)، برقم ٤٢٥٧؛ وأحمد في مسنده، مسند الأنصار ٪، حديث أبي ذر الغفاري ﵁، (٤٩٨٦/٩)، رقم ٢١٧٦٤، بنحوه، وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج مسند أحمد (٢٩٥/٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الأدب عن رسول الله ‘، باب ما جاء في النظافة، (٤٩٥/٤)، برقم ٢٧٩٩؛ والبزار في مسنده، مسند سعد بن أبي وقاص ﵁، ومما روى مهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه سعد، (٣٢٠/٣)، برقم ١١١٤ بنحوه، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب"، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، (١٢٧١/٢)، وصحح في ضعيف الترمذي جملة: إن الله جواد (ص: ٣٣٣).

المسألة الثانية: الصفات التي دلّ عليها اسم الله (الفتّاح)

إنّ أسماء الله تعالى مع كونها أعلامًا دالّةً على الله تعالى فهي مع ذلك تدلّ على أوصافه سبحانه، إذْ لا تعارض أو تناقضَ بين العلميّة والوصفيّة فيها، بخلاف أسماء الخلْق، فإنّها قد تتنافى فيها العلميّة مع الوصفيّة(١)، فإنْ نظرنا إلى جانب كونها أعلامًا اعتبرناها مترادفةً؛ لأنّها تدلّ على الله تعالى، وإنْ نظرنا إلى جانب كونها أوصافًا اعتبرناها متباينةً؛ لأنّ لكلِّ اسمٍ معنًى خاصًّا تدلّ عليه.

هذا من الكمال في أسماء الله تعالى الذي دلّ عليه القرآن الكريم بصيغٍ عديدةٍ تُثبت له الحمد سبحانه من خلال أسمائه تعالى(٢).

أولًا: تعريف الصفة في اللغة والاصطلاح

الصفة في اللغة: مأخوذةٌ من مادة " (وصف) الواو والصاد والفاء: أصلٌ واحدٌ، هو تحلية الشيء... والصفة: الأمارة اللازمة للشيء"(٣)، يقال: "وصفت الشيءَ وصفًا وصفةً. والهاء عوضٌ من الواو... والصفة كالعِلم والسواد"(٤)، فإنّ لكلِّ موجودٍ صفةٌ يُوصف بها، وبتلك الصفاتُ يمكن بيعه بها، ومن ذلك بيعُ المواصفة(٥).

صفات الله في الشرع: والمقصود هنا هو الصفات الثبوتيّة، ويُراد بها "ما أثبته الله لنفسه في كتابه من صفاته وأفعاله، وما صحّ عن رسوله أنّه أثبته له من: علوِّه فوق سماواته على عرشه،

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١/٢٨٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/٧٢).

(٣) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٦/١١٥).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، محمد الجوهري (٤/١٤٣٨).

(٥) انظر: المصدر السابق؛ لسان العرب، محمد بن منظور (٩/٣٥٦).

واستوائِه عليه، وتكلّمِه، وتكليمِه... ونحوِ ذلك من صفات كماله ونعوت جلاله"[١].

ثانيًا: الفرق بين الاسم والصفة:

إن أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى الأسماء والصفات، ولكن معناهما غير واحد، بل بينهما فروق هي:

١- أن الأسماء تدل على أمرين، فهي تدل على الذات الإلهية، وتدل على صفات الجلال والكمال، أما الصفات فإنها تدل على أمر واحد فقط وهي المعاني القائمة بالله تعالى.

٢- أن كل اسم يتضمن صفة تدل عليه، ولذلك نجد أن الصفات مشتقة من الأسماء وليس العكس، فلا يصح اشتقاق الأسماء من الصفات[٢].

ثالثًا: مسالك إثبات الصفات الإلهيّة:

يجد الناظر في نصوص الصفات سلوك الشرعَ عدّةَ مسالك لإثباتها، منها:

١- التصريح بالاسم: وذلك أنّ كلَّ اسمٍ من الأسماء الحسنى يتضمّن معنًى يُناسب ذلك الاسم، بل إنّها لولا ذلك لم تكن حسنًى وإن "لم يقمْ به فعلٌ ولا صفةٌ فلا معنى للاسم المجرد"[٣].

٢- التصريح بالصفة: فإنْ صرّح بالصفة كان ذلك دليلًا بيّنًا عليها، ويشمل التصريحُ بالصفة عدّة مناهج منها: الإخبار بالصفة، والقَسَم بالصفة، وإضافتها إلى الله تعالى.

٣- التصريح بالفعل: من أفعاله تعالى كالاستواء والنزول والمجيء، وغيرها من أفعاله

---

[١] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (٨٣٢/٣)؛ وانظر: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبد العزيز الكناني (ص: ٤٧)؛ مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٤٧/٨).

[٢] انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١٦٢/١)؛ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين (ص: ٨).

[٣] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن القيم (٦٧٠/١)؛ وانظر له: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٤٧٥/١).

الكثيرة التي لا تحصى[١].

هذه المسالك الثلاثة أَشْهَرُ وأكثرُ ما استعمله الشارع؛ لإثبات الصفات في الأدلّة الشرعيّة، وعلى هذا النهج سنسير بإذن الله في إثبات الصفات المتضمّنة لاسم الله تعالى (الفتّاح)، وقد يحصل اجتماعُ أكثر من مسلكٍ للصّفة الواحدة، وقد يُكتفى بالمسلك الواحد.

رابعًا: الصفات المتضمّنة لاسم الله (الفتّاح)

على غرار الطريقة التي انتهجتها في ذكر الأسماء الحُسنى المقاربة في المعنى مع اسم (الفتّاح)، بالاقتصار فيها على ما نصّ عليه العلماء سأمضي في القول لبيان الصفات المتضمّنة لاسم الله (الفتّاح)، مع إضافة صفة الفتح باعتبارها الصفة الأولى في تضمّنها لاسم الله (الفتّاح).

وقد نصَّ بعضُ العلماء ﷭ على بعض الصّفات المتضمّنة لاسم الله (الفتّاح)، منهم العلامة ابن كثير ﵀[٢] في تفسيره حين قال: "وهو الفتّاح العليم، أي الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور"[٣].

وكذلك العلامة عبد الرحمن السعدي ﵀ بقوله: "يفتح لمن اختصّهم بلطفه وعنايته أقفالَ القلوب، ويُدِرُّ عليها من المعارف الربانيّة والحقائق الإيمانيّة ما يُصلح أحوالهم وتستقيم به على الصراط المستقيم"[٤]، وقال أيضًا ﵀: "الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين"[٥].

وقال ﵀ حين حديثه عن متعلّقات الصفات الفعليّة، ومنها صفة الفتح: "واعلم أنّ

---

[١] انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين (ص: ٣٠)؛ فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر (ص:٥٤-٥٥)؛ العقود الذهبية على مقاصد الواسطية، سلطان العميري (١/٣٣٠-٣٣١).

[٢] أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة: حوالي عام ٧٠٠هـ، الفقيه المحدث، أخذ عن: بن عساكر والمزي، من مصنفاته: البداية والنهاية وطبقات الشافعية، توفي عام ٧٧٤ ç، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر (١/١٤٥).

[٣] تفسير القرآن العظيم (٦/٥١٧).

[٤] فتح الرحيم للملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن (ص: ٣٥).

[٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٧).

صفات الأفعال... كلُّها متعلّقةٌ وصادرةٌ عن هذه الصفات الثلاث: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامّة"(١).

وعليه فإنّ هذه الصفات الثمانية المذكورةَ هي المسائل التي سنتناولها في هذا المطلب.

أولًا: صفة الفتح

صفة الفتح من الصفات الثابتة لله تعالى، وقد مضى الحديث عن معناها بالتفصيل عند الحديث عن المعنى اللائق بالله في معنى اسم الله (الفتّاح)(٢).

وهي من الصفات الفعليّة الاختياريّة المتعلّقة بالمشيئة، التي يفعلها الربُّ ﷻ متى شاء وأراد سبحانه، ومع ذلك فإنّها أيضًا -كباقي الصفات الفعليّة- من جهة اتّصاف الربّ بها تُعدُّ صفة لله تعالى قديمةٌ، لم يزل متّصفًا بها أزلًا.

فكل صفةٍ فعليّةٍ تشمل أمرين:

١ - الأصل والجنس: وهو قديمٌ، لم يزل الربُّ متّصفًا بها؛ وإلّا لزم القوْل بحدوث الصفات العليّة لله، وأنّه لم يكن متّصفًا بها قبل، وهذا خطأٌ فالله تعالى منذ القدم متّصفٌ بصفة الفتح؛ لأنّها صفة كمال، وفقدها نقصٌ يُنزَّهُ اللهُ عنه.

٢ - الآحاد والأفراد: وهي متجدّدة محدثةٌ بعد أن لم تكن تحصل وفقَ إرادة الله ومشيئته، فكلُّ فتحٍ نراه في الوجود من حكمٍ ونصرٍ وتقديرٍ ورزقٍ وغيرها من أنواع الفتوح؛ فهي حادثة(٣).

وأمّا أدلّة ثبوتها في النصوص فهي متعدّدة، منها:

١ - تضمّنها لاسم الله (الفتّاح) الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

٢ - إثبات الفعل لله ﷻ في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا

---

(١) توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية عبد الرحمن السعدي (ص:٢٠٥).

(٢) انظر (ص: ٤٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣٠٣/١٦)؛ شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن أبي العز (ص: ٧٩).

يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر: ٢].

٣- التصريح بالصفة، عن طريق إضافتها لله ﷻ: قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ [الفتح: ١].

٤ - مجيئها بالتفضيل والإضافة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩].

وهنا إشكالان يَردان عند البعض حين سماع هذه الآية، مع الجواب عليهما:

الإشكال الأول: قد يستشكل البعض كلمةَ (بالحق) في الآية، فيقول: كيف يُطلَبُ من الله القضاء بالحقّ وهو لا يقضي إلّا بالحقّ؟

والجواب على ذلك من عدة أوجه، منها:

ليس في ذلك طلبٌ للقضاء بالحقّ، إنّما هو نعتٌ لقضائه وصفةٌ لحكمه أنّهما لا يكونان إلّا بالحقّ(١).

وقيل: هو من باب عطف الخبر على الطلب، وهو كثيرٌ في القرآن. فمنه قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٨]، ونظائره كثيرةٌ جدًّا، فكأنّ المراد: احكم بيننا الذي هو حقٌّ(٢).

قلت: كلُّ ذلك صائبٌ، يمكن به الإجابةُ على الإشكال الوارد، والله أعلم.

الإشكال الثاني: ما وجه التفضيل في الآية؟ وهل من فاتح سواه سبحانه؟

أقول: أمّا وجه التفضيل فلا شكّ بأنّ الله أفضلُ وخيرُ مَنِ اتّصف بهذا الوصف، وفيه يتحقّق كمالُه، ولا يُقصد أو يُرجى حكمٌ عادلٌ من كلِّ وجهٍ لا غبنَ فيه ولا ضيمَ ولا إجحافَ إلّا ما كان من جهته سبحانه، فهذا هو وجهُ التفضيل(٣)، فلا يظنَّ أحدٌ أنّ التساوي والتشابه

---

(١) انظر: تفسير القرآن، منصور السمعاني (١٩٩/٢).

(٢) انظر: التفسير القيم، محمد بن القيم (ص: ٤٢١).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٥٦٣/١٢)؛ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد بن عاشور (١٢/٩).

مطلقٌ من كلّ وجهٍ.

وقد بيّنت في الفصل الثامن من التمهيد حكمَ الاشتراك اللفظيّ في الأسماء بين الله تعالى وبين خلقه.

هذه هي بعضُ الأدلّة على صفة الفتح، تؤكّد أنّها من الصفات التي يُوصف بها الربُّ ﷻ.

ثانيًا: صفة الحُكم

هذه قد سبق الحديث عنها في المسألة السابقة عند الحديث عن الأسماء المقاربة لاسم الله (الفتّاح)(١).

ثالثًا: صفة العدل:

العدل في اللغة: مأخوذٌ من " (عدل) العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدلّ على استواءٍ، والآخر يدلّ على اعوجاج"(٢)، أمّا الأصل الأول فهو ظاهر المعنى، أمّا الأصل الثاني: فهو الميل بالشيء عن وجهه، ولهذا يُقال للكافر: عادل لميله بالعبادة إلى غير مستحقّها(٣)، أيضًا عدل الشيء: نظيره في القيمة والفداء، قال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣](٤).

العدل في الاصطلاح: "عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط... وقيل: العدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق"(٥)، وهذا المعنى متوافقٌ مع الأصل الأول في المعنى اللغويّ، وكذلك مِن اعتدل واستقام على ما أُمر به، فهو متوسّط بين الغالي والجافي.

---

(١) انظر (ص:١٣٤).

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤/٢٤٦).

(٣) انظر: العين، الخليل بن أحمد (٢/٣٨-٣٩)؛ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤/٢٤٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) التعريفات، علي الجرجاني (ص: ١٤٧).

معنى صفة العدل في حقّ الله تعالى: إنّه هو العادل في أفعاله، يجريها على الحقّ والعدل، لا يظلم أحدًا، أفعاله قائمةٌ على الفضل والرحمة، والعدل والحكمة، وهو سبحانه عدلٌ في أقواله، لا يأمرهم إلّا بالخير والنفع، ولا ينهى إلّا عن الشرّ والضرّ، وعدلُه سائرٌ بين خلقه في الدنيا والاخرة، فلا يُنقص لمحسن أجرًا، ولا يزيدُ على مسيءٍ وزرًا[١].

"قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨]، القسط: هو العدل، فشهد الله سبحانه: أنّه قائمٌ بالعدل في توحيده، وبالوحدانيّة في عدله. والتوحيدُ والعدل هما جماعُ صفات الكمال"[٢]، فبالتوحيد تظهر صفاتُ جماله وجلاله وعظمتُه التي لا يشاركه فيها غيره، وبالعدل تظهر حكمتُه وحسنُ تقديره وكمالُ أفعاله ووقوعها على وجه الحقّ والصواب؛ فهو كاملُ العدل سبحانه لا يظلم أحدًا[٣].

وشتّان بين توحيد الرسل وعدلهم الذي هو: إثبات الصفات الإيمان بالقدر، وتوحيد الجهميّة والمعتزلة [٤] وعدلهم الذي هو: نفي الصفات وتكذيب بالقدر، ولا أعدلَ من التوحيد، ولا أظلمَ من الشرك.

وجماع القول في صفة العدل لله تعالى هو: الشهادة له بالتوحيد، والتوجيه للعباد بإكمالها وأدائها على أتمّ الوجوه، والنهي عن كلّ ما يخالفها وينقضها، وتعليقه الثواب على الإتيان بها، والعقوبة على تركها، وعدم الوفاء بها؛ ولأجلها خُلِقت السمواتُ والأرض[٥].

أدلّة صفة العدل لله تعالى: ثبتت صفة العدل لله تعالى بأدلّة، منها:

١ – التصريح بها وصفًا لكلمة الله في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا

---

(١) انظر: شرح القصيدة النونية، محمد هراس (٢/١٠٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/٤٢٣).

(٣) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن القيم (ص: ٢٩٤).

(٤) إحدى فرق أهل الكلام، أسسها واصل بن عطاء، لما أعتزل مجلس الحسن البصري، بداية القرن الثاني الهجري، وقد افترقت فيما بينها عشرين فرقة، من أشهر رجالاتهم: عمرو بن عبيد وبشر بن المعتمر، من عقائدهم إثبات الأسماء وإنكار الصفات، وأن صاحب الكبيرة في الدنيا ليس بمؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، أما في الآخرة فهو مخلد في النار، انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (١/ ٩٣)؛ الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/٤٣).

(٥) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/٤٢٣-٤٢٤).

مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥].

٢- الإخبار عنها أنّها فعلٌ لله تعالى: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فمن يعدِلْ إذا لم يعدلِ الله ورسولُه»(١).

رابعًا: صفة العلم:

العلم في اللغة: "العين واللام والميم أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلّ على أثرٍ بالشيء؛ يتميّز به عن غيره"(٢)، "ونقيض العلم الجهل، وعَلِم الأمرَ وتعلّمه: أتقنه... وعَلِم الرجلَ: خَبِرَه... والعلم والعلمة: الشقّ في الشفة العليا، وقيل: في إحدى جانبيها"(٣).

كلُّ هذه المعاني المتعدّدة ترجعُ لأصلٍ واحدٍ، وهو: العلامة المميّزة.

العلم في الاصطلاح: "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به"(٤)، والقولان قريبان في المعنى، فإدراكُ الشيء موافقٌ لواقعه الذي هو عليه جزم بحقيقته في نفس الأمر.

أمّا معنى صفة العلم في حقّ الله تعالى: العلم صفةٌ ذاتيّةٌ للربّ لا تنفك عنه، "الذي أحاط علمُه بالظواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"(٥).

فشمل علمُه كلَّ ما يُعلم من واجبٍ وممتنعٍ وممكنٍ، فالواجب المعلوم هو: ذاتُه المقدّسة وصفاته العليّة، والممتنع: كيف وعلى أيّ حال يكون سبحانه، وأمّا الممكن: فإنّه يعلم الموجودَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم، (٤/٩٥)، برقم ٣١٥٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، (٣/١٠٩)، رقم ١٠٦٢.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤/١٠٩).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (٢/١٧٥)؛ وانظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤/١١٠).

(٤) التعريفات، علي الجرجاني (ص: ١٥٥).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٩٤٥).

منها، وغيرَ الموجود الذي لم يشأ الله بحكمته وجوده[١].

أدلّة صفة العلم لله تعالى: تُعتبر هذه الصفة من أكثر الصفات ذكرًا في النصوص، وقد وردت ضمنَ عدّة أدلّةٍ منها:

١- تضمّنها لاسم الله تعالى العليم قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

التصريح بها وصفًا لله عن طريق إضافتها لله قال تعالى: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا الاستخارة في الأمور كما يعلّمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدُكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثمّ ليقل: اللهمّ إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك»[٢].

التصريح بالفعل قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧﴾ [البقرة: ٧٧].

خامسًا: صفة اللطف:

اللطف في اللغة: "اللام والطاء والفاء أصلٌ يدلّ على رفق، ويدلّ على صغرٍ في الشيء"[٣].

وهو بفتح الطاء وضمّها، فإن قُصد المعنى الأول جاء بفتح الطاء: لطَف، وإن قُصد

---

[١] انظر: شرح القصيدة النونية، محمد هراس (٧٣/٢)؛ توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية عبد الرحمن السعدي (١٨٣/١٨٤).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، (٥٦/٢)، برقم ١١٦٢.

[٣] مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٢٥٠/٥).

المعنى الثاني جاء بفتح الطاء: لطَف[١]، والمراد به في صفات الله المعنى الأول.

اللطف في الاصطلاح: لِلُّطْفِ عدّة معانٍ منها: "الذي يرفق في العمل"[٢]، فالعلاقة ظاهرةٌ بين المعنيين اللغويّ والاصطلاحيّ، وأنّ الجامع لهما هو الرفق، والرأفة عند إيصال الخير للغير.

أمّا معنى اللّطف في حقّ الله تعالى: هو الذي يلطف بخلقه؛ فيدفعهم لفعل ما هو نافعٌ لهم في كلّ شؤونهم من حيث لا يشعرون، وإنْ دقّ ولطف، ويُكْرِم عباده المؤمنين بلطفه، فيدلّهم على طريق الطاعات، ثمّ يكرمهم ويجزيهم بها أعلى المراتب[٣].

فالله ﷻ اللطيفُ الذي وسع بعلمه كلَّ شيءٍ، وعَلِم سرائرَ الأمور وبواطنها فضلًا عن ظواهرها وما بدى منها، فيبلغ بعباده الذي هو خيرٌ لهم بعباده في معايشهم وأرزاقهم وهدايتهم، من حيث لا يعلمون ولا يشعرون[٤].

أدلّة صفة اللطف لله تعالى: لصفة اللّطف أدلّةٌ عديدةٌ منها:

١ -تضمّنها لاسم الله اللطيف في عدّة آيات، منها قولُه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقولُه تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، وفي الحديث عن حديث عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «لتخبريني، أو ليخبرني اللطيف الخبير»[٥].

٢- التصريح بالصفة عن طريق الإخبار المباشر عنها في نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى: ١٩].

سادسًا: صفة القدرة:

---

[١] انظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٢٣٥/١٣)؛ المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيده (١٧٥/٩)؛ لسان العرب، محمد بن منظور (٣١٦/٩).

[٢] جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي نكري (١٢٢/٣).

[٣] انظر: شرح القصيدة النونية، محمد هراس (٩٢/٢).

[٤] انظر: اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن الزجاجي (ص: ١٣٨)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٩٤٧).

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، (٦٣/٣)، رقم ٩٧٤.

القدرة في اللغة: "القاف والدال والراء أصلٌ صحيحٌ يدلّ على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[١] يقال: "قدَرْتُ أي: أطقْتُ، وقدرْتُ أي: ملكْتُ، وقدَّرت أيَّ وقْت"[٢]، فالقدرة هي: التمكّن من الأمر واستطاعة فعله؛ لامتلاكه القدرة عليه[٣].

القدرة في الاصطلاح: يراد بها: "التمكّن من إيجاد شيء"[٤]، وهي صفةٌ يُستطاع معها الفعل، أو الترك بالإرادة والاختيار، فكلُّ مَن أتى شيئًا، أو تركه بإرادته، فهو قادر[٥].

معنى القدرة في حقّ الله تعالى: فيها يتبيّن كمالُ قوّة الله، وعظمته، وقدرته على كلِّ موجودٍ ومعدومٍ، فبقدرته يوجدها، وبقدرته يُحكم خلقها، وبقدرته يدبّرها كلّها تحت قوّته وقدرته، وطوع يحيط بعلمه، ولا تشوب قدرته التعبَ والإعياء واللغوب[٦].

أما علاقة الفتح بالقدرة فإنّ الله بقدرته يفتح على عباده بحكمه القدريّ وأمره الشرعيّ، وبقدرته يفتح عليهم بحكمه الجزائي، فيبعثهم للجزاء، ثمّ يكافئ المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء بإساءته[٧]، وبقدرته وفتحه "يغني، ويفقر، ويعزّ، ويذلّ، ويكرم، ويهين، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، وينزل الأرزاق"[٨].

أدلّة صفة القدرة لله تعالى: ثبتت صفةُ القدرة لله تعالى بأكثر من طريق منها:

١- تضمّنها لأسماء الله ﷻ القدير، والقادر، والمقتدر في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٦٢/٥).

(٢) لسان العرب، محمد بن منظور (٧٦/٥)؛ وانظر: تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٤٠/٩).

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، محمد الجوهري (٧٨٧/٢)؛ لسان العرب، محمد بن منظور (٧٦/٥).

(٤) الكليات، أيوب الكفوي (ص: ٧٠٧).

(٥) انظر: التعريفات، علي الجرجاني (ص: ١٧٣)؛ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي نكري (٤٢/٣).

(٦) انظر: توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية عبد الرحمن السعدي (ص:١٨٤)؛ فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر (ص:٢٨٤).

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٩٤٧).

(٨) المصدر السابق (ص: ٦٥٤).

تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥]، وكلُّها من أسماء الله تعالى، لكن اسم القدير أبلغُ في وصف القدرة من اسم القادر؛ لأنّه اسم فاعل، أمّا القدير فهو فعيل من أبنية المبالغة(١).

٢- التصريح بالصفة عن طريقة إضافتها لله تعالى، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه: أنّه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألّم من جسدك وقل: باسم الله - ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر»(٢)، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا الاستخارة في الأمور كما يعلّمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثمّ ليقل: اللهم إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك»(٣).

سابعًا: صفة المشيئة:

المشيئة في اللغة: هي "مصدر شاء يشاء مشيئة"(٤)، والمشيئة: الإرادة، يقال: كلُّ شيءٍ بشيئة الله، أمّا الاسم منه فهو: الشيئة، مثل الشيعة(٥).

المشيئة في الاصطلاح هي: صفة "تُوجب تخصيصَ أحد المقدورين في أحد الأوقات

---

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن الزجاجي (ص: ٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، (٧/٢٠)، برقم ٢٢٠٢.

(٣) سبق تخريجه: (ص: ١٤٠).

(٤) تهذيب اللغة، محمد الأزهري (١١/٣٠٦)؛ وانظر: لسان العرب، محمد بن منظور (١/١٠٣).

(٥) انظر: المصدر الأخير (١/١٠٣).

بالوقوع، مع استواء نسبة القدرة إلى الكلّ"(١).

معنى المشيئة في حقّ الله تعالى: فكلّ ما في الكون تابعٌ لربوبيّته ومشيئته الواقعة لا محالة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ لأنّ مشيئته مطلقةٌ عامّةٌ خلاف مشيئة الخلْق، فإنّها مقيّدةٌ بكونها تابعةً لمشيئة الله، فلا يكون ممّا يشاؤون شيئًا إلّا أنْ يشاء الله.

ومشيئة الله مرادفةٌ لإرادته الكونيّة لا للإرادة الشرعية؛ فالإرادة الكونية هي نفسُ معنى المشيئة، وهي نافذةٌ فيما يحبّه ويرضيه، وفيما يبغضه ويسخطه(٢).

الأدلّة على صفة المشيئة: جاءت صفة المشيئة بأدلّةٍ عديدةٍ، منها:

١- التصريح بالفعل لله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٣١].

٢- الإخبار بها عن الله، قال تعالى: قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٣- قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس: ٦٦].

ثامنًا: صفة الحكمة :

الحكمة في اللغة: سبق الحديث عن ذلك في اسم الحكم(٣).

الحكمة في الاصطلاح: "معرفة الحقائق على ما هي بقدر الاستطاعة، وهي العلمُ النافعُ المعبَّرُ عنه بمعرفةِ ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهاوني، (١٥٥٣/٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد هراس (ص: ٩٩)؛ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين (ص: ٣٠).

(٣) ينظر (ص:١٣٤).

ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] "(١).

معنى صفة الحكمة في حقّ الله تعالى: هي من الصفات الذاتية لله، الدالّة على أنّ كلّ أقواله وأفعاله صوابٌ، لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا يقول باطلًا سبحانه، وقيل: هو فَعِيل بمعنى مُفْعِل أي: هو الْمُحكم للأشياء المتقن لها، لا يوجد في خلقه تفاوتٌ، ولا في أمره اختلافٌ(٢).

وحكمة الله تعالى في أفعاله هي: "الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه بخلقه وأمره، التي أمر لأجلها، وقدر وخلق لأجلها. وهي صفته القائمة به كسائر صفاته: من سمعه وبصره، وقدرته وإرادته، وعلمه وحياته وكلامه"(٣)، ولازم ذلك تحقّق ثبوت منتهى الحمد لأفعاله وأقواله، وكونها واقعةً على أتمّ الأحوال وأحسن الوجوه(٤).

أدلّة صفة الحكمة لله تعالى:

١- تضمّنها لاسم الله الحكيم الثابت في النصوص الشرعية، ومن أدلّة الكتاب قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨].

ومن السنة: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلاما أقوله؟ قال: «قل: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله ربّ العالمين، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العزيز الحكيم»(٥).

هذه الصفاتُ الثماني السالفةُ الذّكر هي بعضُ ما تضمّنه اسم الله (الفتّاح)، والله تعالى ذو الأسماء الحسنى؛ لا بُدّ من اشتمال أسمائه على صفات الكمال والجلال، فلا كمال في فتحٌ بدون علم؛ لأنّه جهل، ولا فتحٌ بدون حكم؛ لأنّه عجز، ولا فتحٌ بدون عدل؛ لأنّه ظلم، ولا

---

(١) الكليات، أيوب الكفوي (ص: ٣٨٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية محمد هراس (ص: ٩١).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٢/٤٥١).

(٤) انظر: التفسير القيم، محمد بن القيم (ص: ٣٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، (٨/٧٠)، برقم ٢٦٩٦.

فتحٌ بدون لطف؛ لأنّه قسوةٌ وعنفٌ، ولا فتحٌ بدون حكمة؛ لأنّه عبثٌ وطيشٌ، ولا فتحٌ بدون قدرةٍ ومشيئةٍ؛ لأنّه ضعفٌ وقصورٌ، وجميعُها صفاتُ نقصٍ وعيبٍ تعالى الله عنها وتنزَّه؛ يجبُ إثباتُ كمال ضدّها له سبحانه، "فإنّ الله موصوفٌ بصفات الكمال الثبوتيّة: كالحياة، والعلم، والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلبُ صفات النقص، وهو سبحانه لا يمدح بالصفات السلبيّة إلّا لتضمنها المعاني الثبوتية"[١]، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل: ٦٠]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن تيمية، (٢٠٩/٣).

المطلب الرابع:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بموضوع الإيمان والنفاق

من المسائل العقديّة المتّصلة بالإيمان بالله تعالى مسألةُ الإيمان والنفاق؛ ذلك أنّها ممّا يُتبيّن بها صدق الإيمان بالله وكماله من عدمه.

من صفات المنافقين تتبّع فتوح الله على المؤمنين، ومن خصالهم التذبذب بين الحقّ والباطل، والتردّد بين أهل الإيمان وأهل الكفر، إذ جعلوا مبتغاهم هو المال والغنيمة، فحيث وجدوهما ثبتوا هنالك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء: ١٤١]. فهم ما إنْ يحصلُ فتحٌ من الله للمؤمنين، ونصرٌ وظفَرٌ حتى يقولوا لهم متودّدين: أشركونا معكم في المغنم فإنّا كنّا قد شهدنا معكم القتال[(١)]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [العنكبوت: ١٠].

ولعلّ الله أن يأتيَ بفتحٍ من عنده، وتمكينٍ للرسول ﷺ والمؤمنين يكون سببًا في ندامة أولئك المنافقين على ميلهم للكفّار دون المسلمين، قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة: ٥٢].



(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (١/٧١٤)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٢/٤٣٦).

المبحث الثاني:
العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) والإيمان بالملائكة والكتب والرسل

المطلب الأول:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بالإيمان بالملائكة

من المظاهر التي يتجلّى فيها أثر اسم الله (الفتّاح) مثل غيره من أركان الإيمان بالله هو: ركن الإيمان بالملائكة، وذلك من عدّة معان، وهي:

المسألة الأولى: وظائف الملائكة الموكلة إليهم من ربّ العالمين:

الملائكة خلْق لله تعالى، خلَقَهم من نور، وأوكل إليهم تدبير الأمر من السماء إلى الأرض بإذن الله قال تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ [النازعات: ٥][1]، وللملائكة مهامٌّ من ربّهم ذات صلةٍ باسمه (الفتّاح)، منها:

أولًا: توكيل جبريل عليه السلام بإنزال الوحي المشتمل على فتح الله بأحكامه الدينيّة والشرعيّة:

فهو الموكّل بإنزال الوحي من السماء، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ﴾ [البقرة: ٩٧]، هذا الوحي الذي فيه الأحكام الشرعيّة التي يفتح بها الله (الفتّاح) على الخلْق.

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٩٠/٢٤)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣١٣/٨).

ثمّ يتنزّل مرّةً أخرى، ويمكنه الله من التمثّل بصورة البشر حتى يُعلِّم الناس تلك الأمور الدينيّة التي فتح الله بها، ففي حديث جبريل عليه السلام المشهور عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «هذا جبريل، جاء يعلم الناس دينهم»[1]، فإنّ حسن سؤاله عليه السلام كان سببًا لجواب النبيّ ﷺ بحديثٍ عُدَّ من الأحاديث التي فيها قواعدُ الدين وكلّيّاته، وإليه مرجعُ الشرع في العقيدة، والأعمال الباطنة والظاهرة[2].

وتتنزّل الملائكة لبشارة النبيّ ﷺ بما سينزل الله عليه من وحيٍ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه، فقال: «هذا بابٌ من السماء فُتح اليوم، لم يُفتح قطُّ إلّا اليوم. فنزل منه ملَكٌ فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرض، لم ينزل قطُّ إلّا اليوم، فسلّم وقال: أبشر بنورين أُوتيتَهما لم يُؤتهما نبيٌّ قبلَك: فاتحةِ الكتاب، وخواتيمِ سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلّا أُعطيته»[3]، وخصَّ الفاتحةَ لمكانتها في القرآن؛ فبها افتتح الله كتابه، ولاشتمالها على جملةٍ معاني الدين ومراتبه الثلاثة: الإحسان والإيمان والإسلام، وخصّ خواتيمَ البقرة لِما فيها من ثناءٍ على الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وإقرارهم لمعناها، وامتثالهم لمقتضاها[4].

ثانيًا: توكيل ميكائيل عليه السلام بنوعٍ من فتح الله تعالى على عباده من الأرزاق:

والذي هو إنزال المطر من السماء قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [غافر: ١٣]، فبإنزال الغيث من السماء تخرجُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ‘عن الإيمان والإسلام، (١/١٩)، برقم ٥٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، (١/٣٠)، رقم ٩، بمثله مطولًا.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (١/١٢٥)؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العيني (٤/٢٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، (٢/١٩٨)، برقم ٨٠٦.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (٢/٤٣٤).

أصناف الأقوات للعباد، مختلفةَ الشكل والطعم والرائحة(١).

ثالثًا: قبض ملَك الموت للأرواح إذا فتح الله على الخلق بحكمه القضائي بانتهاء أقدارهم المؤجّلة:

إذا قضى الله على عبده بانتهاء أجله، أرسل إليه رُسُلَه من الملائكة؛ لقبض روحه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١]، والملَكُ الموكل بقبض الأرواح هو: ملك الموت، ومعه أعوانه من الملائكة، قال تعالى: ﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١](٢).

رابعًا: توكيل الملائكة بحصرِ أعمال العبد؛ ليوفّيه أعماله بفتحه تعالى الجزائي:

وهم الكرام الكتبة، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، فهما ملكان معتدان بالإنسان يكتبان منطقه، وعمله صغيره وكبيره(٣).

خامسًا: توكيل الملائكة بالنفخ في الصور حين القضاء بالبعث والنشور:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام: ٢]، والأجل الأول هو: الموت، والأجل الثاني هو: البعث(٤)، فإنْ قضى الله بالبعث أمَر الملَكَ بالنفخ في الصور، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٦٢/٢١)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١٣٤/٧).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٧٥/٢٠)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣٦١/٦).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٢٧٢/٤)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣٩٨/٧).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٥٦/١١)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٢٣٩/٣).

أنْعَمُ وصاحبُ القرن قد التقم القرنَ، واستمع الإذْنَ متى يُؤمر بالنفخ، فينفخ، فكأنّ ذلك ثَقُل على أصحاب النبيّ ﷺ، فقال لهم: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[١].

المسألة الثانية: خضوع الملائكة عند قضاء الله الأمر في السماء:

فإنّ الله إذا فتح بالأمر، وقضاه في السماء: فزعت الملائكة، وأصابتهم غشيةٌ من سماع كلام الله، وظنّوا أنّه من أمْر الساعة، حتى إذا كشف عن قلوبهم الفزع، وأخرج من قلوبهم، فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقّ، وهو العليّ الكبير[٢]، عن أبي هريرة ﷺ قال: إنّ نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنّه سلسلة على صفوان، فإذا ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ﴾ [سبأ: ٢٣] للذي قال: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]...»[٣].

وقد وصف الله تعالى ملائكته بالخوف منه، والتزامهم فعل أوامره، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

المسألة الثالثة: مشاركتهم في فتح الله، ونصره للمؤمنين:

وعد الله عباده المؤمنين بالنصر، والفتح على أعدائهم، بإنزال الملائكة للقتال معهم ضدّ الكافرين، وإنّ الله قادرٌ على نصرهم بدون ذلك؛ لكنّه جعل إنزال الملائكة بشرى لهم، تطمئنّ به قلوبُهم وتسكن إليه، ولا تجزع قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ، باب ما جاء في شأن الصور، (٢٦٦/٤)، برقم ٢٦٣٥؛ وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب ذكر البعث (٣٣٨/٥)، رقم ٤٢٧٣، بنحوه مختصرًا وحسنه الترمذي، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: "صحيح لغيره" (٤٠٨/٣).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (٥٣٨/٨)؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العيني (١٣٠/١٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة سبأ، باب {حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾} [سورة سبأ:٢٣]، (١٢١/٦)، برقم ٤٨٠٠.

قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠](١)، وقد وفى الله عبادَه وعدَه فأنزل الملائكة للقتال في عدّة مشاهد، منها:

أولًا: غزوة بدر:

عن رفاعة بن رافع الزرقي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢) قال: «جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: ما تعُدُّون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة»(٣).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدرٍ نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ، ثمّ مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: « اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إنْ تُهلك هذه العصابةَ من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض، فما زال يهتف بربّه مادًّا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثمّ التزمه من ورائه وقال: يا نبيّ الله، كفاك مناشدتك ربّك، فإنّه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] فأمدّه الله بالملائكة»(٤).

ثانيًا: غزوة أحد:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم أحدٍ، ومعه رجلان يقاتلان

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، (١٩٠/٧)؛ تفسير القرآن.

(٢)أبو معاذ، وأمه أم مالك بنت أبي بن سلول، يكنى أبا معاذ، شهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، .....وشهد مع علي الجمل وصفين، وتوفي في أول إمارة معاوية "، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، عمر بن عبد البر (٢/ ٤٩٧)؛ وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن الأثير (٢/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، (٨٠/٥)، برقم ٣٩٩٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، (١٥٦/٥)، برقم ١٧٦٣.

عنه، عليهما ثيابٌ بيضٌ، كأشدّ القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد) [(١)].

ثالثًا: غزوة الأحزاب:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩]، ففي الآية امتنانٌ من الله تعالى على عباده المؤمنين بصرف الجنود الذين تحزّبوا عليهم من قريشٍ وغطفان وبني قريظة؛ بإرسال ريح الصَّبا عليهم، وإنزال الملائكة التي ألقت الرعب والخوف في قلوبهم حتى انصرفوا راجعين[(٢)].

رابعًا: غزوة حنين[(٣)]:

وهي من الوقائع التي شهدتها الملائكة مع الرسول ﷺ والمؤمنين نصرةً وتأييدًا لهم حتى نالوا النصر وظفروا به[(٤)]، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

وبهذه المسائل الثلاث وهي: وظائف الملائكة، وخضوعهم عند قضاء الله الأمر في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما (٩٦/٥)، برقم ٤٠٥٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ‘يوم أحد (٧٢/٧)، رقم ٢٣٠٦ بمثله.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، (٢١٧/٢٠)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣٨٥/٦).

(٣) حُنين "تصغير حِنّ، وهو واد من أودية مكة، يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلًا، يسّمى اليوم وادي الشرائع... وماؤه يصب في المغمس فيذهب في سيل عرنة" معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص: ١٠٧)، وانظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شراب (ص: ١٠٤).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٨٩/١٤)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٣٣٣/٢).

السماء، وإعانتهم للمؤمنين ومناصرتهم ضدّ الكافرين؛ اتّضح لنا ظهور معنى اسم الله (الفتّاح) في ركن الإيمان بالملائكة.

المطلب الثاني:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بالإيمان بالكتب

لما كانت الكتب منزلةً من الله تعالى الفتاح، فلا بُدّ من ظهور أثر اسمه (الفتّاح) في هذه الكتب من جهات متعدّدة، وهي:

المسألة الأولى: احتواء الكتب على فتح الله الدينيّ والجزائيّ الذي يفتح به على خلقه:

أمّا احتواؤها على فتحه الدينيّ الشرعيّ قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة: ٤٣]، واختُلف في الحكم المراد ههنا فقيل: هو القصاص وقيل: الرجم وهو الصحيح، وكلاهما من أحكام الله الشرعيّة التي يفتح الله بها على عباده(١).

وقد دعا الله تعالى اليهود من أهل الكتاب للتحاكم إلى كتابهم التوراة الذي هم به مؤمنون، ففيه جميع ما اختلفوا فيه مع الرسول من حقٍّ(٢)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران: ٢٣].

كذلك أمر الله تعالى النصارى بالحكم وفق أحكامه الشرعيّة التي فتح بها عليهم، قال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

وأمر رسوله ﷺ بالحكم بما أنزل عليه من كتاب، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١١٣/٣).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٨٨/٦-٢٨٩).

٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

أمّا احتواء الكتب على فتح الله وحكمه الجزائيّ، فقد بيّن الله فيها تفريقه بين المؤمنين والكافرين، وعدم تسويته بينهم، قال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ [الحج: ٥٦-٥٧].

المسألة الثانية: بيان الكتب لمن وعده الله بالفتح والنصر، وبيان أسبابه ودواعيه:

اشتملت الكتب المنزلة من عند الله على بيان الموعودين من الله بالفتح والنصر، وهم المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وبيّنت كُتب الله أسبابَ نصر الله وفتحه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد: ٧]، فالجزاء من جنس العمل، فمن أراد أن ينال نصر الله فلينصر دينه بالدعوة إليه، ولينصر نبيّه بالقتال معه، وحينها يدرك فتح الله ونصره[١].

هذه هي علاقة اسم الله (الفتّاح) بركن الإيمان بكتب الله، باشتمالها الأحكام التي يفتح الله بها على العباد، ومن هم الموعودون بالنصر، وما هي أسبابه.

---

[١] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢٢/١٦٠)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٤/٢١١).

المطلب الثالث:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بالإيمان بالرسل

لما اصطفى الله من خلقه أناسًا جعلهم أدلّاء للناس إلى ربّهم؛ كان ولا بُدّ من ظهور آثار الإيمان بأسمائه تعالى في الإيمان بهم من جهات متعدّدة، وهي:

المسألة الأولى: إرسال الرسل بكلمة التوحيد:

فقد اختصّهم الله بالرسالة الداعية إلى توحيد الله، وفتح الأعين العمي، والآذان الصمّ، والقلوب الغلف، فمن اتّبع سنّتهم واهتدى بهديهم فقد رشد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: (أجل، والله إنّه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزاً للأميّين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخّابٍ(١) في الأسواق، ولا يدفع بالسيّئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيمَ به الملّة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذاناً صمًّا، وقلوبًا غُلفًا)(٢).

المسألة الثانية: تكليف الرسل بالحكم والفتح بين الناس:

فقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بالفتح بين المؤمنين، وفصل الأقضية بينهم بحسب الوحي الذي أنزل عليه، وبما علمه الله من علم(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ۝١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥].

ففي بهذه الآية، وحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمع النبي ﷺ جلبةَ خصامٍ عند بابه،

---

(١) "السخب: الضجة، واضطراب الأصوات للخصام، وفعول وفعال للمبالغة"، النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن الأثير (٣/ ١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، (٣/٦٦)، برقم ٢١٢٥.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، (٩/١٧٥)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (١/٦٩٩).

فخرج عليهم فقال: «إنّما أنا بشر، وإنّه يأتيني الخصم، فلعلّ بعضًا أن يكون أبلغ من بعضٍ، أقضي له بذلك، وأحسب أنّه صادق، فمن قضيت له بحقِّ مسلمٍ فإنّما هي قطعةٌ من النار، فليأخذها أو ليدعها»(١)، دلالة على أنّ للنبيّ ﷺ الحكمَ بين الناس باجتهاد من عنده فيما لا نصَّ فيه؛ لأنّه لا يُتصوّر بحالٍ من الأحوال مخالفة حكمه لحكم الله تعالى(٢).

فإذا حَكَمَ ﷺ بما أراه الله وجبت طاعته، لأنّه إن "لم تجب طاعته إلّا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه؛ لم يكن له طاعةٌ خاصّةٌ تختصّ به"(٣).

ثمّ خُيِّر رسول الله ﷺ في الحكم بين غير المؤمنين، قال تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢]، وإنْ قال البعض أنّها منسوخةٌ بما جاء في آخرها(٤)، فقد رجّح البعض بقاءها على ما هي عليه، ولا نسخ في أحدهما للآخر(٥).

وجعل الله تعالى الرضا بحكم الله ورسوله ﷺ من أمارات الإيمان وعلاماته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، وفي المقابل جعل الإعراض عن ذلك من دلائل النفاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب القضاء في قليل المال وكثيره، (٧٢/٩)، رقم ٧١٨٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، (١٢٨/٥)، رقم ١٧١٣ بنحوه.

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحي النووي (٥/١٢)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤٠٤/٢)؛ الموافقات، إبراهيم الشاطبي (٣٣٥/٤).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن القيم (٨٥/٤).

(٤) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٥٣/٢)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١١٧/٣).

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٣٤/١٠).

٤٨](١).

المسألة الثالثة: حكم الله تعالى بالفتح والنصر للرسل على عدوّهم:

إنّ أنبياء الله ورسلهﷺ هم سفراؤُه إلى الخلْق، يدعونهم إلى دينه يعلمونهم شرائعه، وهم في طلائع المجاهدين في سبيل الله الباذلين أنفسهم لإعلاء دين الله، وقد وعدهم الله بالنصر والتمكين والعزّ والتأييد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، فقد سبق وسلف في حكم الله وقضائه بأنّ النصر لهم(٢).

غير أنّه قد يستشكل ما عُلِم ممّا حصل لبعض الأنبياء من إرادة قتْلِه كعيسى ابن مريم عليه السلام، ومَن قُتِل فعلاً كيحيى عليه السلام، فعلى أيِّ وجهٍ يُحمل هذا القول؟

والجواب: أنّه يُحمل على "وجهين كلاهما صحيحٌ معناه. أحدهما أن يكون معناه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١] إمّا بإعلائنا لهم على من كذّبنا، وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبةً، ويذلوهم بالظفر ذلّةً، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملْك والسلطان ما قَهَرا به كلَّ كافرٍ، وكالذي فعل بمحمّدٍ ﷺ بإظهاره على من كذّبه من قومه وإمّا بانتقامنا ممّن حادّهم، وشاقّهم بإهلاكهم، وإنجاء الرسل ممّن كذّبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوحٍ وقومه، من تغريق قومه، وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقًا، ونجى موسى ومَن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك.

أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة رسولنا... كانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحدُ وجهيه، وقد كان بعضُ أهل التأويل يوجه

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، محمد بن القيم (ص: ٧٠٥)؛ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن (ص: ٣٩٣).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢١/١٣٠).

معنى ذلك إلى هذا الوجه"(١).

ربّما تأخّر عليهم النصرُ فترةً من الزمن، وطال عليهم انتظاره؛ حتى قنط أتباعهم، وأصابهم اليأس، وهذا وقت مجيء النصر، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها لما سألت عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]، قالت عائشة -رضي الله عنها-: (كُذِّبُوا. قلتُ: فقد استيقنوا أنّ قومهم كذَّبُوهم، فما هو بالظنّ؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك. فقلت لها: وظنّوا أنّهم قد كُذِبوا، قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظنّ ذلك بربّها. قلتُ: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربّهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاءُ واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسلُ ممّن كَذّبهم من قومهم، وظنّت الرسلُ أنّ أتباعهم قد كذَّبُوهم، جاءهم نصرُ الله عند ذلك)(٢).

ومن نصر الله لرسوله ﷺ خاصّةً إعانتُه بأسباب الفتح والنصر كإرسال ريح الصبا(٣)، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «نُصرتُ بالصَّبا، وأهلكت عادٌ بالدّبُور»(٤).

وقد كان رسولُنا ﷺ دائمَ الاعتصام بربّه، متّصلَ الاستغاثةِ به، والاستعانة في جميع أموره وسائر أحواله، كثيرَ الاستنصار به، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبيّ ﷺ إذا غزا قال: «اللهمّ أنت عضدي، وأنت نصيري، وبك أقاتل»(٥).

فإن حصل له ما أراد، وبلغه ربّه ما سأله من نصر؛ أثنى بذلك على ربّه ووحّده وحَمِده،

---

(١) المصدر السابق (٢١/٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة يوسف، باب قوله حتى إذا استيأس الرسل (٦/٧٧)، رقم ٤٦٩٥.

(٣) الصَّبا بفتح المهملة، ويُطلق عليها اسمُ القَبول: ريحٌ تأتي من الشرق مستقبلة القبلة، ويجتمع على أثرها السحاب؛ وحينها ينزل المطر غالبًا، انظر: العين، الخليل بن أحمد (٥/ ١٦٨) تهذيب اللغة، أحمد بن فارس (١٤/ ٨٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ نصرت بالصَّبا (٢/٣٣)، برقم ١٠٣٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، (٣/٢٧)، رقم ٩٠٠ بلفظه.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب، (٥/٥٤٠)، برقم ٣٩٤٢؛ وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء، (٢/٣٤٦)، برقم ٢٦٣٢، بمثله، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/٨٦٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحدَه، أعزّ جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحدَه، فلا شيءَ بعده»(١).

المسألة الرابعة: إعطاءُ الرسولِ محمّدٍ ﷺ مفاتيحَ خزائن الأرض:

إنّ خزائن السماوات والأرض كلّها بيد الله عز وجل، وهي ملكه، وعنده مفاتيحها، ولِمَا للرّسل عليهم السلام من منزلةٍ عليّةٍ عند الله تعالى ومكانةٍ منيفةٍ، فقد رفع الله تعالى شأنهم كلّهم وأعلى مكانتهم، ثمّ أكرم نبيّه ﷺ، واختصّه بخصيصةٍ أعطاه إيّاها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «بُعثت بجوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، فبينا أنا نائمٌ أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدي»(٢)، "يحتمل أن يريد بهذا ما فتح الله لأمّته بعده فغنموه واستباحوا خزائن الملوك المدّخرة... يحتمل أن يريد الأرض التي فيها المعادن، ولا شكّ أنّ العرب كانت أقلَّ الناس، وأقلَّ الأمم أموالًا، فبشّرهم بأنّ أموال كسرى وقيصر تَصير إليهم، وهم الذين يملكون الخزائن"(٣)، وهذا الحديث من أدلّة نبوّته ﷺ.

وبهذه المسائل الأربعة وهي:

إرسالُ الرسل بكلمة التوحيد التي يفتح الله بها العيون العمي والآذان الصمّ، وأمْرُ الله لهم بالحكم بما حكم به وقضاه، وجعلُه النصرَ لهم ولأتباعهم، واختصاصُ الرسول بإعطائه مفاتيح خزائن الأرض؛ اتّضح لنا علاقةُ وأثرُ اسم الله (الفتّاح) في ركن الإيمان بالرسل.



---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (١١١/٥)، برقم ٤١١٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (٨٣/٨)، برقم ٢٧٢٤، بلفظه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي 'نصرت بالرعب، (٥٤/٤)، رقم٢٩٧٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (٦٤/٢)، رقم ٥٢٣، بمعناه.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العيني (٢٣٥/١٤)؛ وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (١١٩/٢)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (١٢٨/٦).

المبحث الثالث:
علاقة اسم الله (الفتّاح) بالإيمان باليوم الآخر

المطلب الأول:
آثار اسم الله (الفتّاح) في القبر

إنّ القبر هو أول منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أهون، ولما سيكون للإنسان في القبر علاقة باسم الله الفتاح، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأنّما على رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر -مرّتين أو ثلاثاً-، زاد في حديث جرير هاهنا، وقال: وإنّه ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين، حين يقال له: يا هذا من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ قال هناد: قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدّقت. زاد في حديث جرير: فذلك قول الله تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية، ثمّ اتّفقا، قال: فينادي منادٍ من السماء أنْ قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنّة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، قال: ويُفتح له فيها مدّ بصره. قال: وإنّ الكافر، فذكر موته، قال: وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ من السماء أنْ كَذَبَ

فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، قال: فيأتيه من حرّها وسَمومها، قال: ويضيّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه. زاد في حديث جرير قال: ثمّ يقيض له أعمى أبكم معه مِرْزَبّةٌ من حديدٍ لو ضُرب بها جبلٌ لصار تراباً، قال: فيضربه بها ضربةً يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلّا الثقلين، فيصير تراباً، قال: ثمّ تعاد فيه الروح»[١]

ففي القبر يبشّر الله المؤمن بالجنّة بفتح أبوابها، ويأتيه من رَوحها وطيبها ما شاء الله، ويتوعّد الكافر بالنار بفتحه أبوابها له، ويأتيه من حرّها وسَمومها ما شاء الله.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، (٣٨٣/٤)، برقم ٤٧٣٨؛ وأحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين ٪، حديث البراء بن عازب ﷺ، رقم ١٨٨٣٢، بنحوه مختصرا، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد (٥٠٣/٣٠)؛ والألباني في مشكاة المصابيح (٥١٢/١).

المطلب الثاني:
آثار اسم الله (الفتّاح) في أشراط الساعة

في هذا المطلب عدة مسائل هي:

المسألة الأولى: فتح بيت المقدس:

أخبرنا رسول الله ﷺ عن علامات الساعة، وأماراتها الدالّة على قربها، وجعل منها إذن الله بفتح المسلمين بيت المقدس، واسترداده من اليهود، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبّة من أَدَم، فقال: «اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثمّ فتح بيت المقدس، ثمّ موتان يأخذ فيكم كقعاص(١) الغنم، ثمّ استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينارٍ فيظلّ ساخطًا، ثمّ فتنة لا يبقى بيتٌ من العرب إلّا دخلته ثمّ هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحتَ كلِّ غايةٍ اثنا عشر ألفا»(٢).

وهذا من قضاء الله تعالى الفتاح وحكمه النافذ بنصر المؤمنين.

المسألة الثانية: فتح ردم يأجوج ومأجوج:

جاء ذلك في القرآن والسنّة بأدلّة منها: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وعقد بيده تسعين»(٣)، وهذا الفتح لما كان مغلقًا، من فتح الله الكوني الحاصل من علامات الساعة.

---

(١) "داء يأخذ الغنم؛ لا يُلْبثُها أن تموت." غريب الحديث، القاسم بن سلام (٢/ ٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، (١٠١/٤)، برقم ٣١٧٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، (١٣٨/٤)، رقم ٣٣٤٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، (١٦٦/٨)، رقم ٢٨٨١ بنحوه.

المطلب الثالث:
آثار اسم الله (الفتّاح) في يوم القيامة

وقد اشتمل على عدة مسائل، وهي:

المسألة الأولى: تشقّق السماء وتصدّعها وفتحها لنزول الملائكة عليهم السلام

وقد كانت قبلُ قويّةً محكمةً لا يُرى فيها فطورٌ ولا انقسامٌ، قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩﴾ [النبأ: ١٩]، فإنّه إذا جاء يوم القيامة انشقت، وفُتحت، وأصبحت طرقًا يتنزّل منها الملائكة(١).

المسألة الثانية: فتح الله تعالى على النبيّ ﷺ في عرصات القيامة بالثناء والمحامد:

إذا جُمِع الناسُ في يوم القيامة، وأصابهم من الكرب ما أصابهم، استشفعوا بالنبي ﷺ إلى الله لفصل القضاء، ففي حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «فيأتون محمّدًا ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غُفِر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثمّ يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي»(٢)، فهذا الفتح من الله تعالى للنبي ﷺ في يوم القيامة.

المسألة الثالثة: تخصيص الرسول ﷺ بكونه أول مَن يفتح له باب الجنة:

من فضائل الرسول وميّزاته التي جعلها له ربّه أنْ كان أولَ مَن يقرع باب الجنة، وأولَ مَن يفتح له بابها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنّة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمّد. فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحدٍ قبلك»(٣).

فالفتح لأبواب الجنة يوم القيامة لن يكون لأحد قبل الرسول ﷺ.

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، (١٥٨/٢٤)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣٠٥/٨).

(٢) سبق تخريجه: (ص: ٦٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قول النبي: أنا أول الناس يشفع في الجنة، (١٣٠/١)، برقم ١٩٧.

المسألة الرابعة: فتح أبواب الجنّة للمؤمنين، وفتح أبواب النار للكافرين:

الجنّة والنار هما آخر المنازل للناس؛ يدخلونهما خالدين فيها أبدًا، فإذا جاء المؤمنون الجنة وجدوا أبوابها مشرعةً لهم ليدخلوها منعمين، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

وإذا جاء الكافرون النار، إذا هم بأبوابها مشرعةً لهم؛ ليدخلوها آيسين، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ [الزمر: ٧١].

إذا في يوم القيامة سيكون الفتح لكلا الفريقين: سيفتح للمؤمنين أبواب الجنة، وسيفتح للكافرين أبواب النار.

في هذه المراحل الثلاث من مراحل يوم القيامة: القبر، وأشراط الساعة، وفتح أبواب الجنة والنار لأهليها؛ عرفنا آثار اسم الله (الفتّاح) في ركن الأيمان باليوم الآخر.



المبحث الرابع:
المسائل المتعلّقة أو آثار اسم الله (الفتّاح) في الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر من أصول الدين عند السلف الصالح ﵏، فمن السنّة عندهم "أنْ يُؤمن الرجل بالقدر خيرِه وشرِّه، حلوِه ومرِّه، وأنْ يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنّ ذلك كله قضاء من الله ﷻ"(١)، وهو قطبُ رحى الدين، وأساسه المتين؛ ولذلك نجده مرتبطًا بأسماء الله الحسنى ومنها اسم الله (الفتّاح)؛ وذلك من عدّة أوجهٍ، منها:

المطلب الأول:
الأرزاق والآجال التي يفتح بها الله على العباد من قضاء الله وقدره:

إنّ الله قد كتب على كلِّ إنسانٍ رزقَه وأجلَه مذ كان في بطن أمّه عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: «وكّل الله بالرحم ملكًا فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلْقَها قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي م سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»(٢)، فالحديث صريح في إثبات القدر، وأنّ أرزاق العباد، وآجالهم ممّا سبق في علم الله، واستقرّ في حكمه على عباده، وفتحه عليهم بقضائه.

وعن مطر بن عكامس(٣) ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبدٍ أن يموت

---

(١) أصول السنة، عبد الله الحميدي (ص: ٣٦/٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب في القدر، (١٢٢/٨)، برقم ٦٥٩٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (٤٦/٨)، رقم ٢٦٤٦.

(٣) "مطر بن عكامس السلمي، من بني سليم بن منصور، معدود في الكوفيين، له حديث واحد ليس له غيره، لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي"، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، عمر بن عبد البر (٤/ ١٤٧٥)؛ وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن الأثير (٥/ ١٧٩).

بأرضٍ جَعَل له إليها حاجة»[١]، فإذا ظهرت له في تلك البلد حاجةٌ أتاها، ثمّ مات فيها، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤][٢].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب القدر عن رسول الله ‘، باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها، (٢٣/٤)، رقم ٢١٤٦؛ والحاكم في مستدركه، كتاب الإيمان، باب إذا كان أجل أحد بأرض أثبت الله له إليها حاجة، (٤٢/١) رقم ،٢٥ بنحوه، وقال عنه الترمذي: "حديث حسن غريب"، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٤٦).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد المباركفوري (٢٠١/٣).

المطلب الثاني:
أعمال بني آدم خيرّها وشرّها هي ممّا قضاه وقدّره الله عليهم بفتحه القضائيّ:

كل عمل بني آدم من فتح الله وقضاءه عليهم، عن عمران بن الحصين رضي الله عنه: إنّ رجلين من مُزينةَ أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيءٌ قُضي عليهم، ومضى فيهم من قدرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون به ممّا أتاهم به نبيّهم، وثبتت الحجّة عليهم؟ فقال: «لا، بل شيءٌ قُضي عليهم، ومضى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٧]. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧-٨]» (١).

ومع ذلك فإنّ "أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وغيرها واقعةٌ بإرادتهم وقدرتهم؛ وأنّهم لم يُجبروا عليها؛ بل هم الذين فعلوها؛ بما خلق الله لهم من القُدرة والإرادة، ويقولون -أي السلف- رحمهم الله: لا مُنافاةَ بين الأمرين فالحوادث كلُّها التي مِن جملتها أفعالُ العباد بمشيئة الله وإرادته؛ والعباد هم الفاعلون لأفعالهم، المختارون لها... ولم يُجبرِ الله أحدًا منهم على خلاف مراده واختياره"(٢)، فالله سبحانه هو الذي جعل أهلَ السعادة يعملون الصالحات، وجعل أهل الشقاوة يعملون السيئات، ثمّ جعل مقاديرهم غائبةً عنهم، وآتاهم القدرةَ على الفعل والترك للأعمال، وجعلها مناطًا للجزاء لئلّا يكون لهم عذرٌ في التمسّك بما سبق منه بالفتح القضائي، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم: ٣١](٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «يا عبادي، إنّما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثمّ أوفيّكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسَه»(٤)،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (٤٨/٨)، رقم ٢٦٥٠.

(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، عبد الرحمن السعدي (ص: ١١/١٢).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (٦/٦٦٣-٦٦٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (١٦/٨)، رقم ٢٥٧٧.

فليس شيءٌ من عمل الإنسان إلّا وهو تابعٌ لفتح الله على خلقه بأحكامه، وقضائه وقدره.

بهذا اتّضح لنا أثرُ اسم الله (الفتّاح) في ركن الإيمان بالقدر وهو: أنّ أرزاق العباد وآجالهم من فتح الله، وأنّ أعمال الإنسان -خيرَها وشرَّها- من فتح الله عليه بقضائه وقدره، وهم مختارون لأفعالهم.



المبحث الخامس: العلاقة بين اسم الله (الفتّاح) و فضائل الصحابة

الصحابة خير الأمّة رضي الله عنهم ثمّ مَن تبعهم بإحسانٍ؛ وقد جعل الله تعالى لهم فضائلَ محتفّةً بهم، ومناقبَ متوقّفةً عليهم، لا يشركهم فيها غيرهم، ولا يبلغها أحدٌ سواهم، وبعضُ هذه الفضائل والمناقب متّصلةٌ بجنسهم، وبعضها مختصٌّ بأفرادهم لها علاقة باسم الله (الفتّاح)، ومنها:

المطلب الأول: تفضيل من شهد الفتح -صلح الحديبية- على غيرهم:

سنّة الله في الخلق أنّهم يتفاوتون، فلا يستوي هذا وذاك، فلكلٍّ فضلُه ومنزلتُه عند ربه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومنه تفاضل الصحابة -رضي الله عنهم- فيما بينهم، فمن خيرهم وأفضلهم الذين شهدوا صلح الحديبية الذي كان من فتح الله (الفتّاح) على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]، حيث كان سببًا لانتشار الدين ودخول الناس فيه أفواجًا؛ ولذلك أصبح مَن حضره من الصحابة أفضلَ مِن غيرهم ممّن لم يشهده، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾ [الحديد: ١٠]، ومِن عقيدة أهل السنّة والجماعة تفضيلُهم على غيرهم من الصحابة(١).

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٧٦/٢٣)؛ العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، أحمد بن تيمية (ص: ١١٥).

المطلب الثاني:
إخبار النبيّ عن فتح الله ﷻ على المسلمين حال وجود الصحابة رضي الله عنهم فيهم أو التابعين أو تابعيهم بإحسان:

جعل الرسولﷺ وجودَ الصحابة رضي الله عنهم أو أتباعهم من القرون الثلاثة المفضّلة مع المسلمين الغزاة مظنة للفتح والنصر، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: «يأتي زمانٌ يغزو فئامٌ من الناس فيقال: فيكم من صَحِبَ النبيَّ ﷺ؟ فيُقال: نعم. فيفتح عليه، ثمّ يأتي زمانٌ فيقال: فيكم من صَحِبَ أصحابَ النبيِّ ﷺ؟ فيُقال: نعم. فيُفتح، ثمّ يأتي زمانٌ فيُقال: فيكم من صَحِبَ صاحبَ أصحابِ النبيِّ ﷺ؟ فيُقال: نعم. فيفتح»[١].

واتّفق العلماء رحمهم الله على خيرّية وأفضليّة القرون الثلاثة المفضّلة، وأنّ الناس كانوا بخيرٍ لما كانوا فيهم، ومن الخير الذي أصابته الأمّة منهم فتح الله على المسلمين الغزاة؛ لأجل وجودهم معهم في الجيش[٢].

وفي الحديث عَلَمٌ من أعلام نبوّته؛ حيث أخبر عن أمرٍ مستقبلٍ لم يقع بعدُ، فكان الأمر كما قال[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، (٣٧/٤)، رقم ٢٨٩٧؛ ومسلم صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم، (١٨٣/٧)، رقم ٢٥٣٢بمثله مطولًا.

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحي النووي (٨٣/١٦).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (٤٨٨/٦).

المطلب الثالث:
تعلّق الفتح بآحاد الصحابة واختصاصه بأفرادهم:

مضمون هذه المسألة هو: إشهارُ تعلّق الفتح بأعيانِ الصحابة، فهم وإن كانوا في جملتهم ذوي فضلٍ وأولي خيرٍ؛ فإنّ لأفرادهم خصيصةً في الفتح بمعناه العامّ المتعدّد، دلّت عليها النصوص، ومن أولئك:

المسألة الأولى: مناقب أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

وهو أفضلُ الصحابة وخيرُ الأمّة بعد رسولها ﷺ:؛ ولذلك جاء في الحديث أنّ الرسول ﷺ رجى له أن يكون ممّن تُفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن أنفق زوجين من شيءٍ من الأشياء في سبيل الله؛ دُعي من أبواب -يعني: الجنة- يا عبد الله هذا خيرٌ، فمَن كان مِن أهل الصلاة دُعي مِن باب الصلاة، ومَن كان مِن أهل الجهاد دُعي مِن باب الجهاد، ومَن كان مِن أهل الصدقة دُعي مِن باب الصدقة، ومَن كان مِن أهل الصيام دُعي مِن باب الصيام، وباب الريان، فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورةٍ، وقال: هل يُدعى منها كلِّها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»(١).

فأعمالُ البِرّ قلّما تجتمع في شخصٍ واحدٍ، وإنّ توافرها فيه رضي الله عنه لبرهانٌ على فضله ومكانته، ودليلُ تقدُّمِه في أعمال البرِّ بتقرير النبيّ، ورجاء النبي له بذلك حقٌّ سيقع حقًّا لا مِريةَ فيه(٢).

المسألة الثانية: مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أخبر النبيُّ ﷺ عن الفتن التي سوف تفتح على الأمّة من بعده، وكيف يكون أثرُها البالغُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب حدثنا الحميدي ومحمد بن عبد الله، (٦/٥)، برقم ٣٦٦٦؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، (٩١/٣)، رقم ١٠٢٧.

(٢) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد البر (١٨٣/٧)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (٢٩/٧)؛ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد المباركفوري (١١٠/١٠).

على الأمّة؛ وذلك لقوّتها وشدّتها، وأخذها لكثير من الناس، لكنّه امتدح مَن سيكون وقتَها على الحقّ ثابتًا بداعي الإيمان الراسخ، ومنهم عثمان رضي الله عنه، عن مُرة النمريّ رضي الله عنه [١] قال: قال رسول الله ﷺ: «يُفتح على الأرض فتنٌ كصياصي البقر[٢]، فمرَّ رجلٌ مقنَّعٌ، فقال: هذا يومئذ على الحقّ. فقمتُ إليه فأخذت بمجامع ثوبه، فقلت: هذا هو يا رسول الله؟ قال: هذا. قال: فإذا هو عثمان»[٣].

المسألة الثالثة: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

وهو من الصحابة الذين امتدَحهم الرسول ﷺ، وشهد لهم بالإيمان ومحبّة الله تعالى ورسوله ﷺ، عن سهل بن سعد رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «لأعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يفتح الله على يديه. قال: فبات الناسُ يَدُوكُون ليلتَهم أيُّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غدَوا على رسول الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: فأرسلوا إليه فأتُوني به. فلمّا جاء بصقَ في عينيه ودعا له، فبَرَأَ حتى كأنْ لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه، فوالله لأنْ يهديَ الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم»[٤].

وهذا الحديث من أصحِّ الأحاديث الواردة في فضله رضي الله عنه، خلاف ما يزعمه الشيعة

---

[١] "مرة بن كعب البهزي السلمي بضم المهملة سكن البصرة ثم الأردن" الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر (٥/ ٦١٢).

[٢] صياصي البقر: قرونها، وهي معروفة بالقوة والصلابة، انظر: أساس البلاغة، محمود الزمخشري (١/٥٣٢)؛ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، محمد الأصبهاني (٣/٣٩٠).

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، باب إخبار النبي ‘بفتنة عثمان (٤/٤٣٣)، برقم ٨٤٢٨؛ وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم ë، ذكر الخبر الدال على أنّ عثمان بن عفان عند وقوع الفتن كان على الحق، (١٥/٣٤٤)، رقم ٦٩١٤، بمعناه مطولًا؛ والترمذي في جامعه، أبواب المناقب عن رسول الله ‘، باب، (٦/٧٢)، برقم ٣٧٠٤ بنحوه مطولًا، قال عنه الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وقال عنه الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وخالفه الذهبي.

[٤] سبق تخريجه: (ص: ٦٧).

المبتدعة الذين أتَوْا بأحاديث مكذوبةٍ في هذا الباب لينفقوا بها مذهبهم الخاطئ الباطل(١).

المسألة الرابعة: مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه:

أولًا: شهادة الرسول ﷺ له بالخيريّة:

كان ذلك حين فتح على يهود بني قريظة بحكمٍ وافق حكمَ الله تعالى ورسولَه ﷺ؛ جزاءَ نقضهم العهد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أنّ أناسًا نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه فجاء على حمارٍ، فلمّا بلغ قريبًا من المسجد، قال النبي ﷺ: « قُوموا إلى خيركم، أو سيّدكم، فقال: يا سعدُ، إنّ هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: فإنّي أحكم فيهم أنْ تُقتل مقاتلتُهم وتُسبى ذراريُّهم. قال: حكمت بحكم الله، أو: بحكم الملك»(٢).

وتضبط كلمة –الملك– بفتح الام وكسرها، ويكون المعنى على وجه الكسر: الله الملك، وعلى وجه الفتح: جبريل عليه السلام الذي جاء بالحكم من الله(٣).

ثانيًا: فتح أبواب السماء له بعد موته:

شاهد هذا حديثُ ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرّك له العرشُ وفُتحت له أبوابُ السماء، وشهدَه سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمّ ضمة ثمّ فُرّج عنه»(٤)، يعني سعدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي خصه الله بهذه المنقبة دون كثير من المؤمنين.

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٤٦/٥)، (٣٢٠/٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه ،(٣٥/٥)، برقم ٣٨٠٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، (١٦٠/٥)، رقم ١٧٦٨ بنحوه.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (٥٩٥/٣)؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحي النووي (٤٣٨/١٢)؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العيني (٢٦٩/١٦).

(٤) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته (٤٢٢/١)، رقم ٢٠٥٤؛ والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، تحرك العرش لسعد وفتحت أبواب السماء (٢٠٦/٣)، رقم ٤٩٥٣ بمعناه مطولًا، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٩/١).

المسالة الخامسة: مناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه:

الذي أخذ الرايةَ في يوم مؤتة[١] لِمَا اصطلح عليه الناسُ، ثمّ جاء نصرُ الله للمؤمنين، وفَتَح الله تعالى على يديه، ولهذا سمّاه رسول الله ﷺ بسيف الله[٢]، عن أنس رضي الله عنه قال: «أنّ النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابنَ رواحة للناس قبل أن يأتيَهم خبرُهم، فقال: أخذ الرايةَ زيدٌ فأُصيب، ثمّ أخذ جعفرٌ فأُصيب، ثمّ أخذ ابنُ رواحة فأُصيب -وعيناه تذرفان- حتى أخذ سيفٌ من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»[٣].

هذه هي آثارُ اسم الله (الفتّاح) المتعلّقة بمناقب أهل القرون الثلاثة المفضّلة عمومًا، وبأفراد الصحابة رضي الله عنهم وآحادهم خصوصًا.

إنّ ظهور آثار اسم الله (الفتّاح) في الخلْق والتكوين، والأمر والشرع؛ يؤكّد لنا أنّ مسائل العقيدة ليست أجزاءً متفرقةً، وأنّ قضاياها ليست موضوعاتٍ متباينةً، بل هي كلٌّ متكاملٌ، وعقدٌ متناسقٌ ينتظم في إطار شرعٍ أكمله الله، وأتمّ الله به علينا النعمةَ ورضي به دِينًا.

---

(١) "قريةٌ من قرى البلقاء في حدود الشام... وبها كانت تُطبع السيوف وإليها تُنسب المشرفيّة من السيوف" معجم البلدان (٥/٢٢٠)، وهي الآن قريةٌ آهلةٌ بالسكّان شرقي الأردن جنوب مدينة الكرك، وقريبةٌ منها قريةُ المزار التي دفن فيها شهداء غزوة مؤتة. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبويّة، عاتق البلادي (ص: ٣٠٤)؛ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شراب (ص: ٢٣٧).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (٧/١٠١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه (٥/٢٧)، برقم ٣٧٥٧.

الفصل الثالث: الفِرَق المخالفة للسلف في اسم الله (الفتّاح)، وصفة الفتح لله ﷻ

المبحث الأول: موقف الفرق من اسم الله الفتاح، وصفة الفتح

المبحث الثاني: موقف الفرق من الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح

المبحث الأول: الفِرَق المخالفة للسلف في اسم الله (الفتّاح)، وصفة الفتح لله

يقوم مذهب أهل السنّة والجماعة في باب الأسماء والصفات على الإيمان بها من غير تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تأويلٍ؛ إذ هي القواعد الأربع التي بُني عليها مذهب السلف في الباب، وكلُّ مَن خالف هذه القواعد أو أحدَها؛ فهو مفارقٌ لهم ومباينٌ في اعتقاد هذا الباب.

إنّ المخالفة في باب الأسماء والصفات سيما أهل البدع، يقول الإمام مالك بن أنس رحمه الله: "إيّاكم والبدعَ. قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلّمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون"(١)، فالحكم على المخالف في هذا الباب بالبدعة من فِعْل سلف الأمّة الأكابر رحمهم الله.

وتكمن أهمّيّة هذا الفصل في كون مادّته أحدَ أهمّ المباحث التي وقع الخلاف فيها بين الطوائف، ألَا وهو: التوحيد أو الصفات، وهو من أجَلِّ مسائل الدين التي يُحتاج إلى معرفتها وضبطها؛ لكونه الأساسَ الذي يُبنى عليه كثيرٌ ممّا سواه من المباحث، والأصلُ لِمَا قيل من مقالاتٍ في الاعتقاد(٢).

مع ما فيه من دحضِ أقوال المبتدعة، وبيانِ عوار مذاهبهم، وذبٍّ عن منهج أهل السنة والجماعة، وإبراز تميّزهم عن غيرهم من الفرق، وتحقيق كون مقالات السلف هي الموافقة لمقتضى

---

(١) أخرجه إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٢٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/٢٩٠).

النصوص الشرعيّة، والمؤتلفة مع النظر والاستدلال العقلي، ومعاني اللغة العربيّة، والمتّسقة مع الحسِّ والواقع المشهود[١]، فإنّ ذلك من الجهاد بالبيان الذي قد يكون أفضلَ مِن الجهاد بالسنان في بعض الأحيان[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "فكلُّ مَن لم يناظر أهلَ الإلحاد والبدع مناظرةً تقطع دابرهم؛ لم يكن أعطى الإسلام حقَّه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاءُ الصدور وطمأنينةُ النفوس"[٣]، وهو مع ما فيه من قلّة البضاعة بذلٌ مني للجُهد في ذلك، اسأل الله فيه العون والسداد.



(١) وهذه هي طريقة السلف ﷺ في محاجّتهم للمبتدعة، قال عبد العزيز الكناني للخليفة المأمون ﷺ أثناء محاجّته لبشر المريسي: "كسرتُ والله يا أمير المؤمنين قولَ بشرٍ ودحضتُ حجّته بإقراره بلسانه، فقد كسرتُ قولَه بالقرآن والسنة واللغة العربية، والنظر والمعقول، ولم يبقَ إلّا القياس، وأنا أكسره بالقياس إن شاء الله تعالى". الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبد العزيز الكناني (ص: ٨٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٣/٤).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (٣٥٧/١).

المطلب الأول: فرقة الشيعة الاثنا عشريّة[١]

تمهيد:

منهج هذه الفرقة في إثبات الأسماء الحسنى، أنهم سلكوا مسلكين لإثبات قولهم فيها، وهما:

- مسلك الفلاسفة والمتكلمين: الذين يرون تجلي أسماء الله تعالى الحسنى في الأئمة فالله

---

(١) معنى الشيعة باعتبارها فرقة أنهم: "الذين شايعوا عليًّا ﷺ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصيةً، إما جليًّا، وإما خفيًّا. واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده" الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/١٤٦)؛ وانظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي الأشعري (ص: ٥)؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٢/٨٩-٩٠).

وأول ظهور للشيعة كانت على يد عبد الله بن سبأ اليهودي الزنديق، فهو من ابتدأ الغلو في علي ﷺ، قال بالنصّ على إمامته وعصمته، انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٦/٤٢٨).

إضافةً إلى ما عقيدتهم في علي ﷺ فإنّه "يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولًا وفعلًا وعقدًا إلا في حالة التقية" الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/١٤٦)، ولهم عقائد أخرى كالغيبة، والرجعة، والبداء.. وغيرها.

شأن التشيع شأن غيره من البدع، بدأ صغيراً ثم ما لبث أن كبر واستفحل أمره، فكان التشيع عل ضربين:

الأول: تشيّعٌ بلا غلوّ، وهو عند من كان يعتقد تفضيل علي على عثمان وحدَه، ثم جاء من يقول بتفضيله على الشيخين أبي بكر وعمر، وهذا الذي كان في عرف المتقدمين.

الثاني: التشيّع الغالي القائم على التنقيص من قدر الصحابة أو التصريح بالبغض، وهذا الذي كان في عرف المتأخرين، انظر: تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر (١/٩٤).

ثمّ تفرقت الشيعة إلى فرق وطوائف لكلّ منها مسلك معين في تعيين الأئمة وما يتعلق بذلك، وإلى هذا يرجع السبب في افتراقهم واختلافهم، وتبع ذلك اختلاف في باقي العقائد، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد، ناصر القفاري (١/٩١ – ٩٢).

وأبرز فرقهم اليوم هم الاثنا عشرية –وهي المقصودة بالبحث هنا– وذلك لأنّهم من أكثر فرقهم عناية بنشر مذهبهم والدعوة إليه، وأشدهم محاربة لأهل السنة، وأجرَئهم على الصحابة وأمهات المؤمنين ﷺ، وهم قد وضعوا اثنا عشر إمامًا من ذرية علي بن أبي طالب ﷺ، ويزعمون أن الإمامَ الثاني عشر –محمد الحسن العسكري– قد دخل سردابًا في دار أبيه واختفى فيه، لكنه سيعود في آخر الزمان ليظهر عقائدهم المزعومة، انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ٤٧)؛ الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/١٦٩).

تعالى جعل محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في السر والعلن مظهرا للاسم -الله- الذي هو الاسم الأعظم، وحلاهم من أوصافه بكل ما تعرفة به إلينا من الجمال والجلال..... ثم إن الحق تعالى دلّاهم بعد ما أدناهم ليظهرهم في العالم بأسمائه الحسنى"(١).

هكذا يرون أن الله تعالى كنزٌ مخفيٌّ لا اسم له ولا رسم، لذا فإنّه لا سبيل لأحد إلى معرفته ولا بإمكان الخلق حدَّ حدودٍ له، إلّا أنّه لمسيس حاجتهم إليه، وشدّة افتقارهم له، وكونهم لا غنىَ لهم عنه البتّة، أنشأ مِن خلقه مَن يكون مجلّيًا لصفاته ومظهرًا لأسمائه، وجعل الأئمّة هم تلك المظاهرَ والمجاليَ التي يتجلّى فيها لخلقه.

● مسلك الإخباريين الذين يعتمدون على الروايات في إثبات عقائدهم، فقد سردوا جملةً من تلك الروايات في ذلك، منها ما يرونه عن أبي عبد الله(٢) في قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال: "نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملًا إلّا بمعرفتنا"(٣)، وعن سلمان رضي الله عنه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "إنّي لأعرف بطرقِ السموات من طرق الأرض، نحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عز وجل بها أجاب"(٤). فالمراد " بالأسماء الحسنى أسماؤهم (عليهم السلام) وإنّما نسبها اللّه إليه لأنّه سمّاهم بها قبل خلقهم كما عليه بعض الرّوايات ويحتمل أن يراد بها ذواتهم لأنّ الاسم في اللّغة العلامة وذواتهم القدسيّة علامات ظاهرة لوجود ذاته وصفاته، وصفاتهم النوريّة بيّنات واضحة لتمام أفعاله وكمالاته وإنّما وصفهم بالحسنى مع أنّ غيرهم من الموجودات أيضا علامات وبيّنات

(١) حقيقة الأسماء الحسنى، أحمد الماحوزي (ص:٥).

(٢) المقصود به: جعفر الصادق رحمه الله، الإمام السادس عند الاثني عشرية، وهو أبو عبد الله، جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب، ولد عام ٨٠هـ، وهو كذلك سبط القاسم بن محمد بن أبي بكر، أدرك بعض الصحابة منهم: أنس بن مالك، وسهل بن سعد رضي الله عنهما، كان يبغض الرافضة، ويمقتهم لما علم أنهم يبغضون جدّه أبا بكر رضي الله عنه، وروى عن: أبيه، وعروة بن الزبير. روى عنه: أبو حنيفة، وابن جريج، وشعبة. مات سنة ١٤٨هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٨٢٨/٣)؛ وله: سير أعلام النبلاء، (٢٥٥/٦).

(٣) الكافي، محمد الكليني (١-١٤٣/١٤٤).

(٤) بحار الأنوار، محمد المجلسي (٢٧-٣٨).

لما وجد فيهم من الفضل والكمال ولمع منهم من الشرف والجلال ما لا يقدر على وصفه لسان العقول ولا يبلغ إلى كنهه أنظار الفحول، فهم مظاهر الحقّ وأسماؤه الحسنى وآياته الكبرى فلذلك أمر سبحانه عباده أن يدعوه ويعبدوه بالتوسّل بهم والتمسّك بذيلهم ليخرجوا بإرشادهم عن تيه الضلالة والفساد ويسلكوا بهدايتهم سبيل الحقّ والرّشاد."(١).

عند التأمّل في المسلكين نجد أنّ مؤدّاهما واحدٌ ونتيجتهما واحدةٌ، وهي: إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمّة، بل وأنّهم تلك الأسماء، وهم الوسطاء بين الله وخلقه الذين بهم تُقبل الطاعة، ويُستجاب الدعاء.

وجه ذلك عندهم أنّ المخلوقات كلّما كانت أتمّ وأقوى كانت دلالتُها على الله أبين وأوضح، لهذا صحّ إطلاق الأسماء الحسنى عليهم(٢).

فأنزلوا الأئمة هذه المنزلة لأنّهم يرون أنّ نور الحقيقة المحمّديّة(٣) قُسمت بين الرسول ﷺ وعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أولًا، ثمّ انتقلت بعدهما إلى الأئمّة، فكانوا هم مستقرّ الاسم الأعظم الذي يندرج تحته باقي الأسماء الحسنى كلّها(٤).

أمّا مقالات هذه الفِرقة وعقائدهم الخاصّة بهم في باب الصفات العلى:

فقد كان مبدأُ عقيدة الاثنا عشريّة في الصفات هو: المبالغة والغلوّ في إثباتهم للصفات إلى

---

(١) شرح الكافي، صالح المازندراني (٢/٤).

(٢) انظر: التوحيد والأسماء والصفات الإلهية، محمد البيباني (٢١٦-٢١٨)؛ حقيقة الأسماء الحسنى، أحمد الماحوزي (ص:٣٢)؛ شرح الأسماء الحسنى، حسين الهمداني، (ص:٣٥).

(٣) تُعرَّف الحقيقة المحمديّة بأنّها: "هي الذات مع التعين الأول" معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق القاشاني (ص:٨٢)؛ وانظر: التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٩٠)، وهو عند المبتدعة الإنسان الكامل الذي هو أول، وأتم مظهر من الخلق ظهر فيه الخالق، ومنه بدأ باقي الخلق في الظهور، انظر: الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي (١٨٢/٥)؛ اليواقيت والجواهر، عبد الوهاب الشعراني (ص:٣٣٥)؛ المعجم الصوفي، سعاد الحكيم (ص:٣٤٨-٣٤٩).

(٤) انظر: شرح الأسماء الحسنى، حسين الهمداني (ص:٢٧)؛ وانظر: (ص:٢٠٩)؛ وانظر: حقيقة الأسماء الحسنى، أحمد الماحوزي (٤٣-٤٦).

حدّ التشبيه والتجسيم، فقد استفاض النقل عن سلفهم هشام بن الحكم(١) واشتهر عنه التجسيم في وصف الله، منها قولُه بأنّ ربّه "جسمٌ وله نهايةٌ وحدٌّ طويلٌ عريضٌ عميقٌ طولُه مثل عرضِه وعرضُه مثل عمقِه، لا يوفي بعضه على بعض"(٢).

ثمّ بدأ التغيّر في مذهبهم في أوائل القرن الثالث الهجري، وازداد كثيراً في القرن الرابع الهجري، حيث مالوا إلى القول بالتعطيل في صفات الله تعالى لما اتّصلوا بالمعتزلة وأخذوا منهم فتأثّروا بهم، وقالوا مثل قولهم(٣)، ومن ذلك" اعلم أنّ الأصل في الذّات المقدّسة – تباركت وتعالت – التّعرّي والتّنزّه عن الصّفات، وإطلاقه عن التّقييد بالصّفات، وغناه عن العالم."(٤).

وبالنظر إلى مجمل عقيدتهم في الصفات نجد أنّهم جعلوها على قسمين:

القسم الأول: الصفات الثبوتيّة.

يُراد بها صفاتُ الجمال والكمال، وهي إمّا صفاتٌ ذاتٍ أو صفاتُ أفعالٍ، فقالوا: "إنّ الله ﷻ اسمه حيٌّ لنفسه لا بحياةٍ، وأنّه قادرٌ لنفسه وعالمٌ لنفسه لا بمعنى كما ذهب إليه المشبّهة مِن أصحاب الصفات"(٥)، وقالوا: "إذا وصفنا الله ﷻ بصفات الذات فإنّما ننفي عنه بكلِّ صفةٍ منها ضدَّها: فمتى قلنا: إنّه حيٌّ نفينا عنه ضدَّ الحياة وهو الموت. ومتى قلنا: إنّه عليمٌ؛

---

(١) هو أبو محمد، هشام بن الحكم، مولى كندة، كان ينزل بني شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد ١٩٩هـ، ويقال: إنّه توفي في هذه السنة، وروى هشام عن الإمامين: الصادق والكاظم، وروى عنه ابن أبي عمير، له كتب منها: كتاب الفرائض، والإمامة، والتوحيد، وغيرها. انظر: رجال النجاشي، أحمد النجاشي (ص ٤٣٣)؛ نقد الرجال، مصطفى التفرشي (٤٩/٥).

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي الأشعري، (ص: ٣١).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٥)؛ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٦/٣)، (١٠١/٢).

(٤) شرح الأسماء الحسنى، صدر الدين القونوي (١٠٥/١)؛ وانظر: المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى، ابراهيم الكفعمي (٨٣/١).

(٥) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد العكبري، (٥٢).

نفينا عنه ضدَّ العلم وهو الجهل. ومتى قلنا: إنّه سميعٌ؛ نفينا عنه ضدَّ السمع وهو الصمم"(١). يعني أنهم أثبتوها على أنّها عينُ الذات وليست غيرَها، أو زائدةٌ عليها، وينفون عنه كلَّ أضدادِ الصفات الثبوتيّة لينفوا عنه جميعَ صفات النقص والعيب التي لا تناسب صفاتِ الربِّ،

ويجعلون هذا النفي والتعطيل للصفات من حَمْد الله تعالى وكمال توحيده حيث قالوا: "أولُ الديانة معرفته، وكمالُ المعرفة توحيدُه، وحمدُ الله نفيُ الصفات عنه، لشهادة كلّ صفةٍ أنّها غير الموصوف، وشهادةُ الموصوف أنّه غير الصفة، وشهادتهما جميعًا على أنفسهما بالبيّنة الممتنع منها الأزل، فمن وصف الله فقد حدَّه ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن عدَّه فقد أبطل أزله"(٢)، وقالوا: "ولا ديانة إلّا بعد المعرفة، ولا معرفةَ إلا بالإخلاص، ولا إخلاصَ مع التشبيه، ولا نفيَ مع إثبات الصفات للتشبيه"(٣).

القسم الثاني: الصفات السلبيّة.

يُراد بها صفاتُ الجلال، و" ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الامكان عنه؛ فإنّ سلب الإِمكان لازمه. بل معناه. سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون، والثقل والخفّة، وما إلى ذلك، بل سلب كل نقص."(٤) وهذه صفات نقص في حقه تعالى لا يجوز اثباتها له.

ما سبق ذكره مجمل قولهم في عموم الأسماء والصفات، وفيما يلي سأذكر موقفهم من اسم الله (الفتّاح)، وصفة الفتح لله تعالى خاصّة.

المسألة الأولى: موقف الشيعة الاثنا عشريّة من اسم (الفتّاح)

بعد بحثي في كتب الاثني عشريّة تبيّن لي موقفُهم من اسم الله (الفتّاح)، وأنهم يفسرونه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة

---

(١) التّوحيد، محمد القمي (١٤٨/١).

(٢) المصدر السابق (٥٧/١).

(٣) المصدر السابق (٤٠/١).

(٤) عقائد الإمامية، محمد المظفر (٣٤/١).

سبأ:٢٦]، بأنه القاضي[١].

أما معنى اسم الله الفتاح عندهم فهو: "الفتّاح بما فتح من أبواب النّعم والعذاب، يقال للحاكم فاتح وفتّاح، لأنّه يفتح بحكمه ما انغلق من الأمر بين الخصمين، فالحقّ هو الحاكم بين عبيده يوم القيامة، وهو الفتّاح لما انغلق من أمور عباده من أسباب معايشهم، فيغني الفقير، ويفرّج عن المغموم، ويفتح على قلوب المؤمنين أنوار معرفته، وعلى المذنبين أبواب مغفرته بعنايته ينفتح كلّ مغلوق، وبهدايته ينكشف كّلّ مشكل."[٢]

أيضًا هو: "الحاكم بين عباده، وفتح الحاكم بين الخصمين: إذا قضى بينهما، ومنه: (ربّنا افتح بيننا وبينَ قومنا بالحقِ) أي: احكم.، وهو أيضاً الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وهو الذي بعنايته ينفتح كل مغلق."[٣]

هكذا تبين لنا أن الشيعة الاثني عشرية توافق السلف ﷺ في معنى اسم الله الفتاح، وبيان معناه.

المسألة الثانية: موقف الشيعة الاثنا عشريّة من صفة الفتح لله تعالى، ونقده

سأعرض هنا ما وقفتُ عليه خلال قراءتي في كتب الشيعة الاثنا عشرية حين حديثهم عن هذه الصفة لله تعالى وهي:

أولًا: التوهّم بأنّ متعلّق فتح الله الدنيا على بعض عباده؛ ترك ولاية علي رضي الله عنه[٤].

---

(١) انظر: تفسير القمي، علي القمي (٣/٨٤١)؛ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (٦/٣٤٠).

(٢) شرح الأسماء الحسنى، صدر الدين القونوي (ص: ١٨٧).

(٣) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى، إبراهيم الكفعمي (١/٣٧).

(٤) تتمسك الشيعة بالإمامة وهي: منصب لشخص معين، يتولى به إصلاح أمور الناس في الدنيا والدين، وقد جعلتها الشيعة لعلي رضي الله عنه وبعض ذريته؛ لاعتقادهم أنها جاءت لهم بالنص من النبي ‘، ثم أوجبوا له بها الولاية وذريته، والاعتقاد بها من علامات الشيعة، وسماتهم التي تميزهم عن غيرهم، انظر: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد العكبري (ص:٣٨)؛ مناهج اليقين في أصول الدين، الحسن بن المطهر (٣٧٠-٣٧٤)؛ وله أيضًا: معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين (٢٧٧-٢٨٨).

يعد عبد الله بن سبأ "أولَ من أظهر القول بالنص بإمامة علي، ومنه انشعبت أصناف الغلاة" الملل والنحل، محمد الشهرستاني، (١/١٧٤).

يزعمون أنّ فتح الله الدنيا للعباد، وإعطاءَهم الملك والنعم؛ استدراجٌ لهم بسبب تركهم ولاية عليّ رضي الله عنه، ويفسّرون قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤] بقولهم: "فلمّا تركوا ولاية عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أُمروا به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] يعني دولتهم في الدنيا وما بسط لهم فيها"(١).

هذا الوهم منهم قائمٌ على عقيدة الإمامة عندهم، وهي ركيزةٌ أساسيّة في دينهم؛ لذلك نجدهم يقحمونها في كثيرٍ من الأمور؛ لغرض تثبيتها وتأكيدها، واستدلّوا عليها بعدة أدلّةٍ، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥].

ومنها ما يذكرونه عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة:٦٧] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند انصرافه من حجة الوداع: "أيّها الناس هل تعلمون من وليّكم؟ فقالوا: نعم الله ورسوله، ثمّ قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى، قال: اللهمّ اشهد. فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقول مثل قولِه الأول ويقول الناس كذلك ويقول: اللهم اشهد. ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتى بدا للناس بياضُ إبطيهما ثمّ قال: "ألا مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه. ثمّ رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم

=
ولعظمتها عندهم جعلوها أول أركان الدين، ومن أنكرها فهو كمن أنكر نبوة الأنبياء كافر مستحق للخلود في النار، انظر: الاعتقادات، محمد القمي، (ص:١٠٨)، (ص/١٧٩)؛ أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد العكبري (ص:٤٤).

(١) تفسير القمي، علي القمي (١/٢٩٤)؛ وانظر: التفسير، محمود العياشي (٢/٩٨)؛ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (٣/٣١).

اشهد عليهم وإنّا من الشاهدين"(١).

الرد عليهم:

يتوجه الرد عليهم من عدة أوجه:

أولًا: ليس الأمر كما زعموا، ولكن القول الحقّ في تفسير الآية هو: أنّ الله تعالى يخبرنا عن أقوامٍ سابقين كذّبت رسلَها فأخذهم الله بالبأساء والضرّاء لعلّهم يتضرّعون ويستكينوا إلى ربّهم عسى أن يرفع عنهم ذلك، لكن مكثوا على تكذيبهم لرسلهم، وأصرُّوا على ذلك، فلمّا تركوا العمل بما أُمروا به فتح الله عليه أبواب الفرج والفُسحة في العيش، والسلامة في الأبدان والأجسام، استدراجًا لهم، ومكرًا بهم، عقابًا على جرمهم وجزاءً لكفرهم، وليس فيه ما ذكروه أنّ الفتح في الدنيا والبسط فيها كان لأجل ترك ولاية علي رضي الله عنه(٢)، وليس هذا قول السلف وحسب، إنما هو قول غيرهم من الفرق كالمعتزلة(٣).

إنّ الآية التي هي عمدتهم في الاستدلال على ولاية علي رضي الله عنه وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]، فالصحيحُ فيها أنّها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه لَمّا تبرأ من حلف يهود بني قينقاع ونبذ إليهم حلفهم، ودخل في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤).

---

(١) تفسير القمي، علي القمي (٢٥٥/١)؛ وانظر: التفسير، محمود العياشي (٦/٢)، (٥٣/٢)، أخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ، مسند علي بن أبي طالب؛ (١٩٥/١)، رقم ٦٥١ ؛ و ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم بالولاية لمن والى عليا والمعاداة لمن عاداه (١٥ / ٣٧٥) برقم٦٩٣١ ، بنحوه مطولا، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: رجاله ثقات، (٩ / ١٠٧).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٥٦/١١-٣٥٨)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (١٢٤/٢).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (٢/ ٢٣).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٢٤/١٠)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١٣٩/٣).

وليس في الآية دلالةٌ على اختصاصه بالإمامة والولاية، وأنّه لا مولى للمؤمنين غيره، بل هي عامّةٌ لكلّ مؤمنٍ، وهذا ما يقرّره حتى بعضُ أهل البيت ﷺ: "قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر(١): إنّما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا، نزلت في المؤمنين، فقيل له: إنّ أناسًا يقولون إنّها نزلت في علي رضي الله عنه، فقال: هو مِن المؤمنين"(٢).

وقد كان للرسول ﷺ موالي من صالحي المؤمنين غير علي رضي الله عنه كما في الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ ﷺ جهارًا غيرَ سرٍّ يقول: «إنّ آل أبي، ليسوا بأوليائي، إنّما وليي الله وصالحُ المؤمنين»(٣).

أمّا الحديث المتعلق بقوله تعالى: ﴿۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة:٦٧]، فهو ممّا تنازع الناس في صحّته، وضعَّفه طائفةٌ من أهل العلم، وقالوا: أنّه لم يأتِ من طريق الثقات(٤).

وممّا يضعّف قولَهم: النظرُ في الحقبة الزمنيّة التي نزلت فيها الآية، وأنّها نزلت قبل حجّة الوداع بزمنٍ طويلٍ، فكيف يصحُّ قولُهم وقد كان بين الحدثين هذا الفارق الزمنيّ الطويل(٥)؟!.

ثانيًا: زعمهم أنّ النبيّ ﷺ نصَّ على إمامةِ عليٍّ، مخالفين للروايات في بعض كتبهم منها أنّ علي رضي الله عنه "لَمّا أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري،

---

(١) أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سيّد بني هاشم في زمانه، من فقهاء التابعين بالمدينة، ولد سنة ٥٦ هـ، واشتهر بالباقر لكثرة علمه فكأنه شق العلم وبقره، حدث عن: جدَّيه الحسن، والحسين، وطائفة، وروى عنه: ابنه جعفر الصادق، وعمرو بن دينار، والأعمش، مات عام ١١٤هـ، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٣٠٨/٣)؛ وله: طبقات الحفاظ، (٩٤/١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٦٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه البخاري، كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلالها، (٦/٨)، برقم ٥٩٩٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم (١٣٦/١)، رقم ٢١٥بنحوه مختصرًا.

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٣٢١/٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣١٤/٧).

فإنّا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول"(١).

هذا الاختلاف في كتب الشيعة جعل بعضهم يذهب لتأويل النصِّ بأنّه كان تقيّةً منه ﵁، ووصفه بعضهم بالعجز والجبن، وأبعد بعضهم النجعة فنعتوه بالكفر لأنّه ترك ما كان يجب عليه فعلُه ممّا أَمَر به الرسول(٢)!.

ثالثًا: ما يقوله الاثنا عشرية: إنّ ولاية عليٍّ كانت بالنصِّ؛ خلافٌ لمعنى الولاية في اللغة وخلاف الواقع:

أمّا مخالفته للمعنى: فهم كعادتهم لا يكادون يستدلّون بدليلٍ إلّا كان حجّةً عليهم لا لهم، وهناك فرقٌ بين الولاية بالفتح وبين الولاية بالكسر، فالأولى بمعنى المحبّة والمودّة بينما التي بالكسر فيُراد منها الإمارةُ وتولّي المناصب العليا، والأمير يُسمّى الوالي لا يُسمّى الوليّ، وهنا يظهر خلطُ الاثنا عشرية الجليُّ بين المعنيين(٣)، ولهذا لَمّا سُئِل الحسن بن علي ﵁: "ألم يقل رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ قال: بلى، والله لو يعني بذلك رسول الله ﷺ الإمارةَ والسلطانَ لأفصح لهم بذلك، فإنّ رسول الله ﷺ كان أنصحَ للمسلمين، فقال: يا أيّها الناس، هذا وليُّ أمركم والقائمُ عليكم مِن بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا "(٤).

أمّا مخالفته للواقع، فإنّ المعلوم عند كلِّ قارئ لمصنّفات السنّة أنّ الصحابة ﵃ -وهم الأمناء في تبليغ الدين- ما كتموا من الدين شيئًا، ولو كان للنصِّ على إمامة عليٍّ أصلٌ لنقله الصحابة كما نقلوا الأحاديث الواردة في فضائله، فإنْ كان للنصِّ على الإمامة أصلٌ لاشتهر وبان، خاصّةً وأنّ مثل هذه الأمور الكبيرة لا تخفى على أحدٍ، ولم ينقلها إلّا هم(٥)، فإنّه "مِن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتّة، ولا يجوز اتّفاقُ أكثرَ من عشرين ألف إنسانٍ... على طيِّ عهدٍ عاهده رسول الله ﷺ إليهم، وما وجدنا قطُّ روايةً عن أحدٍ بهذا النصّ المدّعى إلّا روايةً

---

(١) شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد (٧/٣٣).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ناصر القفاري (ص:٧٠٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٧/٢٨).

(٤) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد البيهقي (ص: ٣٥٥).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٧/٤٨).

واحدةً واهيةً عن مجهولين إلى مجهول"[١].

رابعًا: مؤدّى هذا القول هو الطعنُ في جميع الشرائع والعقائد بالحجّة ذاتها، وأنْ يقال: إنّ العبادات ليس على الطريقة المشهورة الآن، وأنّها كانت على حال معيّنة ولكن الصحابة –وحاشاهم عن ذلك– قد كتموا من الدين شيئًا، أو حرّفوا وبدّلوا، وحينها لا يكون في نفوس الناس أيُّ طمأنينةٍ للشرائع ولا سكونُ نفسٍ لها هذا[٢].

خامسًا: قضية النصِّ على إمامة عليٍّ رضي الله عنه من القضايا التي ورثها الاثنا عشرية من اليهود، "فالرافضة الإماميّة هم أتباع المرتدين، وغلمان الملحدين، وورثة المنافقين، لم يكونوا أعيان المرتدين الملحدين"[٣].

فلئن بطلت عقيدة إمامة عليٍّ رضي الله عنه وولايته، فكلُّ ما بُني عليها باطلٌ ساقطٌ، ومنه زعمُهم أنّ من دواعي فتح الله الدنيا على أهلها معاقبتَهم على ترك ولاية عليٍّ رضي الله عنه قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٩]

ثانيًا: اعتقادهم أنّ فتح الله يوم القيامة بين العباد من الأمور الواجبة عليه سبحانه[٤].

---

[١] الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٨٠/٤).

[٢] انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ناصر القفاري (ص:٧٠٧).

[٣] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٢٢٠/٧).

[٤] المراد بمسألة الوجوب على الله تعالى، وفعله الأصلح للعباد، وأنّه لا يخّل بشيءٍ من ذلك، فإنّ للعباد حقًّا واجبًا على الله تعالى كإثابة الطائع وقبول التائب وهداية الضال ونحو ذلك، وإنّه إنْ لم يفعله كان ظالمًا لعباده، وهذا الواجب يرون أنّه لا يوجبه عليه أحدٌ، بل توجبه ضرورة العقل التي تقتضيه رحمته ولطفه بخلقه، انظر: التوحيد، محمد القمي (ص:٣٨٨)؛ وله: الاعتقادات، (ص:٧٦)؛ أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد العكبري (ص:٥٩)
وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اتّفاقهم عليها بقوله: "واتّفقوا على أنّ الله تعالى إذا وعد عباده بشيءٍ كان وقوعه واجبًا بحكم وعده، فإنّه الصادق في خبره الذي لا يُخلف الميعاد"، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٤٤٨/١).

يقولون: إنّ من معاني صفة الفتح لله تعالى، أنّه يفتح ويحكم بين عباده في يوم الفصل فيثيب الطائعين ويعاقب العاصين المخالفين لأمره، لكنّهم يرون أنّ هذا الفتح من الأمور الواجبة على الله تعالى، فيقولون في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦]: "لَمّا كان من الواجب أن يلحق بكلٍّ من المحسن والمسيء جزاءُ عمله، وكان لازمه التمييز بينهما بالجمع ثمّ الفرق: كان ذلك شأن مدبّر الأمر وهو الربُّ أمر نبيّه ﷺ أن يذكّرهم أنّ الذي يجمع بين الجميع ثمّ يفتح بينهم بالحقّ هو الله، فهو ربُّ هؤلاء وأُولئك، فإنّه هو الفتَّاح العليم"(١).

وقولهم هذا متفرّعٌ عن معتقدهم في مسألة الحُسن والقبح العقليّين(٢).

الردّ عليهم فيما زعموه، هو:

أولًا: فساد الأصل الذي اعتمدوه، وهو مسألة التحسين والتقبيح العقليّين، فالصواب فيها هو قول عامّة السلف وأكثرُ المسلمين وعليه يدلّ الكتاب والسنة، أنّ الحسن والقبح يعرفان بالشرع والعقل والفطرة ولا تعارض بينهم فيه، ولا يمكن أن يأتي الشرع على خلاف ما

=

ويستدلّون على مسألة الوجوب على الله بأدلّةٍ من النصوص منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الليل:١٢]، يقولون: أنّ الله أخبر بوجوب أمور عليه منها الهداية، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [سورة النحل:٩]. فعلى الله وجوبًا جَعْلُ طريقٍ واضحٍ لعباده يوصلهم إليه، انظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد الطباطبائي (٢١٩/١٤).

(١) المصدر السابق (٣٧٥/١٦).

(٢) يراد بمسألة الحسن والقبح: معرفة مدى تحقق كونهما صفتان ذاتيتان في الأشياء، وما يلحق ذلك من ثبوت الثواب والعقاب.

اختلفت الفرق في السبيل الموصل لمعرفة ذلك، هل يمكن معرفتهما بالشرع والوحي فقط؟ أم بالعقل وحده ولا حاجة للوحي في إدراك ذلك، وأن دور الوحي هو الإثبات والإقرار لما عرف العقل حسنه أو قبحه لا الكشف عنه وإظهاره؟ أم أنه يعرف بهما جميعًا؟

والجامع بين المسألتين: أن كلتا المسألتان مما يعرف بالعقل عندهم، فالوجوب على الله يعلم بالعقل، ومعرفة الحسن والقبح كذلك مرده إلى العقل، انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٤١٥/٢)، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (١١٧٥/٣).

حسّنه أو قبّحه العقل والفطرة وإنْ كانوا لا يستحقّون العقوبة إلّا بالرسول قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥](١).

وقد قرّر ذلك الإمام ابن القيم ﷀ بقوله: "الصواب وجوبه بالسمع والعقل وإنِ اختلفت جهةُ الإيجاب، فالعقل يوجبه بمعنى اقتضائه لفعله وذمّه على تركه وتقبيحه لضدّه، والسمع يوجبه بهذا المعنى، ويزيد إثبات العقاب على تركه والإخبار عن مقت الربّ تعالى لتاركه وبغضه له"(٢).

تُعتبر هذه المسألة إحدى مسائل ركن الإيمان بالقدر، وهو مدار التوحيد ومحوره، ولا سبيلَ لسلوك سبيل الهداية فيه إلّا لمن صدر فيه عن نور الوحي المبين، وبَعُدَ فيه عن الأخذ بآراء المتكلّمة المشككين، وإنّ سلوكهم هذا الطريق في العقيدة سببُ مباينتهم للأمم كلّها(٣).

ثانيًا: إنّ القول بالوجوب على الله تعالى كما يُقال بالوجوب على العبد من جنسِ قياس الله على العبد، وهذا لا يصحّ قطعًا وهو قياسٌ عقليٌّ فاسدٌ، فكما أنّه لا يقاس في ذاته ولا في أسمائه ولا صفاته على خلقه؛ كذلك لا يُقاس في أفعاله عليهم، ولأجل قولهم هذا أَطلق عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية صفةَ مشبّهة الأفعال(٤)، وقال: "الفعل يحسن منّا لجلبه المنفعة، ويقبح لجلبه المضرّة، ويحسن لأنّا أمرنا به، ويقبح لأنّا نهينا عنه، وهذان الوجهان منتفيان في حقّ الله تعالى قطعًا"(٥).

ثالثًا: في قولهم هذا مخالفةٌ لأهل السنّة وغيرهم من الأمم الأخرى، أمّا أهل السنّة فهم "متّفقون على أنّه سبحانه خالقُ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنّ ما شاء كان وما لم يشأْ لم يُكن، وأنّ العباد لا يُوجبون عليه شيئًا، ولهذا كان مَن قال مِن أهل السنة بالوجوب، قال: إنّه كتب على

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١١/٦٧٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/٤٥٥).

(٣) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن القيم (ص: ٨).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (١/٤٧٤).

(٥) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١١/٣٥٣).

نفسه، وحرّم على نفسه، لا أنّ العبد نفسه يستحقّ على الله شيئًا، كما يكون للمخلوق على المخلوق"(١).

أمّا مخالفة الأمم الأخرى فهناك طوائف من الإلهيّين والحكماء المتقدّمين لا يقولون بمثل قولهم(٢).

رابعًا: إثابة الله للطائعين إنّما هي تفضّلٌ منه ومنّةٌ له عليهم، ليست بواجبةٍ على الله ولا بعوض، وأعمال العبد لا تُوجب له دخولَ جنّةٍ ولا نجاةً من نار، وما أوجب الله على نفسه إنّما هو من باب الوعد، ووعدُ الكريم إيجابٌ ولو بـ (عسى، وعل)(٣).

خامسًا: الأصل أنّ العبد لا يرى لنفسه حقًّا في تعامله مع سيده، لأنّ أصل العلاقة بينهما قائمةٌ على الذلّ والانكسار، فإنّ ترك العبد ملاحظةَ ذلك ورأى أنّ لنفسه حقًّا على سيّده فَسَد ما بينه وبين ربّه، وأصبحت عبادتُه لربّه معلولةً يخاف على صاحبه المقت لأجل ذلك، وهذا غير منافٍ لِما أوجبه الله على نفسه تفضّلًا ورحمةً(٤).

في خاتمة الردّ على القائلين بالوجوب على الله أقول: "هذا كلامٌ تقشعر منه ذوائب المؤمن، ليت شعري من الموجب ذلك على الله تعالى والحاكم عليه بذلك والملزم له ما ذكر هذا النذل لزومه للباري تعالى ووجوبه عليه، فيا لله لَمَنْ قال أنّ الفعل أوجب ذلك على الله تعالى أو ذكر شيئًا دونه تعالى؛ ليصرحنَّ بأنّ الله تعالى متعبّدٌ للذي أوجب عليه ما أوجب، محكومٌ عليه مدبّر. وإنّه لَلْكُفْرُ الصُّراح"(٥).

وبهذا نفينا دعواهم واعتقادهم أنّ فتح الله يوم القيامة بين العباد من الأمور الواجبة عليه سبحانه.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن تيمية (٢/٣١٠).

(٢) انظر: مسألة الوجوب على الله تعالى عند المعتزلة، سلمان العنزي (ص:٢١).

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٢/٣٢٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢/٣٢٢).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٤/١٥٢).

ثالثًا: تأويل الآيات المثبتة لصفة الفتح

من المعاني التي صرفت الشيعة لها معنى صفة الفتح لله تعالى ما يلي:

المعنى الأول: الرجعة(١).

الآيات الواردة في صفة الفتح، وأوّلتها الشيعة بالرجعة:

١ - قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابًا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧]، قالوا: هو في رجعة علي بن أبي طالب(٢).

٢ - قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩﴾ [السجدة: ٢٨-٢٩]، قالوا في معنى الآية: "هو مثلٌ ضربه الله في الرجعة، يوم الفتح، يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام، لا ينفع أحدًا تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل مؤمنًا، وبهذا الفتح موقنًا، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله قدره وشأنه، وتزخرف له يوم القيامة... وتحجب عنه نيرانه، وهذا أجر الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام،

(١) والمراد بالرجعة عندهم: إعادة الله الأموات للدنيا، وردهم إليها قبل قيام الساعة بنفس أحوالهم وصورهم التي كانوا عليها، وهذه الرجعة قد تكون لأئمتهم خاصة، وقد تكون للناس عامة طائعهم وعاصيهم، فيعز الله الطائع ويثيبه على حسناته، ويذل العاصي ويعاقبه على سيئاته.

ويستدلون على عقيدة الرجعة بالآيات التي جاءت في القرآن الحاكية عما حصل في الأمم السالفة: كبني إسرائيل من صعق وموت في الدنيا ثم رجعتهم مرة أخرى للحياة، كيف لا وقد أخبر النبي بأنه سيكون في الأمة مثل ما كان في الأمم قبلها كقوله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [سورة البقرة:٢٤٣] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾ [سورة البقرة:٥٦]، وغيرها من الآيات ذات المعنى نفسه. انظر: أوائل المقالات، محمد العكبري (ص:٧٧-٧٨)؛ الاعتقادات، محمد القمي، (ص:٦٧).

تعتبر عقيدة الرجعة من أهم عقائدهم فهي المحددة للمنتسب للفرقة، ولإظهار مكانتها قالوا: "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا، ويستحل متعتنا" من لا يحضره الفقيه، محمد القمي، (٣/٤٥٨).

(٢) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل الطبرسي (٧/١٤٨)؛ الصافي في تفسير القرآن، محمد الكاشاني (٥/١٩٢)؛ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (٥/٣٥٠).

ولذرّيّته الطيّبين عليهم السلام"(١).

المعنى الثاني: نكاح المتعة(٢).

الآيات الواردة في صفة الفتح وأوّلتها الشيعة بنكاح المتعة:

- قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢]، قالوا: "والمتعة من ذلك"(٣).

الرد عليهم

والرد على هذا سيكون من شقين، وهما:

الشق الأول: خطر التأويل على الدين، ودوره الخطير في إفساد العقائد.

---

(١) تفسير القمي، علي القمي (٥٠٨/٣)؛ وانظر: الصافي في تفسير القرآن، محمد الكاشاني (٥٤١/٥).

(٢) هذه المسألة وإن كانت من المسائل الفقهية، لكنها تبحث هنا ضمن مسائل العقيدة كونها من الأمور الفارقة بين أهل السنة والشيعة المبتدعة كالمسح على الخفين مثلًا، وإمامة الصديق أبي بكر رضي الله عنه.

والمراد بنكاح المتعة: "نكاح إلى أجل مسمّى بعوضٍ معلومٍ"، خلاصة الإيجاز في المتعة، محمد العكبري (ص:١٩).

وهي كالرجعة في الأهمية والمنزلة عندهم، لذا يقولون: "ليس منّا من لم يؤمن بكرتنا، ويستحلّ متعتنا." من لا يحضره الفقيه، محمد القمي، (٤٥٨/٣).

ويستدلون على جوازها بآيات قرآنية ومرويات في كتبهم، ومن تلك الأدلة عندهم قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٢٤﴾ [سورة النساء:٢٤]، وقالوا: كان ابن مسعود - رضي الله عنه - يقرأ: "فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ أجورهنّ فريضة"، وعن أبي جعفر قوله: "إنّ النبي ﷺ لَمّا أُسري به إلى السماء، قال: لحقني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: إنّي قد غفرت للمتمتّعين، من أمتك من النساء"، وعنه قوله: "أحلّ رسولُ الله المتعة ولم يحرّمها حتى قبض"، التوحيد، محمد القمي (٤٦٣/٣) وانظر له : من لا يحضره الفقيه (١٧٦/٣)؛ خلاصة الإيجاز في المتعة، محمد العكبري (ص:٢٢).

أمّا الأدلّة الواردة في تحريمها فهي عندهم من باب التقية؛ لمخالفتها ظاهر النصوص، وما أجمعت عليه الشيعة، ويحكمون عليها بأنّها روايات شاذّة، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، أبو جعفر الطوسي (١٤٢/٣).

(٣) تفسير القمي، علي القمي (٨٤٨/٣)؛ وانظر: البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (٣٥٤/٦).

وهذا فيه رد عام على كلّ الفِرَقِ المؤوّلة، ورد خاص على كل فرقةٍ بجواب على حسب ما تأوّلته.

أولًا: عند فحص أقوال المؤولة التي مالوا إليها في التأويل يتضح للقارئ كونها خاليةً من الدليل على ما زعموه[١]، وهذا هو دأْب كلِّ الفِرَق المخالفة لمنهج السلف الصالح، فإنّ "كلّ هذه الفرق لا تتعلّق بحجّةٍ أصلًا، وليس بأيديهم إلّا دعوى الإلهام... ويكفي من الردّ عليهم أنْ يُقال لهم: ما الفرقُ بينكم وبين مَنِ ادّعى أنّه أُلهِم بطلان قولكم؟"[٢].

إذن لكلِّ مَن لم يعضد أقوالَه بدليلٍ من الكتاب ولا من السنة نقول: قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

ثانيًا: نقول لهم: إنّ اللازم من اعتقادهم التأويل أحدُ أمرين: إمّا أنهم أكثر علمًا من الصحابة، أو أصحّ منهم فهمًا، وأنهم بلغوا من العلم ما لم يبلغوه حتى قالوا ما لم يقولوه. أو يقولوا: إنّهم علموا كلَّ ذلك، ولكنّهم كتموا العلمَ وأخفوه عن الأمة.

وكلا القولين باطلين؛ إذ "كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوّكون أعلمَ بالله وأسمائه وصفاته، وأحكمَ في باب آياته وذاته من السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، والذين اتّبعوهم بإحسانٍ، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق، بما لو جُمعت حكمةُ غيرهم إليها لاستحيا مَن يطلب المقابلة، ثمّ كيف يكون خير قرون الأمة أنقصَ في العلم والحكمة -لا سيّما العلمُ بالله وأحكام آياته وأسمائه- من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟"[٣].

ثالثًا: في تأويلهم للنصوص الشرعيّة، وبعدهم عن فهمها كما أخبر بها الرسول ﷺ هدمٌ

---

[١] انظر: الفتوى الحموية الكبرى، أحمد بن تيمية (ص: ١٩٦)؛ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (٢/٤٥٣).

[٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٢/٩٠).

[٣] الفتوى الحموية الكبرى، أحمد بن تيمية (ص: ١٩٦-١٩٧).

لأصول الإسلام التي مبناها الأخذ عنه ﷺ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ومن أعظم آفات التأويل وجناياته أنّه إذا سُلِّط على أصول الإيمان والإسلام اجتثّها وقلَعها،.. فعمد أرباب التأويل إلى أصول الإيمان والإسلام فهدموها بالتأويل؛ وذلك أنّ معقد هذه الأصول العشرة تصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر، فعمدوا إلى أجلّ الأخبار وهو ما أُخبر به عن الله من أسمائه وصفاته ونعوت كماله فأخرجوه عن حقيقته وما وضع له، وهذا القسم من الأخبار أشرف أنواع الخبر، والإيمانُ به أصلُ الإيمان بما عداه"(١).

والفرق المبتدعة تحرص على التأويل، وتجعله منهجًا لهم في ردّ النصوص الشرعيّة، فقد حكى عنهم الدارمي رحمه الله(٢) أنّهم قالوا: "لا تردّوه فتفتضحوا، ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلطفٍ"(٣).

رابعًا: كان نتاج تأويلهم للنصوص؛ تركَهم التعظيم للنصوص الشرعيّة، وعدمَ الالتجاء لها، ولا الاستنادَ لأدلّتها، وتبعَ ذلك تركُ العمل والتعبّدُ لله وقسوةُ القلب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، فلمّا قست قلوبهم حرّفوا الكلم ونسوا العلم والعمل(٤).

خامسًا: العمل بالتأويل سبب الاضطراب البيّن والتناقض في المنهج، فأهله يفرّقون بين المتماثلات، فتارةً تراهم يعملون بظاهر النصوص وتراهم أخرى يؤوّلون، ولا تكاد تجد عندهم

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (٣٦٥/١).

(٢) أبو سعيد، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، الحافظ أبو سعيد الدارمي السجستاني، محدث هراة، ولد عام ٨٠هـ، روى عن: أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، روى عنه: أبو عمرو أحمد بن محمد الحيري، ومؤمل بن الحسن الماسرجسي، من مصنفاته: كتاب في الرد على الجهمية، وصنف مسندًا كبيرًا، توفي في سنة ٢٨٠هـ، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام محمد الذهبي، (٥٧٤/٦)؛ وله: طبقات الحفاظ، (١٤٧/٢).

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، عثمان بن سعيد الدارمي (٨٦٨/٢).

(٤) انظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف، عبد الرحمن الحنبلي (ص: ١٠).

قاعدةً مطردةً يسيرون عليها، فهم مثلًا يثبتون بعض الأسماء وينفون مثيلاتها، وكذلك يفعلون في الصفات(١).

سادسًا: ظنّهم أنّ إثبات الأسماء والصفات وحملها على الظاهر فيه تشبيهٌ لله بالخلق -ثمّ عمدوا للتأويل طلبًا للتنزيه- ظنٌّ باطلٌ، وذلك أنّ الاشتراك في القدْر الكلّيّ لا يلزم منه التماثل أبدًا، خاصّةً عند التقييد والتخصيص(٢).

سابعًا: مرجعُ كلِّ بدعةٍ ظهرت في الدين فرقت الأمة، وأثارت الاختلاف بين أبنائها؛ هو التأويلُ الفاسد الباطل، لهذا فإنّ الصحابة رضي الله عنهم مجمعون على تركه، ولم يأتِ عن أحدهم شيءٌ منه، بل إنّه سنّة جاءت من طريق رجلٍ مبتدعٍ أو منسوبٍ إلى البدعة(٣).

هــذا وأصــل بليّــة الإســلام مــن = تأويــل ذي التحريــف والــبطلانِ
وهــو الــذي قــد فــرق الســبعين بــل = زادت ثــلاثاً قــول ذي البرهــانِ
وجميعُ مـا في الكـون مـن بـدعٍ وأحـ = ـداثٍ تخــالف موجــب القــرآنِ
فأساســها التأويــلُ ذو الــبطلان لا = تأويــلُ أهــل العلــم والإيمــانِ(٤)

الشق الثاني: الردّ على الشيعة في تأويل صفة الفتح لله تعالى هو:

الأمر الأول: الرد على تأويل الفتح بالرجعة:

أولًا: إنّ المعنى الصحيح في الآيات التي تأوّلها الشيعة الاثنا عشريّة هو:

أمّا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧] فليس الأمر كما زعمت الشيعة الاثنا العشرية أنّها في الرجعة، والصواب ما جاء "عن ابن عباس، أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في قصة المجاعة التي أصابت قريشًا؛ بدعاء رسول الله ﷺ عليهم... جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العِلْهِزَ! يعني الوبر والدم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا

---

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣/٨٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:٣٦).

(٣) انظر: ذم التأويل، عبد الله بن قدامة (ص: ٤٠).

(٤) القصيدة النونية، محمد ابن القيم (ص:١١-١١٣).

ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦] "[١].

إذًا ليس المرادُ بالفتح هو: الرجعة، بل ما فتح الله عليهم من الجوع والضرّ بسبب دعاء الرسول ﷺ عليهم، وهذا هو قول المعتزلة أيضًا[٢].

أمّا قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٨-٢٩] فالمعنى الصحيح كما قاله أئمّة التفسير هو: إنّ النظر في السياق يوضّح أنّ الخطاب في الآية لكفّار قريش لا لغيرهم؛ ذلك لأنّ ابتداء الكلام كان مع الكافرين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة: ٢٦-٢٧]، لأنّهم كانوا يسألون استهزاءً وتكبّرًا عن موعد مجيء الحكم بينهم وبين الرسول ﷺ، فأمر الله نبيّه ﷺ أنْ يخبرهم بأنّه إذا جاء يوم الفتح الذي يحكم الله فيه عليهم بالعذاب لن ينفعهم إيمانهم.

وليس المراد بالفتح فتح مكة، وإن كان قال به البعض، ووجه ذلك: أنّ الله نفى قبول التوبة منهم يومها، ولا شكّ أنّ الله قَبِلَ توبةَ كثيرٍ منهم بعد فتح مكة، ولو كان المراد ما قالوه للزم منه القول: أنّ الله لم يقبل توبةَ أحدٍ منهم بعد الفتح، وهذا غيرُ صحيحٍ ولا يقولُ به أحدٌ[٣]، وقد ذهب إلى هذا المعتزلة أيضًا فليس بقول السف ﷺ وحدهم[٤].

ثانيًا: ما قالوه من نفيٍ وتأويلٍ من صفة الفتح مخالفٌ لقول أئمّتهم الذين يُثبتون الصفات الربّانيّة، شأنُهم في ذلك شأنُ سائر الصحابة والتابعين[٥]، وفي كتبهم نصوصٌ كثيرةٌ تبيّن ذلك منها:

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٦١/١٩)؛ وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٣٧١/٣).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (٣/ ١٩٧).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٩٨/٢٠)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٦٠٤/٣)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣٧٤/٦).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (٣/ ٥١٧).

(٥) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (١٠٦/٢).

ما روي عن أبي الحسن الرضا رحمه الله(١) "للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفيٌ، وتشبيهٌ، وإثباتٌ بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز؛ لأنّ الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة، إثباتٌ بلا تشبيه"(٢)،فهل مَن قال بالتأويل متّبعٌ كتاب ربّه، أو آخذٌ بقول سلفه؟

فما يضيرهم إنْ أثبتوا لله صفاتِه وأفعالِه، خاصّةً أنّ في إثباتها حمدًا لله على كمال صفاته، ونعوت جلاله، ومنها فتحه على عباده بأحكام شرعه، ويفتح بينهم يوم القيامة بجزائه.

ثالثًا: عقيدة الرجعة مخالفةٌ لصريح القرآن بأنّه لا رجعةَ في الدنيا بعد الموت، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١﴾ [يس: ٣١]، وهل بعد قول الله تعالى في كتابه من قولٍ أو بيانٍ؟!

رابعًا: نفى هذه العقيدة أناسٌ من آل البيت الذين تدّعي الشيعة موالاتهم وإمامتهم، قيل للحسن بن علي رضي الله عنه: "إنّ هذه الشيعة يزعمون أنّ عليًّا مبعوثٌ قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله ما هؤلاء بشيعته، لو علمنا أنّه مبعوث ما زوّجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله"(٣)، فأين هم من قول أحد الأئمّة في نقض هذه العقيدة؟

خامسًا: عقيدة الرجعة غير متوافقة أبدًا مع ما أُخبرنا به من حال الدنيا وطبيعتها التي خلقها الله تعالى عليها، فإنّها إنّما خلقت للعمل والحرث، وإنّ الجزاء الكامل الموفور لا يكون إلا

(١) المقصود به: عليّ بن موسى الرّضا الإمام الثامن عند الاثني عشرية، أبو الحسن الحسينيّ ولد بالمدينة سنة ثلاث أو إحدى وخمسين ومائة، روى عن أبيه موسى الكاظم، عن جده جعفر بن محمد الصّادق، توفي سنة ٢٠٣ بطوس وله خمسون سنة، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكري (٣/ ١٤).

(٢) التّوحيد، محمّد القمّي (١٠٧/١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه، إبطال بعثة علي رضي الله عنه، (١٤٥/٣)، برقم ٤٧٢٥؛ وابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، كتاب الإيمان والتوحيد، باب تكذيب من يؤمن بالرجعة في الدنيا (٥٦٤/١٢)، برقم ٣٠٠٩، قال عنه الهيثمي مجمع الزوائد: "فيه عمرو لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح" (١٠ /٧٥).

في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]، مع ما يظنّ به في القائل بهذا القول من إضعاف بالإيمان بيوم القيامة والجزاء، أو إبطال حصوله أصلًا[(١)].

الأمر الثاني: الرد على تأويل الفتح بنكاح المتعة:

أولًا: ليس الأمر كما زعموا، ولكنّ القولَ الحقّ في تفسير الآية هو القول الصحيح للآية من سورة فاطر: إنّ "مفاتيح الخير ومغالقه كلّها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خيرٍ فلا مغلقَ له، ولا ممسكَ عنهم؛ لأنّ ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خيرٍ عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأنّ الأمور كلّها إليه وله، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[(٢)].

وكلمة (رحمة) نكرةٌ أتتْ في سياق الشرط، فهي دالّةٌ على العموم، وتخصيصها بمخصّص كما فعلوه يحتاج إلى دليل.

ثانيًا: نكاح المتعة حرمه رسول الله ﷺ، وذلك في يوم الفتح، فعن سبرة الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنّي قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإنّ الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنّ شيءٌ فليخل سبيله، ولا تأخذوا ممّا آتيتموهنّ شيئًا»[(٣)]، ففي الحديث تصريحٌ بأنّها حرّمت من الله على لسان رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ناصر القفاري، (ص:٩٢٦).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٣٦/٢٠)؛ وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٦٨٧/٣)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٥٣٣/٦)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص:٦٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، (١٣٢/٤)، برقم ١٤٠٦.

لهذا لما أراد النبيُّ الإخبارَ بتحريمها كان يتوخّى المواضع الجامعة: كالمغازي وذلك في حنين، ويوم خيبر، وحجّة الوداع وهي مِن آخر عهده؛ لأجل أن يبلغ التحريمُ أكثرَ الناس، ولا يبقى لأحدٍ مقالٌ أو شبهةٌ يدّعي بها تحليلها، ومع ذلك ما زالت هذه الفِرقة تثبت على تحليلها في مخافةٍ صريحة للشرع.!

وقد نقل هذا أئمّة أهل البيت، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (إنّ رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسيّة)(١)، فأين هم من متابعة الأئمّة واتّباع نهجهم؟!

ثالثًا: إنّ أهل السنة لا ينفون كون المتعة ممّا أباحه الله أول الأمر، فهم يقولون: إنّ المتعة كانت ممّا أُجيز أول الأمر لِما بالناس من حاجةٍ، ثمّ لَمّا فتحت خيبر ووسّع الله على الناس نُهي عنها؛ وذلك لانتفاء السبب وعدم الحاجة(٢).

وقيل: إنّها حرّمت "لما نزل النكاح، والطلاق، والعدة، والميراث بين الزوج والمرأة"(٣).

وكلا القولين متوجّه، فلمّا انتفت الحاجة، واستقرّت الشرائع، وثبتت الأحكام المتعلّقة بالأسرة: نُسخت لئلّا يوجد ما يزعزع ثبات المجتمع الإسلامّي الكبير، الذي نواته الأسرة الصغيرة.

رابعًا: فرق بين الأمرين، فنكاح المتعة الذي يعمل به الشيعة اليوم لا يشترطون فيه الشهود، وصورة المتعة التي أُجيزت أول الأمر أنّ "الرجل ينكح المرأة بشرطٍ إلى أجل مسمّى، ويشهد شاهدين، ويَنْكح بإذن وليّها، وإذا انقضت المدّة فليس له عليها سبيل، وهي منه بريّة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (١٣٥/٥)، برقم ٤٢١٦؛ ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثمَّ نسخ، (١٣٤/٤) برقم ١٤٠٧، بنحوه.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (١٧١/٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي (١٣٠/٥).

وعليها أن تستبرئَ ما في رحمها، وليس بينهما ميراثٌ، ليس يرثُ واحدٌ منهما صاحبه"[١].

خامسًا: الروايات في تحريم المتعة ليست بالشاذّة، بل جميع المرويّات دالّة على نسخها وتحريمها للأبد بإجماع السلف والخلف[٢]، لذلك ينبغي أن يعلم أنّ "من السنّة أن يعلم أنّ المتعة حرامٌ إلى يوم القيامة"[٣].

وبهذا نفينا تأويلهم لصفة الفتح لله تعالى بأنّ المراد بها عقيدة الرجعة أو نكاح المتعة.

إذن هذه هي المسائل الثلاث التي تكلّمت بها الشيعة الاثنا عشريّة عند صفة الفتح لله تعالى، وقد تجلّى في ذلك مدى مخالفتهم لأقوال السلف الصالح رحمهم الله، وما النقد الصائب لتلك المقالات



(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٨/١٧٦)؛ وانظر: بطلان عقائد الرافضة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية، محمد التونسوي (ص: ٩٣).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ٣١٤)؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (٤/٩٣).

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، عبيد الله العُكْبَري (ص: ٣٢١)؛ وانظر: شرح السنة، الحسن البربهاري (ص: ٤١).

المطلب الثاني:
الصوفيّة(١)

(١) إحدى الفرق الإسلامية، وحاصل قولهم: "أنّ الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرّد من العلائق البدنية"، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد الرازي، (ص: ٧٢).

هناك اختلافات كثيرة في تحديد نسبة الصوفية، وسبب تسميتهم، حتى قيل: "إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء اثارها... وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله ﷻ كرامته... وقال قوم: إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه... وقال قوم: إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ... وقال قوم: إنما سموا صوفية للبسهم الصوف" التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي (ص: ٢١)؛ وانظر: اللمع، السراج الطوسي (ص:٤٦-٤٧).

لكن ثمَّ رأي آخر في تلك النسبة يقول به من أناس من غيرهم، وهو رأي من قال: إن الصوفية منسوبة إلى – سوفية– وهي كلمة يونانية بمعنى الحكمة، ويرون أنّه "ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمّوا باسمهم، ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكّل إلى الصفّة وأنّهم أصحابها في عصر النبيّ ﷺ، ثمّ صحّف بعد ذلك فصيّر من صوف التيوس"، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، محمد البيروني (ص: ٢٧)، وقد رجحها كثير من الباحثين والدارسين، انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، لطف الله خوجة (ص:٩٣-٩٦).

وقيل: إنّ الأصح هو جعل مصطلح الصوفية لقبًا لهم وليس اسمًا، انظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٤٤٠/٢).

ويعلّلون عدم نسبتهم إلى علمٍ معينٍ كما ينسب أهل الحديث والفقه إلى علومهم، لأنّهم معدنُ جميع العلوم، فهم لم ينفردوا بعلمٍ دون آخر، ولم يُسمَّوا باسمٍ دون غيره، انظر: اللمع، السراج الطوسي (ص:٤٠).

كان ظهورهم في أوائل القرن الثاني الهجري، وبعد أنْ كثرت الفتوحات الإسلامية، وكثر الاختلاط بالناس وفتحت الدنيا على الأمة، وانشغل الناس بها عن الآخرة ظهر الصوفية داعين إلى الزهد في الدنيا وترك الاغترار بها والحرص على العمل للآخرة والتزود لها، غير أنّ علومهم حادثة على غير عمل الصحابة، ولا وفق منهجهم، وإن كان أصلُه من الزهد والعبادة قائمًا عندهم، انظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٣٤٩/١)؛ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦١١/١).

لكن الصوفيّة لم تستمر على ما كانت عليه أول نشأتها، إذ جاء متأخّروها بكلامٍ لم يكن عند أوائلهم، ولم يكن لسلفهم عنايةٌ به، وحينها تعدّدت مذاهبهم، واختلفت مقالاتهم، وتباينت آراؤهم ومسالكهم.

والذي يجمع هذا التفرق عندهم رأيان:

الأول: القائلين بالمظاهر والتجلي، وأنّ أول مظهر للتجلي كان في الحقيقة المحمدية.

الثاني: أصحاب وحدة الوجود، انظر شفاء السائل وتهذيب المسائل، عبد الرحمن بن خلدون (ص:١٠٧-١١١)؛ وله ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (ص:٦١٩-٦٢٩).

تمهيد:

عند النظر في مقالات الصوفيّة في باب الأسماء والصفات نجد أنّهم لم يذكروا هذا النوعَ من التوحيد ولا توحيد الألوهيّة -الذي مِن أجله أُرسلت الرسلُ وأُنزلت الكتبُ- ضمنَ أقسام التوحيد الثلاثة المشهورة، والتي هي مستقاةٌ بالاستقراء من النصوص الشرعيّة[١]، بل غاية ما يسعون إليه هو توحيد الربوبية[٢].

ومع ذلك فإنّ أوائلهم كانوا في الجملة من أهل الإثبات، وليسوا من المعطلة النفاة، فهم مبرّؤون من بِدع خلَفِهم ومغالطاتهم العقديّة، بل لهم أقوالٌ في لزوم الشرع والردّ على المبتدعة[٣]، القائلون: "اجتمعت الصوفية على أن الله واحد أحد ..... موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته مسمى بكل ما سمى به نفسه لم يزل قديما بأسمائه وصفاته غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه لا تشبه ذاته الذوات ولا صفاته الصفات"[٤]، ولما سأل الجنيد -رحمه الله- [٥] عن التوحيد قال: "بلا تشبيه، ولا تكييف ، ولا تصوير، ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

=

لأجل هذ التفرق بين طوائف الصوفية والتباين في مقالاتهم يجد الباحث نفسه متوقفًا عند نقله للأقوال متحيرًا من كثرة تعددها، بل إنّ بعضها ينقض بعضًا، وبعضَها متقاربٌ، وبعضَها متداخلٌ، شأنُهم في ذلك شأنُ جميع الفرق المنحرفة التي لم تكن في سيرها على مذهب السلف.

لهذا عزمت -متوكلة على الله- في جعل أكثر النقل عن كبرائهم ممّن لهم أثر على من بعدهم، وإن كان في مقولته مخالفة لقول البعض؛ لأنّ القصد هو دراسة الصوفية كفكرٍ أو مذهبٍ عقديٍّ يحاكم بقول من نسب إليه، لاسيما إن كان من علمائهم الذين تبعهم كثير من عامتهم.

[١] انظر: منازل السائرين، عبد الله الهروي (١٣٥/١٣٨).

[٢] انظر: الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية (١٨٦/١٨٧).

[٣] انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن تيمية (٢/١٧٠).

[٤] التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي (ص: ٣٣).

[٥] أبو القاسم، الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريري، ولد حوالي ٢٢٠ ç، وصحب: خاله السري السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما. روى عنه: أبو بكر الشبلي، ومحمد بن علي بن حبيش، وطائفة من الصوفية، توفي عام ٢٩٧هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (١/٣٧٣)؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٦/٩٢٥).

ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١]."[١].

سبب هذا كون أصولهم لا توائم النفي والتعطيل، لذلك كانوا من أبعد الناس عن الاعتزال في الصفات والقدر[٢]؛ إذْ أصل منشأ الصوفيّة العناية بالسلوك، والروحانيّات والأخذ بالزهد والمجاهدات.

بيد أنّ هذا الإثباتَ عند بعضهم لم يكن وفقَ منهج السلف، حيث غلا بعضُهم فيه حتى جاوزوا الحدَّ إلى التشبيه، وزعموا "أنّ الله سبحانه ذو أعضاءٍ وجوارحَ وأبعاضٍ –لحم ودم– على صورة الإنسان، له ما للإنسان من الجوارح، تعالى ربّنا عن ذلك علوًّا كبيرًا"[٣].

وانتحل بعضُ الصوفيّة –سواءٌ المتفلسفة أو المتكلمة– التعطيلَ، وقد كان في كلامهم من الكفر والشرك ما ليس في دين اليهود والنصارى ومشركي العرب[٤].

ففي صفة العلو مثلًا قالوا: "لا له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت وزمان.....، ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث."[٥]، وقالوا: "عرفت الله بالجمع بين الضدين.[٦]"[٧]، وظاهر ما في مثل هذا القول من جمع بين النفي والإثبات والإقرار والإنكار.

وانتهج كثيرٌ منهم منهجَ التأويل للنصوص الشرعيّة، ومنها المتعلّقة بالأسماء والصفات،

---

(١) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (١/ ٢١).

(٢) انظر: الاستقامة، أحمد بن تيمية (١/١٠٢).

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي الأشعري (ص: ٢٨٨)؛ وانظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٥/٣٥٨).

(٤) انظر: الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية (ص: ١٨٨)؛ وله: مجموع الفتاوى (٧/٥٠٤).

(٥) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (١/ ٣٣)؛ وانظر: (١/ ٢٥).

(٦) "الضدان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد، يستحيل اجتماعهما، كالسواد والبياض"، التعريفات، علي الجرجاني (ص: ١٣٧).

(٧) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي (٤/١٥٨).

معتمدين على الكشف فما دلّهم عليه أقرّوه، وأوّلوا ما سواه[١]، ومثاله: تعطيلهم لصفة الاستواء فقالوا فيها: "أي توحّد بجلال الكبرياء بوصف الملكوت"[٢].

ما سبق هو مجملُ القول ومختصره في عقائد الصوفيّة في باب الأسماء والصفات عمومًا، وفيما يلي ذكرُ عقائدهم في اسم الله (الفتّاح).

المسألة الأولى: موقف الصوفيّة من اسم الله (الفتّاح) ونقده

أولًا: بعد بحثي في كتب الصوفية تبيّن لي موقفُهم من اسم الله (الفتّاح)، وأنهم يفسرونه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة سبأ:٢٦]، بأنه "الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة"[٣]، وأنه القاضي[٤].

أما معنى الاسم عندهم فهو: "الفتاح بما فتح من أبواب النعم والعذاب، يقال للحاكم فاتح ومفتاح؛ لأنه يفتح بحكمه ما انغلق من الأمر بين الخصمين، فالحق هو الحاكم بين عبيده يوم القيامة، وهو الفتاح لما انغلق من أمور عباده من أسباب معيشتهم، فيغني الفقير، ويفرج عن المغموم، ويفتح على قلوب المؤمنين أنوار معرفته، وعلى المذنبين أبواب مغفرته، بعنايته ينفتح كل مغلوق، وبهدايته ينكشف كشف كل مشكل."[٥]

واستنادًا إلى ما سبق فإن القول الحق، وكلمة الصدق في مذهب الصوفية في اسم الله الفتاح هو: موافقتهم للسلف ﷺ.

---

[١] انظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (٥/٢٤٠)؛ طبقات الحفاظ، محمد الذهبي (٣/١٦٦).

[٢] لطائف الإشارات عبد الكريم القشيري (٢/ ٧٨)، (٢/ ٢٤٦-٢٤٧)؛ إحياء علوم الدين، محمد الغزالي (١/١٠٨).

[٣] روح البيان في تفسير القرآن، اسماعيل حقي (٧/ ٢٩٣)؛ وانظر: البحر المديد، أحمد بن عجيبة (٦/ ١٢٧).

[٤] شرح أسماء الله الحسنى، عبد الملك القشيري (ص:١١٥).

[٥] شرح الأسماء الحسنى، صدر الدين القونوي (ص:٦١)؛ شرح أسماء الله الحسنى، عبد الملك القشيري (ص:١١٥)؛ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد الغزالي (ص: ٨٦).

ثانيًا: لكن لهم طرق في التعبد بهذا الاسم، فهم يسلكون مسالك خاصّة بهم في ذلك، معتمدين ما جاء في بعض كتبهم التي جاء فيها "وخاصيّة هذا الاسم تيسير الأمور وتنوير القلب والتمكين من أسباب الفتح، فمن قرأه في إثر صلاة الفجر إحدى وسبعين مرةً ويده على صدره طهّر قلبه وتنوّر سرّه وتيسّر أمره، وفيه تيسير الرزق وغيره"(١).

هكذا نجدهم كيّفوا طريقة خاصّةً للتعبّد باسم الله (الفتّاح)، وذلك بأن يكون الإنسان بحالة معيّنة، يقرأ فيها الاسم بعددٍ محدّد، وزمنٍ معيّن، ثم رتّبوا على ذلك -كما زعموا- أحوالًا وفوائد يحصل عليها مَن قام بذلك.

مستخدمين الأرقام وسائلَ للترميز بها إلى العقائد هو ما يسمّى: حساب الجُمَّل(٢)، وقد سار على هذا النهج ابنُ عربيّ(٣) في تنبّأه بالفتح في إحدى فتوحات المسلمين فقال: "ولقد كنت بمدينة فاس(٤) سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وعساكر الموحّدين قد عبرت إلى الأندلس لقتال العدو حين استفحل أمره على الإسلام، فلقيت رجلًا من رجال الله ولا أزكّي على الله أحدًا وكان من أخصّ أودائي، فسألني: ما تقول في هذا الجيش هل يُفتح له ويُنصر في هذه السنة أم لا؟ فقلت له: ما عندك في ذلك؟ فقال: إنّ الله قد ذكر ووعد نبيّه بهذا الفتح في هذه السنة وبشّر نبيّه بذلك في كتابه الذي أنزله عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾

---

(١) روح البيان في تفسير القرآن، اسماعيل حقي (٦/ ٤٤٨).

(٢) وهو: تقطيع حروف الكلمة، ثم إعطاء كل حرف رقمًا يدل عليه، ويكون مساويًا له في القدر، على التّرتيب الأبجدي، ثم حساب النتيجة لكل لكلمة أو جملة، ومنه يستنتج معنى النص المراد أو التنبؤ بحدث مستقبلي، انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهاوني (٣٢٨/١).

(٣)أبو بكر، محمد بن علي الطائي الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره، ولد ٥٦٠هـ، سمع بمرسية من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق، ومن تصانيفه: الفتوحات المكية، والتدبيرات، توفي عام ٦٣٨هـ، انظر: فوات الوفيات، محمد صلاح الدين (٤٣٥/٣)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكري (٣٣٢/٧).

(٤) "بالسين المهملة، بلفظ فاس النجّار: مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه" معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢٣٠/٤).

[الفتح: ١]، فموضع البشرى فتحًا مبينًا من غير تكرارِ الألف فإنّها لإطلاق الوقوف في تمام الآية، فانظر أعدادها بحساب الجمل. فنظرتُ فوجدت الفتحَ يكون في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة... فأخذنا للفاء ثمانين وللتاء أربعمائة وللحاء المهملة ثمانية وللألف واحدًا وللميم أربعين وللباء اثنين ولولياء عشرة وللنون خمسين والألف قد أخذنا عددها: فكان المجموع إحدى وتسعين وخمسمائة كلّها سنون من الهجرة إلى هذه السنة، فهذا من الفتوح الإلهي لهذا الشخص"(١)

وأقول في الرد عليهم:

أولًا: إنّ باب الأسماء والصفات توقيفيٌّ، شأنُه شأن العبادات، فإنْ كان يجب على المسلم التوقّف في تسمية الله باسمٍ أو وصفه تعالى بصفةٍ؛ فإنّه يجب عليه كذلك اطّراد هذه القاعدة في جميع ما هو متّصل بهذا الباب، كإثبات خاصّيّة الاسم من أسمائه، أو بيان طريقة ما للتعبّد به.

ففي الآية الشريفة يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢] أي: "خير عملًا"(٢)، وخيرُ العمل هو ما اعتبر فيه حقّ الله تعالى بالإخلاص، واعتبر فيه كذلك حقّ الرسول ﷺ بالاتّباع، ولا يتأكّد ذلك أو يثبت إلّا إذا تطابق العمل مع الشريعة في ستّة أمور وهي: السبب والجنس والقدر والكيفيّة والزمان والمكان(٣).

عليه، فإنْ كل ما ذكروه غير متحقّق فيه شيءٌ من تلك الأمور الستّة، وبذلك علمنا أنّه لا يجوز العملُ به، وإنْ عمل به البعضُ فلن يتحصّل على ما يرجوه من ثواب، لعدم ورود الدليل، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما

(١) الفتوحات المكية، محي الدين ابن عربي (٧-٣٢٣/٣٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١٧٦/٨).

(٣) انظر: الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع، محمد العثيمين (ص:٢١/٢٤).

ليس منه فهو ردٌّ»(١).

ثانيًا: أنّهم جعلوا الذكرَ بطريقةٍ ما لاسم الله (الفتّاح) سببًا لحصول الأجور التي حددوها، فإنّ الأسباب على نوعين:

الأول: الأسباب الكونيّة: وهي التي خلقها الله وجعلها بفطرتها مؤدّيةً للحصول على المطلوب، وهذه يشترك فيها المؤمن والكافر على حدٍّ سواءٍ، لكن لا يشترط فيها موافقتها للنصوص، إنّما شرطها موافقتها للنظر والتجربة، عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قدم نبيّ الله ﷺ المدينةَ وهم يأبّرون النخل -يقولون يلقحون النخل- فقال: «ما تصنعون؟ قالوا: كنّا نصنعه. قال: لعلّكم لو لم تفعلوا كان خيرًا. فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: إنّما أنا بشرٌ إذا أمرتكم بشيءٍ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيءٍ مِن رأيٍ فإنّما أنا بشرٌ»(٢).

الثاني: الأسباب الشرعيّة: وهي المؤدّية للمطلوب من رضا الله وتحصيل الأجر، وهذه خاصّة بالمؤمنين وحدهم، ولا يُكتفى فيها بعدم نهي الشرع عنها؛ بل لا بُدّ من الأمر بها حتى يتحقّق حصولُ الأجر(٣).

وهذا يعني عدم جواز اتّخاذ ما ذكروه سبب للحصول على الفضل أو الأجر، ولا التعبد لله بهذه الطريقة.

ثالثًا: إنّ أهل السنة والجماعة لا ينكرون تفاضل الأسماء الحسنى أو تخصيص بعضها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (١٨٤/٣)، برقم ٢٦٩٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (١٣٢/٥)، برقم ١٧١٨.

(٢) أخرجه صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره من معايش الدنيا، (٧٩٥)، رقم ٢٣٦٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٣٧/١)؛ القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي (٤٣/٤٤) التوسل أنواعه وأحكامه، محمد الألباني (ص: ٢٨/١٧).

بفضلٍ عن غيرها، فإنّهم يقولون: إنّ لله اسمًا أعظم، وإنْ كانوا مختلفين في تحديده(١)، لكنّهم لا يقبلون بالابتداع في ذلك وتخصيص الأسماء الحسنى بفضلٍ لم يرد.

رابعًا: معلوم أنّ "من الوجوه الصحيحة أنّ معرفة الله بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل لا تُعلم إلّا مِن جهة الرسول ﷺ، إمّا بخبره وإمّا بخبره وتنبيهه ودلالته على الأدلّة العقليّة"(٢)، وقد بيّن الله تعالى ذلك على لسان رسوله ما يبيّن به مراده، ويهدي عباده.

ومِن تمام معرفة الله تعالى معرفة أسمائه وصفاته، والعلم بكيفيّة عبادته بها ودعائه وذكره، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولا شكّ أنّ رسول الله بلغ ذلك لأمّته أتمّ البلاغ وبيّنه أحسن البيان، فإذا كان الأمر كذلك فإنّهم مطالبون بالدليل على أثبتوه من فضلٍ لهذا الاسم، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ

(١) جاءت أحاديث في تعيين اسم الله الأعظم منها:

الأول: عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [سورة البقرة:١٦٣] وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [سورة آل عمران:١-٢]»، أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، (٥/٤٦٥)، برقم ٣٨٢٣؛ وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء، (١/٥٥٥)، برقم ١٤٩١؛ وابن ماجه في سننه، أبواب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، (٥/٢٤)، برقم ٣٩٦٨، وقال عنه الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

الثاني: عن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا يعني: ورجل قائم يصلي، فلمّا ركع، وسجد، وتشهد دعا، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «تدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى» =

= أخرجه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، (١/٢٧٧)، برقم ١٢٩٩، وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند١٢٢٠٥، والألباني في مشكاة المصابيح (٢/٧٠٨).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن تيمية (٢/١٣٧)؛ وانظر له: الفتوى الحموية الكبرى، (ص: ٢٧٥).

بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة: ١١١].

خامسًا: إنّ تحديدهم للعدد في العبادات واحتفائهم به ليس لقصد العدد ذاته، ولكن لكونه إحدى طرائقهم التي يتّخذونها في الرموز والإشارات إلى عقائدهم الباطنية التي يخُصّون بها عارفيهم ويخفونها عن غيرهم، ويعلّلون ذلك بأنّه: غيرةٌ على العلم من أنْ يناله غير أهله، ولهذا نجد أكثرَ مؤلّفاتهم لا تكاد تخلو من حديثٍ عن الإشارات والمرامز(١)، وفي هذا تأثر الصوفيّة بالديانات السابقة، فجذور هذه الفكرة عائدةٌ إلى عقائد فرقة القبالا اليهوديّة(٢).

ولعلّ ما قالوه: إنّ مَن تعبّد لله باسم (الفتّاح) بالطريقة المذكورة آنفًا أنّه: يطهّر قلبه وينوّر سرّه وييسّر أمره ورزقه، من هذا الباب، فكأنّه رمز إلى الفتح أو الكشف الصوفيّ المبتدع، وسيأتي الحديث عنه في المطلب الثاني إن شاء الله.

سادسًا: دعوى كون بعض العقائد والعبادات خاصّةً بزمرةٍ من الناس؛ مخالفٌ تمام المخالفة للنصوص التي جاءت مبيّنةً شمول الدين للخلْق المكلّفين كلّهم، ومن خصائص الرسالة المحمّدية العموميّة، دون تمييزٍ لفئةٍ عن غيرها قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «أُعطيت خمسًا لم يعطهنّ أحدٌ قبلي: نُصرت بالرّعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيّما رجلٍ مِن أمّتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأحلّت لي المغانم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصّةً، وبعثت إلى الناس عامّة»(٣)، وغير خافٍ ما يتضمّنه هذا القول من تهمةِ النبي بكتمان بعض الدين عن

---

(١) الكلاباذي في كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف)، وكذلك أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب)، والطوسي في كتابه (اللمع)، ومحمد الكتاني الذي ألف عدة كتب في علم الرمز والإشارة.

(٢) فرقة ظهرت في القرن ١٣م، وجمعت لها مجموعة من النصوص في كتاب سموه: الزوهار، يعتقدون أن كل كلمة وجملة لها معنى باطن لا يعرفها غير علماؤهم، انظر: مجموعة الأديان الميسرة، مجموعة من المتخصصين (ص:٤٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا، (٧٤/١)، برقم ٣٣٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٣/٢)، برقم ٥٢١.

الأمّة.

ولما سئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء، فقال: (ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة) [١]، فإن لم يكن خصَّ أهلَ بيته بشيءٍ من دون الناس فغيرهم أولى.

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله[٢] يقول: (إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيءٍ دون العامّة، فاعلم أنّهم على تأسيس ضلالة)[٣].

إذًا ما ذكرته الصوفيّة من طريقةٍ للتعبّد باسم الله (الفتّاح)، ورتّبوا عليها الفضائل، مبنيّةٍ على عقائد عندهم: مردودةٌ لمخالفتها نصوص الكتاب والسنّة.

المسألة الثانية: موقف الصوفيّة من صفة الفتح لله تعالى، ونقده

سأعرض ما وقفتُ عليه خلال قراءتي في كتب الصوفيّة حين حديثهم عن هذه الصفة لله تعالى، وسيكون هذا العرض عبر ثلاث مسائل، وهي:

أولًا: معنى صفة الفتح لله عند الصوفيّة، ونقده

وسأبيّنه من خلال ذكر عقيدة الفتح الصوفيّ عندهم أو ما يُسمّى بتعبيرٍ آخر: الكشف الصوفي.

ولكون هذه العقيدة كالأمِّ التي تولّدت منها أغلبُ عقائدهم، وكانت تابعةً لها ومنبثقةً عنها، لذلك كلّه كانت من أكثرها تأصيلًا وأوسعها تفصيلًا، فأصبحت لها مجالات متفرّقة، وفيها مقالاتٌ متعدّدةٌ، بل إنّ تعريف الصوفيّة قد يختزل أحياناً بذكر تلك العقائد المتضمّنة لعقيدة الفتح الصوفي[٤].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله،(٨٥/٦)، رقم١٩٧٨.

[٢] أبو حفص عمر بن عبد العزيز القرشي، أمير المؤمنين، ولد عام ٦٠هـ، روى عن: أبيه، وأنس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، روى عنه: ومحمد بن المنكدر، والزهري، توفي عام ١١٠هـ، انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٣/ ١١٦)، وله: سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤).

[٣] نقله أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥٣/١).

[٤]ومنها: ١- الصوفي: "المصطلم عنه بما لاح له من الحق"، الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٤٤٤/٢).

فإن كانت هذه العقيدة بهذه المكانة عندهم فحريٌّ بنا تفصيلُ الكلام فيها ليكون أدعى لإيضاح حقيقية الفتح عندهم وما تحويه من عقائد، ثمّ عرضُها على نصوص الوحي وأقوال الأئمّة من أهل السنة والجماعة، وبيان صحيحها من سقيمها.

تقول الصوفيّة: إنّ الله (الفتّاح) "يَفتح للنفوس بركاتِ التوفيق وللقلوب زوائدَ التحقيق، فبتوفيقه تتزين النفوس بالمجاهدات، وبتحقيقه تتزين القلوب بالمشاهدات"(١).

وقد اشتمل هذا النصّ على مرتبتين من مراتب الفتح الصوفيّ، وهما: المجاهدة والمشاهدة.

ويقولون: "يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه، ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائِه وجمال كبريائه، ويقول: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]"(٢)، وهذا تمام مراتب الفتح عند الصوفيّة، وهي المكاشفة والجمع بين الصفات البشريّة والإلهية، ثمّ الوصول إلى الفناء المطلق الموصل إلى الحلول والاتّحاد.

إذًا هذه مراتب الفتح الثلاثة عندهم، وهي: المجاهدة، ثمّ المشاهدة، ثمّ المكاشفة.

ويرون أنّ هذه المراتب وما يتبعها من أحوالٍ وأذواقَ ممّا اختصّهم الله به دون من سواهم(٣).

وفي توضيح أجمع لمراتب الفتح عندهم: "إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبدًا من عبيده فتح عليه باب ذكرِه، فإذا استلذّ الذكرَ فتح عليه بابَ القرْبِ، ثمّ رفعه إلى مجلس الأنس به، ثمّ أجلسه على كرسيِّ التوحيد، ثمّ رفع عنه الحجبَ وأدخله دار الفردانيّة وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هوًى، فحينئذٍ صار العبد زمنًا فانيًا

=

٢- الصوفية: "تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة" التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٥٩).

(١) شرح أسماء الله الحسنى، عبد الملك القشيري (ص: ١١٦).

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد الغزالي (ص:٨٦).

(٣) انظر: شرح الأسماء الحسنى، صدر الدين القونوي (ص:٦٠).

فوقع في حفظه سبحانه وبرِئَ مِن دعاوي نفسه"(١).

وقالوا: "إنّ الفتوح كلُّ ما يُفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقًا عليه من النعم الظاهرة والباطنة: كالأرزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات، وغيرِ ذلك. والفتح القريب: هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، وهو المشار إليه بقوله: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ [الصف: ١٣]. والفتح المبين: هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وتجلّيات أنوار الأسماء الإلهيّة المفنيّة لصفات القلب وكمالاته، المشار إليه بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢]، يعني من الصفات النفسانيّة والقلبيّة، والفتح المطلق: هو أعلى الفتوحات وأكملها، وهو ما انفتح على العبد من تجلّي الذات الأحديّة والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم الخلقيّة كلّها"(٢).

والفرق بين مرتبة الفتح المبين التي هي المشاهدة، والفتح المطلق، وهي المكاشفة: "أنّ المكاشفة متعلّقها المعاني، والمشاهدةَ متعلّقها الذوات... لذلك قلنا المكاشفة أتمّ لأنّها ألطف"(٣)، فهي أتمّ وأكمل عندهم باعتبار لازمها المقتضي لها -الذي هو عين عقيدة التصوف- وهو: ذهاب الصفات البشرية، والتحلّي بالصفات الملكوتيّة، وصيرورة الوجود وحدةً واحدةً، لا فرق بين العبد والربّ.

هذا مجمل مراتب الفتح عند الصوفيّة، وسنرى حقيقتها ومفهومها في الفكر الصوفي عند ذكر تفاصيلها عبر البيان الآتي:

المرتبة الأولى: الفتح القريب.

هو أولُ مراتب الفتح ودرجاته، وهي مقدّمة الفتح الموضّحة للمسالك التي يسلكها المريد

---

(١) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٤١٩/٢).

(٢) روح البيان في تفسير القرآن، اسماعيل حقي (٥٢٨/١٠-٥٢٩)؛ وانظر: معجم ألفاظ الصوفية، أدهم شرقاوي (ص:٢٥٢-٢٥٣).

(٣) الفتوحات المكية، محي الدين بن عربي (١٨٧/٤).

لنيل الفتح، وهي: الرياضة والمجاهدة.

ويتّفق الصوفيّة كلهم على وجوبها على المريد للتخلّص من حظوظ النفس ورغباتها الحائلة دون تزكية النفس، وترقية القلب في مقامات العبودية، وحينها يكون قد بلغ المرتبة الأولى من الفتح(١).

والسير في مسلك الرياضة والمجاهدة عندهم له مساران:

المسار الأول: السير في طريق المجاهدة بالعلم، وذلك بحفظ القرآن والحديث والتفقّه في الدين.

قال الجنيدﷺ: "من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأنّ عِلْمُنا هذا مقيّدٌ بالكتاب والسنّة"(٢).

ويقول عن أحد مشايخه: " إذا ابتدأ الإنسان بالنسك ثمّ كتب الحديث فتر، وإذا ابتدأ بكتب الحديث ثمّ تنسك نفذ"(٣)، أي: استمر في المجاهدة والعمل اللَّذَيْن هما ركنا الفتح الأول، وهذا رأي المتقدمين منهم، لكن ما استقر عليه مذهبهم خلاف ذلك.

المسار الثاني: يرى الغزاليﷺ (٤) أنّ محور السير في طريق المجاهدة هو القلب لا غير، ولا علاقة للعلم بالمجاهدة والتزكية، بل إنّ الأنبياء والأولياء ما نالوا الكشف إلّا من هذا الطريق، فيقول: "إنّ الطريق في ذلك أولًا بانقطاع علائق الدنيا بالكلّيّة، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمّة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه، بل يصير قلبه إلى حالةٍ يستوي فيها وجود كلّ شيءٍ وعدمه، ثمّ يخلو بنفسه في زواية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب،

---

(١) انظر: التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (٢/٢٨٤)، (٣/٥٠)، (٣/١١٢)؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عجيبة (٧/٣٩)؛ الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٢/٤٤٨-٤٥٣)، (١/٢١٦)؛ روح البيان في تفسير القرآن، اسماعيل حقي (٧/٣١٦).

(٢) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (١/٧٩).

(٣) طبقات الصوفية، محمد السلمي (ص: ٥٨).

(٤) أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي، الفقيه الشافعي، يلقب بحجة الإسلام. ولد حوالي عام ٤٥٠هـ، أخذ عن: إمام الحرمين أبي المعالي، ونصر بن إبراهيم، من مصنفاته: إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، وكتاب الأربعين، والقسطاس، توفي سنة ٥٠٥هـ، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (١١/٦٢)؛ وله: سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٣).

ويجلس فارغ القلب مجموع الهمّ ولا يفرّق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمّل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره... بل هو بما فعله صار متعرضًا لنفحات رحمة الله، فلا يبقى إلّا الانتظار لِمَا يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق"(١).

ثمّ يضرب الغزالي رحمه الله مثالًا محسوسًا لتقريب الفرق بين المسارين فيقول: "لو فرضنا حوضًا محفورًا في الأرض احتمل أنْ يُساق الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفرَ أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقربَ مِن مستقرّ الماء الصافي، فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر، فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء، وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئَ علمًا، ويمكن أن تُسدّ هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغضّ البصر، ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجرَ ينابيع العلم من داخله"(٢).

نجدهم مع ذلك كلّه ملتزمون بالتعبّد لله في الخلوات بالجوع والسهر والأذكار المبتدعة، ويقولون: "مَن سهر أربعين ليلةً خالصًا كوشف بملكوت السماء"(٣).

ودليلهم من القرآن: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ [الشمس: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩](٤)، فعلى الإنسان تزكية نفسه ومجاهدتها حتى يبلغ بها درجاتٍ عُلَى.

ودليلهم من السنّة: أنّ الرسول ﷺ كان في أول أمره يتحنّث منعزلًا عن قومه في غار

(١) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي (١٩/٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٠).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد مكي (١٧١/١).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، (٢٨٣/٣)؛ الغنية لطالبي طريق الحق، عبد القادر الجيلاني (٣٠٦/٢).

حراء(١).

إذن في هذه الأدلّة تشريع للمجاهدة، وفيها حثٌّ وترغيبٌ في تزكية النفس وتطهيرها، وأنّها من المجاهدة التي وعد الله أهلها بالهداية.

الأصلُ في اعتبار العدد أربعون في عباداتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾ [البقرة: ٥١](٢).

فمن أذكارهم ما في حزب الفتح عند الشاذليّة(٣) -ويسمّونه حزب النور- ويزعمون أنّه ممّا فتح الله به على شيخهم، وبه يبتدؤون الذكر للتيمّن والبركة وفيه يقولون: "نسألك تقديسًا ليس وراءَه تقديسٌ، وكمالًا ليس وراءه كمالٌ، وعلمًا ليس فوقه علمٌ، ونسألك الإحاطة بالأسرار، وكتمانها عن الأغرار"(٤).

وصلاة الفاتح عند التيجانية(٥) وصيغتها: اللهم صلِّ على سيّدنا محمّد الفاتِح لِمَا أُغلق، والخاتَم لِمَا سبق، ناصرِ الحقّ بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم(٦).

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، (٢/٢٢٧).

(٢) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد مكي (٢/٣٢٦).

(٣) طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن علي بن عبد الله المولود، منتشرة في مصر وتونس والجزائر وغيرها من البلدان، تزعم أنّ مؤسسها المتصرّف في أحكام الأولياء، وأنّه يمدّها بالتمكين لأنّه بلغ منزلة الفردانيّة، انظر: دراسات في التصوف، إحسان إلهي (ص:٢٥١-٢٥٥).

(٤) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، عبد الحليم محمود (ص:١٧٥).

(٥) طريقة صوفية، تنسب إلى أبي العباس أحمد بن محمد المختار، وهي منتشرة في بلاد أفريقيا والمغرب العربي، يبالغون ويغلون في زعيمهم حتى جعلوه هو خاتم الأولياء وسيد العارفين وإمام الصديقين، انظر: دراسات في التصوف، إحسان إلهي (ص: ٢٧٩-٢٨٤)؛ الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية (ص: ٢٤).

(٦) "أول من تكلّم بها هو: محمد البكري الذي زعم أنّه نزلت عليه من السماء في ورقة مكتوبة بقلم القدرة!، وزعموا أنّ شيخهم أبا العباس التيجاني أخذها عن النبي ‘ يقظةً لا منامًا، وهو الذي أخبره بفضائلها، ومنها: أنّ المرة الواحدة

الرد عليهم وبيان خطئهم فيما زعموه، أقول:

أولًا: إنّ أهل السنّة والجماعة لا يخالفون في أهمّيّة التزوّد من العلم والعمل الصالح، ولا في ضرورة تزكية النفسَ(١)، إنّما يمنعون إمكانيّة تحقّق ذلك إلّا مِن طريق الشرع، فإنّه ممّا امتنّ الله به على المؤمنين إرسالُ الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ومن وظائفه ومهامه: تزكيتهم وتطهيرهم من كلّ دنس ورجس.

ويقرّرون أنّ ذلك غيرُ كائنٍ إلّا بفعلِ ما أمرهم به رسولهم ﷺ وتركِ ما نهاهم عنه(٢)، أمّا الصوفيّة فإنّ أكثر ما يستندون إليه هو الأحاديث الضعيفة، وربما الموضوعة، والرُّؤَى والمنامات.

هذا يؤكّد على أهمّيّة اتّباع السنّة في العمل، وأنّ مَن خالف السنّة لن يجدَ أثرًا لعمله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وبذلك يتبيّن الفرقُ بين منهج الصوفيّة في التزكية والمجاهدة وبين منهج السلف، وشتّان بين الأثر المترتّب على عبادة المتّبع وعبادة المبتدع.

ثانيًا: ما يُشعر به كلامُ الغزالي -رحمه الله- في بيان رافد المرتبة الأولى للفتح، بأنّه عمل القلب دون العلم الصحيح؛ هو استصغارٌ للعلم وأهله، وعدمُ الرفع مِن شأنه، وهذا مخالفٌ لما يُعلم من منزلة العلم وأهله، حيث جعلهم الله شهداءَ معه على أشرف مشهودٍ به وهو التوحيد قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ

=

منها تعدل من القرآن ستّ مرات، أو ستة آلاف مرّة، وأنّ المرّة الواحدة تعدل من كلّ تسبيح وقع في الكون ومن كلّ ذكر ومن كلّ دعاء كبير أو صغير." الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، محمد تقي الدين الهلالي (ص:٨٢-٨٣)؛ وانظر: دراسات في التصوف، إحسان إلهي (ص: ٢٨٤-٢٨٥).

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن القيم (٩/٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٦٩/٧)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١٥٨/٢).

إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

والصحيح أنّه لا غنى للمسلم عن العلم والعمل لأجل التزكية، لأنّ كلًّا منهما مكمّلٌ للآخر، فالعملُ ثمرةُ العلم، والعلمُ موجّه للعمل، فإنّه مَنِ التزم العلمَ وترك العمل كان من الغاوين، ومَنِ التزم العبادة وترك العلم كان من الضالّين، وهاتان هما صفتا اليهود والنصارى(١).

هذا البعد عن مصادر العلم وأهله سببُ الخطأ الصادر عنه وأمثاله، فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأبو حامد ليس له من الخبرة والآثار النبويّة والسلفيّة ما لأهل المعرفة بذلك، الذين يتميّزون بين صحيحه وسقيمه، ولهذا يذكر في كتبه من الأحاديث والآثار الموضوعة والمكذوبة ما لو علم أنّها موضوعة لم يذكرها"(٢).

ثالثًا: اشتمال هذه الأوراد على مخالفاتٍ شرعيّةٍ، كافٍ في الدلالة أنّها جاءت من غير طريق الشرع؛ فإنّ ما جاءت به النصوص غير متصوّر فيه التناقض، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وهنا سأورد بعضًا من هذه المخالفات، وهي:

● في ورد الشاذلية يقولون: "نسألك علمًا ليس فوقه علم"، هذا مخالف لما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦]، وإنْ قيل: إنّ المراد هو سؤال الله علمًا كثيرًا حتى يكون صاحبه من أكثر الناس علمًا، ولا أحد يفوقه فيه، قلت: إنّ الأولى ترك اللفاظ المحتملة، وفي ألفاظ الشرع غِنيةٌ عن ذلك، ومنها قوله ﷺ عن جابر بن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣٠٧/٢٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (١٤٩/٧).

عبد الله -رضي الله عنهما-: «اللَّهمَّ إِنِّي أسأَلُكَ عِلمًا نافعًا وأعوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا ينفَعُ»(١)، فكيف يرغب المسلم عن ألفاظ الشريعة، ويستبدلها بألفاظ مبتدعة.

● وفي ورد التيجانية: مخالفة للآية التي هي الأصل في باب الأسماء والصفات قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فهو ليس له مثيل لا في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله، والصوفية قد وقعوا في التشبيه لما وصفوا الرسول ﷺ بأنّه الفاتح لما أغلق، فليس ذلك لأحد إلّا الله تعالى الفتاح للأمور كمًّا وكيفًا كما سبق بيانه.

إضافةً: أنّ فيه غلوًا في النبيّ، وإطراءً ومبالغةً في المدح للرسول ﷺ، وقد نهى عن ذلك ﷺ، عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، فإنّما أنا عبدُه، فقولوا: عبد الله ورسوله»(٢).

لأنّ المبالغة في الغلوّ في الأنبياء والصالحين من أوّل أسباب حدوث الانحراف في البشرية، وتغيير دين المرسلين كما حصل في قوم نوحٍ عليه السلام(٣).

رابعًا: اعتراف بعض الصوفية ومنهم أبو حامد بوعورة هذا المسلك، وصعوبته على السالكين فيه، إنه مظنة لفساد المزاج ومرض الأبدان واختلاط العقل، وربما هجمت الخيالات الباطلة على قلب صاحبه زمانًا طويلًا حتى يبلغ ما يريده من هذه المجاهدة(٤).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، ذكر ما يجب على المرء أن يسأل الله العلم النافع رزقنا الله إياه وكل مسلم، (٢٨٣٩/١) رقم ٨٢ وقال عنه وقال عنه الألباني -¬ - في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان:" حسن صحيح" (١/ ٢٠٠)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم، (١٦٧/٤)، رقم ٣٤٤٥.

(٣) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي (ص:٧٨).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، محمد الغزالي (٣/ ٢٠).

خامسًا: ظهور أثر الديانات السابقة كالنصرانيّة المتمثّل في الرهبنة، والتبتل[(١)].

سادسًا: أمّا استدلالهُم بتحنّث النبيّ ﷺ بغار حراءٍ قبل الوحي خطأٌ؛ لأنّه مِن أفعاله قبل النبوّة، وأفعالِه ﷺ قبل النبوّة ليست ممّا أمرنا بالتأسّي به فيها، بل أمرنا بالتأسّي بالنبيّ ﷺ بعد أنِ اتّصف بوصف الرسالة.

مع أنّه مكث في مكّة بعد النبوّة، ثمّ عاد إليها بعد الهجرة؛ لكنّه ما بلغنا عنه أنّه عاد للغار ثانيةً، ولا عن أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، وفي العبادات الشرعيّة التي جاء بها بعد النبوّة صلوات الله عليه كالصلاة والاعتكاف في المساجد غِنيةٌ عن ذلك.

وأمّا مواعدة ربّنا تعالى لموسى عليه السلام، فإنّنا إذا افترضنا جدلًا أنّها كانت من جنس الخلوة، فليس فيها دليلٌ على مشروعيّة الخلوة لنا؛ لأنّها ليست من شريعة محمّدٍ ﷺ، بل هي من شريعة موسى عليه السلام كما شرع له السبت، والمسلمون لا يسبتون، وكما حرّم في شرعه أشياءَ لم تحرّم في شرع محمّدٍ ﷺ. فهذا تمسّكٌ بشرعٍ منسوخٍ[(٢)].

سابعًا: لم تهتمّ الصوفيّةُ بالسلوك على الوجه الصحيح، فالمراد من المسلم -بعد صحّة اعتقاده، وتحقيقه عبادة ربّه- أن يكون له أثرٌ في حياته نافعٌ لنفسه ولأمّته، ساعيًا في طلب رزقه معلّمًا لغيره، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر مجاهدًا في سبيل الله، وكيف يكون ذلك لمن اعتزل في الخلوات، وارتضى بالأربطة التي هي مناخ البطالة سكنًا[(٣)].

هكذا تبيّن أنّ الصوفيّة تُطلق على مفهوم تزكية النفس وتطهيرها ومجاهدة النفس على الطاعة والعبادة الفتحَ القريب، وهي مرتبةُ الفتح الأولى عندهم، وهم مخالفون للسلف الصالح من أهل السنّة والجماعة في روافده، ومنهجه، والغاية منه.

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض عقائد الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٤٢٨/٥-٤٢٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣٩٣/١٠-٣٩٥).

(٣) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي (ص: ٣٢٨)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١٦٧/٣).

المرتبة الثانية: وهي الفتح المبين (المشاهدة).

هذه المرتبة الثانية للفتح عند الصوفيّة وأوسعها حديثًا عندهم، وبها يتعلّق أكثر عقائد الصوفيّة، وحولها يدندنون، وفيها الكثير من عقائدهم، والتفصيل فيه قد يطول، **واختصاره:**

أنّ مَن جاهد نفسه وزكّاها كما جاء في الفتح القريب فإنّه يترقّى ليبلغ مرتبة الفتح المبين. و" مَن زيّن ظاهره بالمجاهدة حسّن الله سرائره بالمشاهدة، قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] "(١)، و"المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبًا كشفُ حجاب الحسّ، والاطلاعُ على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحسّ إدراك شيءٍ منها"(٢)، فالمشاهدة ناتجةٌ عن المجاهدة.

وأهمّ العقائد في مرتبة الفتح المبين هذه: الولاية التي يتحصّل بسببها الوليّ من اليقين ومعرفةٍ بالله وكمالاتٍ فائضةٍ تؤدّي به إلى القرب من الله والأنس به، وغير ذلك من الفتوحات، حسب زعمهم.

يتبع ذلك مظاهر الولاية اللازمة لها من: كرامات تحصل على يديه، وواردات وإلهامات تتدفّق على نفسه، ومقامات وأحوال، وكون صاحبها من أهل الحقيقة لا الشريعة، وهذه المظاهر كثيرةٌ متعدّدةٌ، وبعضها متقاربٌ في المعنى، وهنا يبلغ المريد مرتبة الفتح المبين، وهي ثاني مراتب الفتح عندهم(٣).

لذلك فإنّ الولي عندهم "هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحقّ سبحانه، تولّى الله

---

(١) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٢١٦/١).

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (٦١٣/١).

(٣) انظر: لطائف الإشارات عبد الكريم القشيري (١٩١/٣)؛ حقائق التفسير، محمد السلمي (ص:٦١٣)؛ التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (١١٢/٣)؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عجيبة (٥١٥/٤).

سياسته فتوالت عليه أنوار التولّي، لم يكن له عن نفسه إخبارٌ ولا مع غير الله قرار"(١).

فللأولياء صفاتٌ خاصّةٌ بهم تتحقّق معها الولاية، فهم يرون أنّهم "عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة، واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية"(٢).

ومن خصائصهم -كما يفترون- أنّهم يعرفون "بما يُحدِث الله فيهم من اللطائف التي يخصّ بها أولياءَه، وبما يُورد على أسرارهم من الأحوال التي هي أعلام ولايته من اختصاصه لهم به وجذبه لهم ممّا سواه إليه، وزوال العوارض عن أسرارهم، وفناء الحوادث لهم والصوارف عنه إلى غيره، ووقوع المشاهدات والمكاشفات التي لا يجوز أن يفعلها الله تعالى إلّا بأهل خاصّته ومن اصطفاه لنفسه في أزله ممّا لا يفعل مثلها في أسرار أعدائه"(٣).

ويستدلّ الصوفيّون على الولاية وفضل الأولياء بآيات وأحاديث منها:

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ومن الأحاديث: ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته»(٤).

---

(١) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٤١٩/٢).

(٢) المصدر السابق (٤١٨/٢).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي، (ص: ٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، (١٠٥/٨)، برقم ٦٥٠٢.

ووجه الدلالة عندهم هو: إذ الآية والحديث يدلان على مفهوم الولاية، وأنّها ناتجة عن الإيمان بالله والعمل الصالح، وأن الله مكرم أوليائه ومقربهم منه، ويخصّهم بما لم يعط غيرهم من الخلق(١).

ثمّ بعد تقريرهم للولاية، يبنون عليها الفضائل التي يدّعونها للولي من غلوّ تقديس: كادّعاء علمهم الغيب، ودعوى تصرفهم في الكون، وعصمتهم المطلقة، وتفضيلهم على الأنبياء، والقول بسقوط التكاليف عنهم، وإمكانيّة خروجهم عن الشريعة، والسجود له وتقبيل الأرض بين أيديهم، وزيارة قبورهم للتبرك، وغيرها من البدع الحاصلة في توحيدي الألوهية والربوبية.

الرد عليهم: إنّ تناول كلّ العقائد المبنيّة على عقيدة الولاية عندهم بالنقد سيطول، لذلك استحسنتُ جعل النقد على عقيدة الولاية التي هي الأصلُ عندهم، فإذا ثبت بطلانها – ليس في حقيقتها، بل كما في تصورهم– سقط كلُّ ما بنوه عليها من بعد، وفي نقد ذلك أقول:

أولًا: إذا أردنا معرفةَ معنى الولي في الآية التي يستدلّون بها، فلننظر غير بعيد، فإنّه قد جاءت الآية التالية لها مبيّنةً لمعنى الوليّ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [سورة يونس:٦٢-٦٣]، – ومن أصح تفاسير القرآن تفسيره بالقرآن– إذاً القول الحقّ في تعريف الوليّ أنّه: المؤمن التقيّ(٢)، "فإنّ ولاية الله هي موافقته بالمحبّة لما يحبّ، والبغضِ لِمَا يبغض، والرضا بما يرضى، والسخطِ بما يسخط، والأمرِ بما يأمر به، والنهيِ عمّا ينهى عنه، والموالاةِ لأوليائه والمعاداة لأعدائه"(٣)، وعليه فإنّ من خصائص الولي: موافقتَه في خاصّة نفسه، ثمّ أمرَه لمن يأتمّ به بلزوم الشرع، فهل كلُّ أوليائهم كذلك؟

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، (٤١٦/٢)؛ الغنية لطالبي طريق الحق، عبد القادر الجيلاني (٢٧٣/٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٢٢/١٥-١٢٣)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٤٢٤/٢)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٢٧٨/٤)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٣٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣٧٠/٢).

ثانيًا: إنّ في مقدّمة أولياء الله الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام -، وفي مقدّمهم رسولنا الكريم ﷺ، ثم صحابته رضي الله عنهم ومن بعدهم من أصحاب القرون الأولى المفضلين رحمهم الله، ومع ذلك لم يثبت عن أحدهم أنّه تفرّغ للعبادة طلبًا للولاية، إنّما كانوا مع عبادتهم لله تعالى يسعون في الأرض لكسب الرزق وابتغاء فضل الله، فليس من شرط الولاية التفرّغ للعبادة.

فالأولياء موجودون في جميع أمّة محمّدٍ ﷺ، في الزراع والصناع والتجار، وكذلك في أهل السيف والجهاد، وكذلك في أهل العلم والقرآن، ما داموا متمسّكين بالكتاب والسنّة مبتعدين عن الذنوب والبدعة، وقد ذكر الله تعالى أصناف أمة محمّدٍ ﷺ في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠][(١)].

ثالثًا: مخالفة متأخّرو الصوفيّة أوائلهم فيما يؤخذ أو يرد من مظاهر الولاية، فإنّ مقدّميهم يرون أنه لا بُدّ من العرض على النصوص الشرعيّة، فما وافقها قبل، وما خالفها يردّ على قائله ويقولون: "لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي"[(٢)]، فلا سبيلَ للولاية غيرُ سبيلِ الشرع، واعتبارُ الحكم بالولاية متوقّفٌ عليه.

رابعًا: كيف يكون وليًّا لله مَن يسكن الحشائش والمزابل التي تحضرها الشياطين؟ عن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ هذه الحشوش محتضرةٌ»[(٣)] أم كيف يكون وليًّا

---

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١١/١٩٤)؛ وله: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (ص: ٥١).

(٢) نقله شيخ الإسلام بن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/٤٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، (١/٦)، رقم ٣٤٤٥؛ وأحمد في مسند، أول مسند الكوفيين ٪، حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، (٨/٤٤٣٢)، رقم ١٩٥٩٤، قال عنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: "رجاله ثقات رجال الشيخين" (٣٢/٨١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/١١٥).

لله مَن يأكل الحيّات والعقارب وغيرها من الخبائث؟

وقد قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس، إنّ الله طيّبٌ لا يقبل إلّا طيّبًا»[١]، فبما أنّهم اتّبعوا طريق الشيطان وما يحبّه وتركوا طريق الرحمن وما شرعه؛ فإنّ الأحرى أنْ يُطلق عليهم: أولياءُ الشيطان لا أولياء الرحمن[٢].

خامسًا: أصل تقديس الأشخاص وتعظيمهم والغلوّ مأخوذٌ من النصارى الذين قال تعالى فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١][٣]، وكلُّ ذلك ممّا نهى الشرع عنه، ولذلك فإنّه "من تصفّح أمر هذه الأمة مِن عالمٍ عاقلٍ، علم أنّ أكثرهم العام منهم يجري أمورهم على سنن أهل الكتابين، كما قال النبي ﷺ"[٤]، وأنّى لمن سار على نهجهم الهدى؟!

سادسًا: اللوازم الباطلة لتصوّرهم لعقيدة الولاية من إسقاط للشرع، وتعطيل الأمر والنهي وترك الواجبات، وإتيان المحرّمات بدعوى بلوغ مرتبة الولاية.

هكذا يظهر جليًّا أنّ الصوفيّة أخطأت في إدراك معنى الولاية التي هي من أبرز مظاهر مرتبة الفتح المبين، وأخطأت بعدُ في بناءِ العقائد عليها تبعًا لذلك، كلُّها فاسدةٌ لأنّها مبنيّةٌ على الباطل، وما بُني على الباطل، فهو باطلٌ.

المرتبة الثالثة: الفتح المطلق المكاشفة.

هي الغايات المراد تحقيقها، وبها تتّضح ماهيّة الفتح أو الكشف الصوفي وهدفه، وقد جاء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (٨٥/٣)، رقم ١٠١٥.

(٢) انظر: الفتاوى، أحمد ابن تيمية (٢١٥/١١-٢١٦)؛ وانظر له: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص:٨٠-٨٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢١١/١١) أحمد بن تيمية؛ وله: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (ص: ٧٦).

(٤) الشريعة، محمد الآجري (٣٢٣/١).

في كتبهم: "اعلم رحمك الله أنّه مَن فتح الله فتحًا مبينًا، وكشف له عن حقيقة نفسه لا يرى في الوجود غير نفسه، وأهل الفتح متفاوتون في هذ المشهد"(١).

وليس هو الغاية عندهم فحسب، بل جعلوه عين التوحيد إذْ قالوا في تعريفه: "هو محو آثار البشريّة"(٢)، ويقولون أيضًا: "التوحيدُ هو الخروج عن جميعك بشرط استيفاء ما عليك، وألّا يعود عليك ما يقطعك عنه. معناه: تبذل مجهودًا في أداء حقّ الله، ثمّ تتبرّأ من رؤية أداء حقّه، ويستوفيك التوحيد عن أوصافك فلا يعود عليك منها شيءٌ، فإنّه قاطع لك عنه"(٣).

وهو الفناء الذي كما مرّ معنا أنّه التعبير الاصطلاحي الدقيق لمعنى التصوّف، وهو القنطرة الموصلة للتعبير عن مخِّ عقيدة الصوفيّة، وهي: وحدة الوجود.

والفناء المقصود عند الصوفيّة أحدُ نوعين:

الأول: الفناء عن شهود السِّوَى، ويريدون به: "الغيبة عن صفات البشريّة بالحمل المولِه من نعوت الإلهيّة"(٤)، فإذا ترقّى السالك في سلم المجاهدة وتطهير النفس، ذهبت عنه رغباته وإرادته الإنسانيّة، وحينها تضمحلّ صفاته البشريّة وتذهب عنه المعاني الخلقيّة، فيصبح لا يشعر بنفسه ولا بالعالم حوله، إنّما يشعر بربّه فقط، ويراه وحدَه في جمع تصرّفاته وأحواله (٥).

الثاني: الفناء عن وجود السِّوَى: وطريقه هو قولُ غلاتهم بالحلول، ويريدون به حلول الذات الإلهيّة في أجساد طائفةٍ معيّنةٍ من البشر، وهم الأولياء العارفون، وهذا من الفتح

---

(١) التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (٥/٣٥٧).

(٢) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (٢/٤٦٦).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي (ص: ١٣٥).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٢٦).

(٥) انظر: التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (٥/٣٨٥)؛ عرائس البيان في حقائق القرآن، صدر الدين القلبي (٣/٣١٤)؛ التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي، (ص/١٢٦).

عندهم، فقد قالوا: "من هذّب نفسه في الطاعة وصبر على اللذّات والشهوات ارتقى إلى مقام المقرّبين، ثمّ لا يزال يصفو ويرتقى في درجات المصافَّات حتى يصفو عن البشريّة، فإذا لم يبقَ فيه من البشريّة حظٌّ حلّ فيه روح الإله الذي حلّ في عيسى ابن مريم، ولم يُرِدْ حينئذٍ شيئًا إلّا كان كما أراد، وكان جميعُ فعله فعلَ الله تعالى، وزعموا أنّ الحلّاج[1] ادّعى لنفسه هذه الرتبة"[2]، إذًا هو يؤكّد عقيدة الحلول، وأنّها ناتجة عن الصفاء عن البشريّة.

والحلول ينقسم إلى قسمين، كلاهما مراد عند الصوفيّة:

أوّلهما: "اتّحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارةً إلى الآخر"[3]، وهو المقصود بقولهم: "فحالة الوصل الذي هو فنائي عنّي لا يشهدني غيره، وحالةُ الانفراد وقيامي بصفتي يغيّبني عن شهوده، فكأنّ جمعي به فرّقني عنّي، فيكون حالة الوصل هو أن يكون الله ﷻ مصرفي، فلا أكون أنا في أفعالي فهو الله تعالى لا أنا، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا لسان الحال ولسان العلم أنّ الله مصرفي وأنا به متصرّف فيكون المعبود والعبد"[4]، فيحصل هنا الامتزاج والاختلاط وتتداخل الذات الإلهيّة مع الذات البشريّة لدرجة تنمحي فيها الاثنينيّة، وتصير الذاتان ذات واحدة.

والثاني: "عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفًا للآخر"[5]، حيث يوجد الحالّ والمحلول، وهو ما ادعاه الحلاج لنفسه

---

[1] أبو مغيث، الحسين بن منصور الحلاج، من أهل بيضاء فارس، ونشأ بواسط والعراق، ولزم: الجنيد، وأبا الحسين النوري، وعمرًا المكي، والفوطي وغيرهم، قتل في بغداد عام ٣٠٩هـ. لما اتّهم بادعاء الألوهية، انظر: طبقات الصوفية، محمد السلمي، (ص: ٢٣٦)؛ سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي (٣١٣/١٤).

[2] الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ٢٤٨).

[3] التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٩٢).

[4] التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي (ص: ١٢٢).

[5] التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٩٢).

وهكذا يظهر لنا من أقوال غلاة الصوفيّة أنّهم يقصدون القسمين: الحلول والاتّحاد.

لكنّه قد يُظنّ التعارضُ بين ما سبق تقريره من قول الصوفيّة أنّ الحلول يلزمه حالٌّ ومحلولٌ، وهذه اثنينيّة، وأنّ الاتحاد هو اندماج شيئين، وهذه اثنينيّة مثلها، وبين ردّ بعض الصوفيّة لهذين المصطلحين، كقول ابن عربي: "اعلم أنّ الله واحدٌ بالإجماع، ومقام الواحد يتعالى أنْ يحلّ فيه شيءٌ، أو يحلّ هو في شيءٍ، أو يتّحد في شيءٍ"، وقوله: "مَن قال بالحلول فهو معلولٌ، فإنّ القول بالحلول مرضٌ لا يزول، وما قال بالاتّحاد إلّا أهل الإلحاد، كما أنّ القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول"(١).

والصواب أنّه لا تعارض، وذلك لسببين:

الأول: أنّ ابنَ عربيٍّ نفسَه يعود لتقرير ما قد نفاه ويقول: "فعالَمُ الطبيعة صورةٌ في مرآةٍ واحدةٍ، لا بل صورةٌ واحدةٌ في مرايا مختلفة:

فالحقُّ خلْقٌ بهذا الوجه فاعتبروا = وليس خلقًا بذاك الوجه فادكروا
جمْعٌ وفرْقٌ فإنّ العين واحدةٌ = وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذرُ(٢)

فلأجل إثبات عقيدته الجامعة بين الوحدة والتعدّد عبَّر بكلمة (مرآة) التي يُفهم منها التعدّد والكثرة مع الوحدة(٣).

الثاني: المنع من ذكر عقيدة الحلول والاتحاد من بعضهم عائد لعدة أمور منها:

١- إنّ الإطلاق كان تجوّزاً من بعض الصوفيّة عند الكلام عن معتقدهم.

٢- عدم التحقيق من بعض مَن نسب ذلك إليهم، وذلك ناتجٌ عن عدم فهمٍ دقيقٍ

---

(١) نقله عنه عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (١/٥٨-٥٩).

(٢) فصوص الحكم، محي الدين بن عربي (ص:٧٨-٧٩)، ويقول د. العفيفي في تحقيقه للكتاب: إن هذا الكتاب من أواخر الكتب التي ألفها ابن عربي وهو في أوّج نضجه العلمي، فهو بعد أن كان مضطرباً متناقضًا في أقواله يكتم عقيدته ما يقارب أربعين سنة طلع على الناس بكتابه هذا وضمّنه عقيدته مصرّحًا بها، وهذا الكتاب من الكتب المؤثرة في المذهب، فكل من جاء بعده من الصوفية أخذ منه، انظر مقدمة تحقيقه للكتاب (ص:٨-٩).

(٣) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، لطف الله خوجه (ص:١٨٣).

لمذهبهم.

٣- اعتباراً بمؤدّى المصطلحات وهو القول: بأنّ العبد يصبح ربًّا(١).

٤- ولربما كان الداعي لذلك -خاصّةً من بعض أعلام المذهب- الرمزَ لأمرٍ ما يختصّون به لأنفسهم؛ لأنّهم أهل الحقيقة، ويُخفونه على أهل الشريعة.

٥- أنّ بعضهم كان ينفي هذه العقيدة ليُخيفها عن الناس أوّل أمرِه، ثمّ أبداها بعد.

ويستدلّون على عقيدتهم في الفتح المطلق بأدلّةٍ من الشرعِ أساؤوا فهمها، أو قصدوا ذلك، ومنها:

أدلّتهم من القرآن على مرتبة الفتح المطلق، وهي الفناء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١﴾ [يوسف: ٣١]. ووجه الدلالة أنّ النسوة لم يشعرْنَ بألمِ تقطيع أيديهنّ لغيبتهنّ في لذّة رؤية يوسف عليه السلام وفنائهنّ في ذلك، فكذلك يجوز على العبد غيبتُه عن شعوره بنفسه إذا بلغ منزلة المكاشفة(٢).

كذلك يستدلّون على وحدة الوجود بالآيات التي نُسب الفعل فيها إلى الله وإلى الخلق: قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٧﴾ [الأنفال: ١٧]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١٠]، فقالوا: إن ظاهر الآيات يدلّ على أنّ الأفعال الصادرة من الرسول هي الصادرة من الله، فالوجود واحدٌ إذن(٣).

أدلّتهم من الأحاديث النبويّة:

يستدل الصوفيون على الولاية بقولهم: "يحققه قول النبيﷺ: فيما يحكيه عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل أنه قال: «ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء فرائضي، وإنه ليتقرب إلى

---

(١) انظر: عقيدة الصوفية وَحدة الوجود الخفية، أحمد الصقير (ص:٥٥).

(٢) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي (ص:١٢٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص:١٠٧-١٢٢)؛ التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (١١٢/٣)، (٣٦٢/٥).

بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش»[١] فهذا الخبر قد ذكرناه في مواضع من هذا الكتاب، لأنه أصل في هذا المقام"[٢]، فهم يرون أن الحديث واضحُ الدلالة على أنّ الباري تعالى يحلّ في بعض خلقه حتى يكون له كأحدِ أعضائه.

الرد عليهم: وهنا سوف أبيّن بطلان ما قالوه في مرتبة الفتح المطلق، فأقول:

أولًا: الردّ على استدلالهم بالآيات القرآنيّة.

استدلالهم بآية سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فليس المراد به أنّ فعلَ الله وفعلَ العبد واحدٌ، ولو كان ذلك هو المراد لصحّ أنْ يُقال للجالس: ما جلسْتَ إذْ جلستَ، ولكنّ الله جلس. ومعلومٌ أنّ مثل هذا لا يصحّ.

ولكن المراد أنّه ما أوصلت الرمي حين رميتهم، ولكنّ الله أوصله بقدرته، وذلك أنّ الرسول في بيوم بدر رمى كفّار قريشٍ بحفنةٍ من تراب فأصابتهم كلهم، فالله هنا أثبت رميًا ونفى آخر، وليس المثبت هو المنفي لأنّه جمع بين المتناقضين، إنّما أثبت لرسوله الحذف والرمي، وأثبت لنفسه الإيصال والإصابة[٣].

واستدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]: فليس المراد كذلك أنّ فعل العبد هو فعل الله، ولا أنّ الرسول هو الله، فإنْ صحّ مثل ذلك لجاز القول أنّ مَن بايع فرعون فقد بايع الله، وإن كان "هذا يقوله كثيرٌ من شيوخ هؤلاء الحلوليّة الاتّحاديّة، حتى إنّ أحدهم إذا أمر بقتال العدو يقول: أقاتل الله؟ ما أقدر أنْ أقاتل الله ونحو هذا"[٤].

لكنّ المراد أنّك عبدُ الله ورسوله ومبلّغُ وحيه، تأمُر بما أمر به الله، فمن أطاعك فقد أطاع

---

(١) هكذا أورده وقد أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم ٦٥٠٢، (١٠٥/٨).

(٢) الغنية لطالبي طريق الحق، عبد القادر الجيلاني (٢٧٤/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣٣١/٢).

(٤) المصدر السابق (٣٣٣/٢).

الله، وأنّك رسول الله تبايعهم وتعاقدهم عن الله، لذلك كلُّ مَن وكّل شخصًا ليعقد له فإنّا نعتبر العقد مع الموَكِل نفسه لأنّه نائب عنه.

ثانيًا: رد استدلالهم بالحديث النبويّ.

إنّما خُص في الحديث ذكر السمع والبصر واليد والرجل بالذكر، كونها آلات الإدراك والفعل، فمن كان الله معه في كلّ ذلك -الباء في الحديث للمصاحبة- عصمه الله من الخطأ والزلل، وهذا جزاء الله لمن كذلك، وليس المقصد أنه يكون والله تعالى ذات واحدة(١).

ثالثًا: هذا الحديث حجّةٌ عليهم من وجوهٍ كثيرةٍ، منها:

أنّه قال في أوّل الحديث: «مَن عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة»، فالثابت في سياق الحديث ثلاثة: الله تعالى والولي والمعادي له، فكيف يصبح الوجود كله واحد.

والحديث مخصوصٌ بحالٍ معيّنةٍ، وهي التقرّب إلى الله، وهم يجعلونه عامًّا مطلقًا في كلّ الأحوال، وهو أيضًا مخصوصٌ بأعضاء أربعة محدّدة، وهم جعلوه عامًّا في جميع المخلوقات(٢).

رابعًا: الأولى بهم هو السعي إلى تحقيق معنى الشهادة في الحياة واتّخاذها منهجًا في العبادة والسلوك، وتحقيق الألوهيّة الذي مِن أجله أُنزلت الكتب وأُرسلت الكتب، وخُلِق الخلْقُ.

لكن الصوفيّة لم يقصدوا ذلك، بل صرفوا جهدَهم، وجعلوا غايةَ آمالهم توحيد الربوبية الذي يستوي في معرفته البَرُّ والفاجرُ والمؤمنُ والكافرُ، ولم ينكره من الخلْق إلّا الشواذّ وإن كان مستقرًّا في نفوسهم، فأيُّ شرفٍ زائدٍ في مثل هذا؟! إذا لم يدلّهم على أسماء الله وصفاته وأفعاله الظاهرة آثارها في الخلق(٣).

خامسًا: الفناء الذي هو غايتهم فيكفي لتصوّره: فسادُ لوازمه الفاسدة؛ لأنّه "من كان

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن القيم (١٨٤/١٨٥) وله: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٢٧٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢/٣٤١).

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١/١٧٩-١٨٢).

هذا التوحيد والفناء غايةَ توحيده انسلخ من دين الله، ومِن جميع رسله وكتبه، إذ لم يتميّز عنده ما أمر الله به ممّا نهى عنه، ولم يفرّق بين أولياء الله وأعدائه، ولا بين محبوبه ومبغوضه، ولا بين المعروف والمنكر، وسوى بين المتقين والفجار، والطاعة والمعصية"(١).

فإن كانت عقيدةُ وحدة الوجود هي غاية الصوفيّة المعبّرة عن حقيقة مذهبهم ورتّبوا مراتب الفتح لبلوغها، وخالفوا نصوصَ الكتاب والسنّة لأجلها، وتجنّبوا الاقتداء بخير الأمّة من الصحابة ومَن تبعهم في فهمهم لمعنى صفة الفتح لله، وبنَوْا عليها عقائدهم الفاسدة، لأجل ذلك كلّه سأعود لأبيّن بالدليل العقليّ والنقليّ خطأَ ما قالوه وفساد هذه العقيدة.

أولًا: الأدلّة النقليّة على بطلان وحدة الوجود.

● الأدلّة من توحيد الربوبيّة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الحج:٦٦]، ويستحيل أنْ يميتَ نفسه، فلم يبقَ إلّا أنّه يحيي غيره أو يميته، وهذا يدلّ على التعدّد في الوجود وانتفاء الوحدة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٨]، ولا يصحّ أن يَرزق الله نفسه، فهو إذًا رازقٌ لغيره(٢)، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران:١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة: ٢١٢]، وبذلك بَطَل القولُ بالوحدة.

● الأدلّة توحيد الألوهيّة.

كثيرةٌ هي الآيات التي فيها الأمر بالتوحيد، والنهيُ عن الشرك، قال تعالى: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]. والأمر بالعبادة يدلّ على وجود عابدٍ ومعبودٍ حتمًا، فلا وحدة إذًا، وإلّا لزم منه القولُ بأنّ الله هو العابد والمعبود، ولا يصحُّ

---

(١) المصدر السابق (١/١٨٠).

(٢) انظر: وحدة الوجود عقيدة الصوفية الخفية، أحمد القصير (ص: ٥٨٧).

عقلًا ولا شرعًا ولا في فطر الأسوياء قولُ ذلك.

ولئن قالوا بوحدة الوجود لزمهم القول بانتفاء الشرك؛ لأنّهم يقولون: إنّ الله هو الشجر والحجر وغيرها ممّا يشرك به في العبادة، فمن عبدها فقد عبد الله، وهذا واضحُ البطلان(١).

● **الأدلّة من توحيد الأسماء والصفات.**

جاءت الأدلّة مؤكّدةً بنفي المثيل لله، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. ونفي الندّ له، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، وهكذا كلُّ صفات الله تعالى تبيّن كماله وانتفاء النقص عنه، ومنها صفة العلوّ التي وصف بها نفسه قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، فالله تعالى له علوُّ الذات والقدرة والقهر، فكيف يُسَوَّى بخلقه مَن كانت هذه صفاته، أم كيف يجعل هو عين المخلوقات، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيراً(٢).

وسمّى الله تعالى نفسه: الأول، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، فالله هو الأول الذي أحاط بالأشياء من كلِّ وجهٍ، وكلُّ مخلوق من الأوقات والموجودات وُجدت بعدَه، وهو سبحانه كان قبل كلِّ شيءٍ وذلك لقدمه وأزليّته(٣).

هذا ما تدلّ عليه الأسماء الحسنى لا ما تزعمه الصوفيّة من وحدة الوجود.

ثانيًا: الأدلّة العقليّة على بطلان قولهم بوحدة الوجود وهي كثيرة، منها:

أولًا: بالنظر للوجود نرى أنّه لا بُدّ من موجِدٍ قديمٍ غنيٍّ بذاته لا يجوز عليه الحدوث ولا الفناء، وهذا ممتنعٌ في قولهم بوحدة الوجود، لأنّهم لا يفرّقون بين الخلْق ومُوجِدِه، ولا بين

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٨٨-٥٨٩).

(٢) انظر: وحدة الوجود عقيدة الصوفية الخفية، أحمد القصير (ص: ٥٩٠-٥٩٣).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد هراس (ص: ٨٩)، توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، عبد الرحمن السعدي (ص:١٨١).

الواجب والممكن(١).

ثانيًا: "إنّ صور العالم لا تَزال تفنى، ويحدث في العالم بدلُها مثل الحيوان والنبات والمعادن، ومثل ما يُحدثه الله في الجوِّ من السحاب والرعد والبرق والمطر وغير ذلك"(٢)، فمعنى قولهم بوحدةِ الوجود أنّ وجودَ الله يزيد بتلك الزيادة، أو أنّ وجوده ينقص بنقصانها، وهذا لا يقول به عاقل.

ثالثًا: إنّا نعامل أهل وحدة الوجود بنفس مذهبهم، فإنْ ضُرب وشُتم وجاء يشتكي يقال له: ما ثمَّ غيرُك، فأنت الضارب والمضروب والشاتم والمشتوم، فإن قيل: إنّما يشتكي نفسه، قيل له: ما دمت أثبت شاكيًا ومشكيًا، فأثبت عابدًا ومعبودًا(٣).

وبعدُ، فهذه هي عقيدة الصوفيّة في الفتح المطلق، فإنّهم جعلوه هو الفناء، سواءٌ قصدوا به الفناءَ عن شهود السِوّى، أو أرادوا به الفناءَ عن وجود السِوّى -عند غلاتهم- وهو وحدةُ الوجود اللازم لقولهم بالحلول والاتّحاد.

ثانيًا: أثر صفة الفتح لله تعالى في النبوة عند الصوفيّة ونقده

في هذه المسألة بيان ربط الصوفيّة بين صفة الفتح لله تعالى ورفعة منزلة النبيّ ﷺ، وذلك فيما يلي:

أولًا: قولهم: "نبهنا الله في ذلك من سر عجيب، وهو أنّ أبواب كشف القدم مسدودة على لأهل الحدثان، ولم يظهر لأحد عين ذات الأزل، ففتح الله أبوابه لعين محمّد ﷺ حتى رآه كفاحًا"(٤). فهم يرون أنّ مَن فتح الله تعالى لنبيّه أنْ مكّنه من رؤيته في الدنيا حتى رآى ربّه

---

(١) انظر: الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية (ص: ١٦)؛ وله: درء تعارض العقل والنقل، (١٦٧/٣).

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٨٨/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣٥٦/٢).

(٤) عرائس البيان في حقائق القرآن، صدر الدين القلي (٣١٤/٣).

بعين رأسه(١).

ومن أدلّتهم في قولهم برؤية الرسول لربّه كفاحًا الآيات القرآنيّة، منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٥-٩]، فالآيات السابقة دالّةٌ عندهم على فتح الله لعين النبي ﷺ حتى رأى ربّه، كيف لا وقد دنا منه دنوًّا يقرّبه منه(٢).

ثانيًا: تبعًا وتأكيدًا لعقيدة الحقيقة المحمّديّة قالوا: "فتح الله مِن ذاته جوهر الوجود المحمّدي لأجل وجود محمّدٍ؛ لأنّه تعالى هو المحبّ لأن يعرف، ولا يُعرف إلّا بظهوره بصورةِ محبوبه، لأنّه هو الجميل، فأحبّ نفسه، فكانت نفسه عينَ الحقيقة المحمّدية، فكان هذا الفتح لأجل المحبوب الجميل، وهو يحبّ الجمال فأحبّ أن يظهر جماله، وأنْ يعرف بأنّ الجوهر المحمديّ عينه لا غيره، فلذا قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: ١] أي لأجلك حتى نريك نفسك عيننا، وأنّك المسمّى بأسمائنا، فهذا الفتح من حقيقة اسمنا (الفتّاح) يبيّن لك ذاتك وأنّك حقيقة حياتنا الذي منها كلّ شيءٍ حيّ"(٣).

وجعلوا علّة فتح الله لرسوله برؤيتهم عياناً كونه: " أول شيء تعلقت به القدرة كما قال: «أول ما خلق الله روحي»، وفي رواية: «نوري»(٤)" (١)، أي أنّه أولُ مخلوقٍ كما يعتقدون في

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد الأصبهاني (١٠/٣٣٧)؛ وقال ابن القيم: "كأن هذا هو فهم الهروي من قوله: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩} [سورة النجم:٨-٩]، " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/٣٠٠).

(٢) انظر: تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن، صدر الدين القلي (٣/٣١٤).

(٣) حاشية تفسير التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (٥/٣٥٥).

(٤) "سئل- ابن حجر الهيتمي_ نفع الله به عن حديث أول ما خلق الله روحي والعالم بأسره من نوري كل شيء يرجع إلى أصله من رواه (فأجاب) بقوله لا أعلم أحدا رواه كذلك وإنما الذي رواه عبد الرزاق أنه – صلى الله عليه وسلم – قال إن الله خلق نور محمد قبل الأشياء من نوره" الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص: ٢٠٦)، ولم أقف عليه في المصنف كما ذكر.

الحقيقة المحمّدية(٢).

الرد عليهم: لقد غلت الصوفيّة حين أرادو بيان منزلة النبوّة، وخصّوها بأمورٍ من فتح الله خالفوا السلف الصالح ﷺ فيها، وهي مردودة عليهم من عدة أوجه:

أولًا: الرد على استدلالهم بالآيات القرآنية

أمّا استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ﴾ [الفتح: ١] فإنّه لم يقل أحدٌ من المفسّرين المعتبرة أقوالهم بهذا، إنّما قالوا: إنّ المراد بالفتح هنا: صلح الحديبية(٣).

أمّا استدلالهم بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۞﴾ [سورة النجم:٥- ٩]، فهو مردودٌ من عدّة أوجه، منها:

سياق الآيات في وصف جبريل عليه السلام، وليس في الحديث عن الله تعالى، ففي قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۞﴾ [النجم: ٥-٦] حيث وصفه الله بالقوة كما في جاء في سورة التكوير، قال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۞﴾ [التكوير: ٢٠].

أنّه لو كان خبرًا عن الربّ تعالى لكان القرآن قد دلّ على أنّ رسول الله ﷺ رأى ربّه سبحانه مرّتين: مرّةً بالأفق، ومرّةً عند السدرة، ولو كان الأمر كذلك لم يقل النبيّ ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه، وقد سأله: هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنّى أراه»(٤)، إذ كيف يخبر القرآن أنّه رآه مرّتين، ثمّ يقول رسول الله ﷺ: أنّى أراه؟، وهذا أبلغ من قوله: لم أره؛ لأنّه مع النفي يقتضي الإخبار عن عدم الرؤية فقط، وهذا الاستفهام يتضمّن النفي، وطرفًا من الإنكار على السائل.

=

(١) التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (٣٥٨/٥)؛ وانظر: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، عبد الرزاق القاشاني (٣٤٩/١).

(٢) لمعرفة معناها انظر (ص: ١٦٣).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (١٩٧/٢٢)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٢١١/٤)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣٥٢/٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام نور أنّى أراه وفي قوله رأيت نورًا ،(١١١/١)، رقم ١٧٨.

أنّه لم يتقدّم للربّ ﷻ ذكرٌ يعود الضمير عليه في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨] والذي يعود الضمير عليه لا يصلح له، وإنّما هو لعبده، فكيف يعود الضمير إلى ما لم يذكر، ويترك عوده إلى المذكور مع كونه أولى به(١)؟.

ثانيًا: الرد على الأحاديث التي استدلوا بها

كلّ الأحاديث التي استدلّوا بها على الحقيقة المحمدية مردودةٌ لعدّة أسباب، منها:

حُكم العلماء المحدّثون عليها بالبطلان(٢).

معارضتها للنصوص الشرعيّة من جهتين:

من جهة تحديد مادة خلق البشر، وأصل خِلقة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [المؤمنون: ١٢]، وفي الحديث الذي روته عائشة ﵂ أنّ رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(٣)، فهذا هو أصل خلق البشر، وهو واحد منهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت: ٦].

من جهة تحديد زمن خلق البشر، وما هو أول مخلوق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء»(٤)، فالحديث يبين المخلوقات الأولى، ولم يذكر منها الرسول ﷺ. وعن عمران بن حصين ﵄ أنّ رسول الله ﷺ قال: «كان الله ولم

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/٣٠٠_٣٠٢)، وقد أورد عدة أوجه في الرد على ن استدل بالآية على رؤية النبي لربه بلغت ستة عشر وجهًا.

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة، محمد الألباني (١/٨٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، (٨/٢٢٦)، برقم ٢٩٩٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ﵉، (٨/٥١)، برقم ٢٦٥٣.

يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء»(١)، "وهذا إنّما ينفي وجود المخلوقات من السموات والأرض وما فيهما من الملائكة والإنس والجن"(٢)، فكيف يكون هو عين ذات الأزل، وهو مخلوق؟

ثالثًا: لازم الحقيقة المحمدية هو القول بوحدة الوجود، وقد سبق توضيح فساد هذه العقيدة(٣).

رابعًا: قولهم: إنّ الرسول ﷺ هو المتسمّي بأسماء الله، وهذا من الإلحاد في أسمائه تعالى الذي توعّد الله أهله، بأنّه سيجازيهم عليها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠](٤).

خامسًا: قولهم هذا مخالفٌ لما عليه السلف ﵏، وما عليه اتّفاق جماهير المسلمين من أنّ الله لا يرى في الدنيا بالعين، وأمّا الروايات عن ابن عباس ﵄ والإمام أحمد ﵀ التي فيها القول بالرؤية فإنّها لم تأتِ إلّا من طرقٍ شاذّةٍ لا يحتجّ بها منفردةً، أو تكون مطلقةً أو مقيّدةً بالفؤاد(٥).

وبعد إيضاح فساد هذه العقيدة، نعلم أنّ كلّ ما ذكرته الصوفيّة ممّا هو متعلّق بها أو مبنيٌّ عليها فاسدٌ باطلٌ لا يجوز اعتقاده، ولا القولُ به، ولا يعني توقير النبيﷺ تجاوز الشرع، بأن نرفعه فوق منزلته البشريّة إلى منزلة الربوبيّة.

ثالثًا: أثر صفة الفتح لله تعالى في الولاية عند الصوفية، ونقده

وهذه المسألة لها علاقة بالمرتبة الثانية في المسألة الأولى، وهي الولاية، ولكن أفردته هنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، (١٠٥/٤)، برقم ٣١٩١.

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢٧٥/٢).

(٣) ينظر (ص: ٢٣٥).

(٤) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي (ص:١٦٢).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٣٣٥/٢)؛ وله: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢٥٠/٧)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (٦٠٨/٨).

نظرًا لمنزلة الولاية في عقيدة الصوفية، وارتباطهما ارتباطًا وثيقًا، حتى جعل متأخروا الصوفية الولاية من القواعد التي يُبنى عليها التصوف، وهي المكوِّن المهم فيها، فلم يختلف أحد منهم عليها، بل وأصبحت الولاية عند بعض أعلام الصوفية هي النظرة المتكاملة للتصوف[١].

لهذا عمد الصوفية إلى تأويل عدة آيات وردت في صفة الفتح الرباني، وصرفت معناها إلى ما يوافق معنى الولاية، لترسيخ معناها عند أتباعهم، وتثبيتها في نفوسهم، ومن ذلك:

١- تأويلهم قولَه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]، فقالوا: إنّ صور فتح الله ما يكون منه شرٌّ في صورة خيرٍ، ويأتي في هيئة النعماء وهو من الضرّاء، فأولوا الآية بأنّ مثل هذا الفتح يكون لمن استغنى عن قول الوليّ واستبدله برأيه، ولم يتّعظ بقول الشيخ، أو يلزم بابه[٢]، فأمثال أولئك ممّن "تُسوّل لهم أنفسهم أنّهم قد بلغوا في السلوك رتبةً قد استغنوا بها عن صحبة الشيخ وتسليم تصرفاته، فيخرجون من عنده ويشرعون في الطلب على هواء نفوسهم فيقعون في ورطةِ الخذلان وسخرة الشيطان"[٣].

٢- تأويلهم قولَه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة:٢٨-٢٩]. بأنهم من "أنكروا وجحدوا إيمانهم بما فتح الله على قلوب أوليائه إذ لم يعتدوا بهم ولم يهتدوا بهداهم، فما لهم إلّا الخسران والزفرات"[٤]، فجعلوا الآيات الخاصة بالكفار فيمن جحد الولاية.

٣- تأويلهم قولَه تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]، فقالوا: إنّ الرحمات والخيرات كلّها عند الله يعطيها من يشاء ويمنع من يشاء، ولكلٍّ من الحالتين أماراتٌ وإشاراتٌ، ومِن علامة المنع "وسدّ الباب في وجه العبد عن معرفته الخاصّة، علامته: عدم إيصاله إلى أوليائه. فكلُّ مَن وصله

---

(١) انظر: المعجم الصوفي، سعاد الحكيم (١٢٣٣/٢).

(٢) انظر: عرائس البيان في حقائق القرآن، صدر الدين القلي (٣٥٧/١-٣٥٨).

(٣) التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين (٣٥٠/٢).

(٤) المصدر السابق (٥١/٥).

إليهم، وصحبهم وعظمهم وخدمهم فقد فتح الله له البابَ في وصوله إليه، وكلٌّ من نكبه عنهم ولم يصحبهم كما ذكر فقد سُدَّ البابُ في وجهه"(١).

الرد عليهم: إنّ المعنى الصحيح للآيات التي أوّلوها وفق أقوال المفسّرين من السلف الصالح رحمهم الله هي:

المعنى الصحيح في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة:٢٨-٢٩]، فقد سبق بيانه(٢).

المعنى الصحيح للآية في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [سورة فاطر:٢]، فقد مضي إيضاح القول الحق فيه(٣).

وكلمة (رحمة) نكرةٌ أتتْ في سياق الشرط، فهي دالّةٌ على العموم، وتخصيصها بمخصّص كما فعلت الصوفيّة يحتاج إلى دليل.

وبعد سرد أقوال الصوفيّة في اسم الله (الفتّاح) وصفة الفتح لله تعالى نخلص إلى القول: بأنّهم وقعوا في مخالفات عدّة، منها: التعبّد لله بهذا الاسم على طريقةٍ مبتدعةٍ في الدين، وظهور الخلل الكبير عندهم في فهم صفة الفتح لله تعالى، والميل بمعنى صفة الفتح له سبحانه إلى عقائدهم في النبوّة والولاية.

ثمّ يزعمون أنّهم سلفيوا المذهب، وأنهم "بنَوْا قواعد أمرهم على أصولٍ صحيحةٍ في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنّة من توحيدٍ

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عجيبة (٥١٥/٤).

(٢) انظر (ص: ١٩٨/١٩٩).

(٣) انظر: ص:٢٠٢)

ليس فيه تمثيلٌ ولا تعطيل."[١]!!!

---

(١) الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري (١/ ١٩).

المطلب الثالث:
فرقة الأشاعرة(١)

تمهيد:

يتضح مذهب الأشاعرة في باب الأسماء والصفات بحسب تقسيمهم للصفات عند اثباتها أو نفيها، وهي:

---

(١) تعتبر فرقة الأشاعرة من المدارس العقدية التي اتّبعت منهج الإمام أبو الحسن الأشعري في دراسة العقيدة، والمشهور عن إمام هذه الفرقة أنّه لم يكن مستقرًا على مذهبٍ واحدٍ، إنّما تنقل بين المذاهب والمدارس العقدية، فقد كان أول حياته متأثرًا بمدرسة الاعتزال، حتى بات من أئمة المذهب، وألف كتبًا بناءً على أصولهم الكلامية، لما برع في مذهب المعتزلة وخبر أصولهم أصبح يسأل علماؤها عن أسئلة لم يجدْ لها أجوبة منه ترك مذهبهم، انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، علي بن عساكر (ص: ٣٩-٤٠).

ثم انتقل إلى مذهب ابن كلّاب الذي كان قد أتى بقول جديد في الأسماء والصفات، إذ كان الناس قبله طائفتين، طائفة السلف المثبتة للأسماء والصفات والجهمية المنكرة لهما، وابتدع ابن كلاب قولًا ثالثًا مركّبًا من قول الطائفتين، أثبت فيه الأسماء والصفات الذاتية ونفى الصفات الاختيارية، فجاء الأشعري وقرّر هذه العقيدة لأنّه لم يكن له كثير علم بالكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين.

وفي آخر سنيّ عمره انتقل إلى مذهب السلف وأهل السنة والجماعة بالجملة، وصرح في بعض كتبه أنّه على مذهب الإمام أحمد وأهل الحديث، انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٤٢٤/٥)، (٥٥٦/٥)؛ وله: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢٧٧/٥).

كأن المنتسبين إلى هذه المدرسة تأثّروا بإمام المذهب في تغيير المقالات والآراء حتى أصبح لمذهبهم عدّة أطوارٍ ومراحل اختلفت فيها أقوالهم، وهي:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة واتّسمت هذه المرحلة بالعناية بالنصوص بالجملة، والبعد عن الفلسفة والاعتزال، ولهذا كان أصحابها أقربَ الأشاعرة إلى مذهب السنة والجماعة.

المرحلة الثانية: فيها بدأت تميل الأشعرية للاعتزال واحتذت حذوَها في الأقوال والاستدلال.

المرحلة الثالثة: هنا توغّلت الأشعرية في المنطق والفلسفة، واعتمدتهما مسلك الوحيد في تقرير العقائد، وهذا ممّا يقول به بعض من مستأخريهم.

المرحلة الرابعة: استقرّ فيها المذهب غالبًا، ولم يكن عندهم جديد في المقالات، واكتفوا بإعادة تقرير أقوال سابقيهم وجمعها وشرحها. انظر: المدارس الأشعرية دراسة مقارنة، محمد الشهري (ص:٢٠-٢١)؛ منهج الأشاعرة في أسماء الله الحسنى، طارق أحيمد (٢٠-٢١).

أولًا: الصفات الخبرية[١]:

هذه اختلفوا فيها، فقد كان متقدموهم يثبتونها في الجملة، وإن لم يكن ذلك على منهج السلف، ففي صفتي الوجه واليد مثلًا قالوا: "فإن قال قائل: فما الحجة في أن لله ﷻ وجهًا ويدين؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فأثبت لنفسه وجهًا ويدين[٢]"، "وما أضيف إلى الله جل ذكره من ذلك مما هو بمعنى الجارحة فيما بيَّنا فهو بمعنى الصفة في وصفه لاستحالة وصفه بالجوارح وصحة وصفه بالصفات"[٣]. فهذا إثبات المتقدمين.

ونفاها المتأخرون، مثاله: نفيهم صفتي الوجه والعين، فقالوا: "زعم بعض الصفاتية أن الوجه أو العين المضافين إلى الله تعالى صفات له، والصحيح عندنا أن وجهه ذاته وعينه رؤيته للأشياء"[٤]، وقالوا في صفة اليد: "وقد تأول أصحابنا هذا التأويل-أي أن معناها القدرة-صحيح على المذهب"[٥]. وهذا نفي المتأخرون

٢- الصفات الاختيارية[٦]

أجمع الأشاعرة على نفيها عن الله تعالى، والتي يعبرون عنها بحلول الحوادث، تبعًا لقول ابن كلّاب[٧]، وذلك مثل: صفات الكلام، والرضا، والغضب، وغيرها، فقالوا فيها: "فإن قيل:

---

(١) وهي: كل الصفات التي تثبت بالسمع أي: الكتاب الكريم، والسنة النبوية، ولا مجال للعقل فيها، انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٥/ ١١٦).

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد الباقلاني (ص: ٢٩٥-٢٩٦).

(٣) مشكل الحديث وبيانه، محمد بن فورك (ص: ٤٣٣).

(٤) أصول الدين، عبد القاهر البغدادي (ص:١٢٩).

(٥) المصدر السابق (ص:١٣٠).

(٦) "هي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته." مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/ ٢١٧)

(٧) أبو محمد، عبد الله بن سعيد القطان البصري؛ رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أخذ عنه: داود الظاهري، والحارث بن أسد المحاسبي، كان يلقب: كلّابًا؛ لأنّه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته، وله: كتاب الصفات،

قد أثبتم أنه حي عالم قادر سميع بصير متكلم، أفتقولون: إنه يغضب ويرضى، ويحب، ويبغض، ويوالي، ويعادي، وأنه موصوف بذلك؟ قيل لهم: أجل، ومعنى وصفه بذلك: أن غضبه على من غضب عليه، ورضاه عمن رضى عنه، وحبه لمن أحب، وبغضه لمن أبغض، وموالاته لمن والى، وعداوته لمن عادى، أن المراد بجميع ذلك: إرادته إثابة من رضى عنه وأحبه وتولاه. وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه، لا غير"(١)، وهنا يظهر التأويل والنفي للصفات الاختيارية.

٣- صفات المعاني السبع (٢)؟: فقد أجمع متأخّرو الأشعرية على إثباتها لله تعالى، فقالوا: " أجمع أصحابنا على أن قدرة الله ﷻ، وعلمه، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلامه، صفاته له أزلية."(٣)

ما سبق ذكره مجملُ قولِهم في عموم الأسماء والصفات، وفيما يلي سأذكر موقفهم من اسم الله (الفتّاح)، وصفة الفتح لله تعالى خاصّة.

المسألة الأولى: موقف الأشاعرة من اسم الله (الفتّاح)،ونقده

عند بحثي في كتب الأشعريّة ومقالاتهم في اسم الله (الفتّاح) وجدتهم يفسرون قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سورة سبأ:٢٦]، أنه

=

وكتاب خلق الأفعال، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٥/٩٨١-٩٨٢)؛ وله: سير أعلام النبلاء، (١١/١٧٤-١٧٦).

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد الباقلاني (ص: ٣٨)؛ وانظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٦/٥٢٠).

(٢) كل صفة قائمة بموصوف ، زائدة على الذات الواجبة له حكما"

(٣) أصول الدين، عبد القاهر البغدادي (ص:١١٣)؛ وانظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد الباقلاني (ص: ٣٣-٣٦)؛ رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، عبد الله بن يوسف الجويني (ص: ٧٣).

"القاضي"(١)، و يفسرون قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [سورة الأعراف:٨٩]، "والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق"(٢)

ويقولون أنّ "معناه: المختصّ بتيسير ما يعسر؛ فيكون صفةً فعليّةً. وقيل: هو الحاكم. ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]: أي احكم. ثمّ الحكم قد يكون بالقول والإخبار، وقد يكون بالقضاء، والقدر، فالأول: يرجع إلى صفة كلاميّة، والثاني يرجع إلى القدرة والإرادة"(٣).

والحق أنّهم وافقوا قول السلف ﷺ في بيان معنى الاسم وتضمّنه لصفة فعليّة،

لكنّهم فارقوهم عند إيضاح مردّ تلك الصفة ومرجعها حيثُ قصروه على صفات الكلام والقدرة والإرادة، وأهملوا صفة الفتح الأولى المتضمّنة لاسم الله (الفتّاح).

والسبب في ذلك عائدٌ لأصلهم في الصفات، فإنّه لَمّا استقرّ مذهب الأشاعرة أخيراً على إثبات صفات المعاني السبع ونفي غيرها، وهي: السمع والبصر والكلام والحياة والعلم والقدرة والإرادة؛ زعموا أنّ ما عداها من الصفات موهمٌ للتشبيه فعمدوا إلى معانيها فأوّلوها أو فوّضوها(٤)، بغية تنزيه الله تعالى حسب ظنّهم(٥).

---

(١) تفسير ابن فورك، محمد بن فورك (٢/ ١٤٧).

(٢) مفاتيح الغيب، محمد الرازي (٢٤/ ٥٢١).

(٣) أبكار الأفكار في أصول الدين، علي الآمدي (٢/٥٠٨-٥٠٩)؛ وانظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة أبو المعالي الجويني (ص:١٤٩)؛ ذي الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى محمد بن العربي (٧٩٧/ ٧٩٨) ؛ المواقف، عضد الدين الايجي (٣/٣١٨).

(٤) التفويض هو: القول بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة للناس، وليس لأحد علم بها سوى الله، مجموع الفتاوى (٥/ ٩)
-انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٥/ ٩).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (٥/٢٤٩)؛ مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، محمد التميمي (١١١/١١٢).

الرد عليهم: سيكون ذلك من جهتين:

الأولى: نقد أصلهم في إثبات الصفات السبع ونفي ما سواها.

وسأتناول الرد عليهم في ذلك بالوجوه منها:

أولًا: إنّ القول في بعض الصفات كالقول في بعض، إذْ إنّ حكمها واحدٌ والتفريق بينهما انتقائية وتفريق بين المتماثلات، ولا فرقَ بين ما أثبتم من الصفات وما نفيتم، لأنّ دلالة السمع عليها واحدة(١).

ثانيًا: الردّ عليهم بمثل ردّهم على المعتزلة في إثبات أسماء الله، فإنّه يقولون: إنّ إثباتها لا يلزم منه التجسيم، فكذلك ما يثبت أهل السنة من الصفات لا يلزم منه التجسيم(٢)، وهذا قول قدماء الأشاعرة حين يثبتون لله تعالى صفاته كالاستواء مثلًا(٣)، فليس إثبات الصفات إقرارًا بالتجسيم البتة.

ثالثًا: نقول في اعتمادهم على العقل لأجل إثبات الصفات السبع ونفي غيرها: عدم الدليل المعين لا يلزم منه عدم المدلول، أو عدم العلم ليس علمًا بالعدم، فإن لم يدل العقل عندهم إلّا على الصفات السبع فليس في هذا دلالةٌ على انتفاء غيرها من الصفات(٤).

رابعًا: هم في إثبات الصفات السبع فقط ونفي غيرها مخالفون لأقوال أئمتهم ومقدميهم كابن كلّاب وأبي الحسن الأشعري(٥)، ثمّ إنّ اضطراب أقوالهم وتناقضها في تحديد الصفات

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٩٥/٥)؛ وله: الرسالة التدمرية (ص: ٣١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٤٥/٦)؛ وله بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤٨٢/٣-٤٨٣).

(٣) انظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد الباقلاني (ص: ١١١).

(٤) انظر: الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية (ص: ٣٣).

(٥) أبو الحسن، علي بن إسماعيل الأشعري، وهو من ذرية الصحابي أبي موسى الأشعري، أخذ العلم من: خليفة الجمحي، وأبي علي الجبائي، وزكريا الساجي، أخذ عنه: أبو الحسن الباهلي، وأبو الحسن الكرماني، وأبو زيد المروزي، وله من الكتب: اللمع، والتبيين عن أصول الدين، مات سنة أربع وعشرين على الصحيح، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان (٢٨٤/٣-٢٨٥)؛ سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي (٨٥/١٥-٩٠).

المثبتة من أكبر الأمارات على بطلان قولهم(١).

الثانية: نقد تركهم ذكر صفة الفتح لله تعالى.

أولًا: إنّ الأسماء الحسنى مشتملة على ثلاث دلالات وهي: المطابقة والتضمّن واللزوم، ولم يعتن الأشاعرة بذكرها كلّها حال شرحهم لاسم الله (الفتّاح)، حيث شرحوا معنى الاسم بدلالة اللزوم فقط وقصروه عليه، إذ لازم اسم الله (الفتّاح) أن يكون متكلمًا قديرًا قادرًا مريدًا، وأغفلوا دلالتي المطابقة والتضمن ولم يبيّنوها عند شرح معنى الاسم(٢)، فهذا الشرح للاسم ناقصٌ غيرُ كامل؛ كونه إيضاحًا لبعض دلالات الاسم.

ثانيًا: هذا الصنيع منهم نوعٌ من الإلحاد في الأسماء وقعوا فيه من حيث لا يشعرون، فأصبحوا يميلون بأسماء الله وصفاته ميلًا أبعدهم عن تعظيم الله والتعبّد له بأسمائه، مفتقدين لهذا الذوق الإيماني، وهذا هو المعروف عن بعض المنتسبين لهذه المدرسة إلى أنْ هداهم الله للعودة عن أقوالهم(٣).

ثالثًا: مع كون الإلحاد في أسماء الله تعالى من أهمّ مباحث باب الأسماء والصفات التي تكلّم فيه العلماء ونبّهوا عليه وعدّدوا أنواعه تحذيرًا منه، لكن المتصفّح لكتب الأشاعرة لا يكاد يجد عندهم تذكيرًا بضرورة تجنّب الإلحاد في الأسماء إنّما يذكرونه تبعًا مختصرًا في مصنفاتهم، ومعلومٌ أثرُ هذا الباب في الفرق وكيف كان هو منطلقهم في كثير من المقالات(٤).

رابعًا: لو سأل أحد من أهل الفطر السليمة والعقول الصحيحة فقيل له: هل يمكن أن يكون الإنسان فاتحًا بمعنى حاكم يحكم بين الناس، ويمنعهم من التعدي على بعضهم، وأنْ

---

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، محمد بن القيم (٢/٢٨٢).

(٢) انظر: منهج الأشاعرة في أسماء الله الحسنى، طارق أحيمد (ص:١٦٨/١٦٩).

(٣) المرجع السابق (ص:٢١١).

(٤) المرجع السابق، (ص:١٩٨).

يقضيَ بينهم لو حصل بينهم خلاف؟ لقالوا: نعم، واستحسنوا ذلك منه، وعدّوه صفةَ كمال، فنقول لهم: أليس الله الواجب الغني أولى بذلك من الممكن الفقير؟ فإنِ استحسنتموه في المفضول فإنّ واهب الكمال بذلك حقيق ومعطيه به جدير، بل إنّ كل صفة كمال عند المفضول فهو من آثار الفاضل عليه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝١٥﴾ [فصلت: ١٥]، وفي المقابل: فإنّ كلّ نقيصة وخلل ينزه عنها الخلق، فالربُّ العليّ ذي الوصف الأعلى أولى وأحقّ أن ينزّه عنه(١).

المسألة الثانية: موقف الأشعريّة من صفة الفتح لله تعالى، ونقده

إنّ القاريء في كتب الأشعرية يجد عندهم مقالات في هذه الصفة، وهي:

أولًا: تأويل صفة الفتح

ومن المعاني التي صرفوا إليها معنى صفة الفتح: الخلق والإبداع

فقالوا: إنّ " معنى (الفتّاح) هذا الاسم خالق الفتح وهو النصر"(٢)، "وقيل: الفتّاحُ مبدعُ الفتح والنصر"(٣)، فالفتح عندهم محمولٌ على أنّ الله تعالى هو مَن أبدعه وخلقه.

الرد عليهم: إنّ بيان خطئهم في زعمهم يشمل أمرين، وهما:

أولًا: خطر التأويل على الدِّين، ودوره في إفساد العقائد(٤).

ثانيًا: بيان المعنى الصحيح الذي حُمل عليه معنى اسم الله (الفتّاح)(١).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٢/١٩٢)؛ وله: شرح العقيدة الأصفهانية، (ص: ٩٥)؛ الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال (ص: ١٢-١٣).

(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين، علي الآمدي (٢/٥٠٩)؛ وانظر: المواقف، عبد الرحمن الإيجي (٣/٣١٨).

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة عبد الله الجويني (ص:١٤٩).

(٤) انظر: (ص:٤٨).

ثانيًا: حمل صفة الفتح على المجاز[٢] لا الحقيقة[٣].

فسّرو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة سبأ:٢٦]، بقولهم: "أنّ الفتح هاهنا مجازٌ؛ وذلك لأنّ البابَ المغلق والمنفذَ المسدود يُقال فيه: فتحه على طريق الحقيقة. ثمّ إنّ الأمر إذا كان فيه انغلاق وعدم وصول إليه، فإذا بيّنه أحد يكون قد فتحه"[٤]، أيضًا لم يصرّحوا بصفة الفتح على أنّها معنًى حقيقي قائم بالله، بل عمدوا إلى القول بالمجاز الذي هو أحدُ طرائق التأويل، فحملوا عليه معنى الفتح.

الرد عليهم: حمل الأشاعرة لصفة الفتح على المجاز خاطئ من جوانب عديدة، منها:

أولًا: الأولى بالكلام حمله على الحقيقة لا على المجاز؛ لأنّه الأصل، وهو الطريق الوحيد الموصل إلى معرفة مراد ربّنا حقًّا، ولو أنّا تركنا لكلِّ واحدٍ القولَ بالمجاز ما بقي لنا من أمورِ ديننا شيءٌ يعرف ولا طريق موصل إلى الله فيعبد، ولا معنى للمجاز ما كان هناك أيُّ إمكانٍ للقول بالحقيقة.

إن القول بلزوم حمل الكلام على الحقيقة هو الموافق لآي الكتاب والمتّسق مع ظاهر الخطاب[٥].

ثانيًا: تقسيم "الكلام إلى حقيقةٍ ومجازٍ؛ إمّا أن يكون عقليًّا، أو شرعيًّا، أو لغويًّا، أو

=

(١) انظر: (ص:١٩٦).

(٢) "اسم لما أريد به غير ما وضع له، لمناسبة بينهما"، التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٢٠٢).

(٣)"اسم أريد به ما وضع له"، التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٨٩).

(٤) مفاتيح الغيب، محمد الرازي (٢٥/٢٠٦).

(٥) انظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، يوسف بن عبد البر (١٤/٢٢١)؛ وله: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/١٣١)، (١٩/١١٧).

اصطلاحيًّا، والأقسام الثلاثة الأُول باطلةٌ، فإنّ العقل لا مدخلَ له في دلالة اللفظ وتخصيصه بالمعنى المدلول عليه حقيقةً كان أو مجازًا... والشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دلّ عليه، ولا أشار إليه، وأهل اللغة لم يصرّح أحدٌ منهم بأنّ العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة، وإذا علم أنّ تقسيم الألفاظ إلى حقيقةٍ ومجازٍ ليس تقسيمًا شرعيًّا ولا عقليًّا ولا لغويًّا فهو اصطلاحٌ محضٌ"[١]، لم يكن معهودًا عند العرب قديمًا ولا عند علماء السلف من القرون المفضّلة، إنّما هو أمرٌ أُحدث بعد انقضاء القرون المفضلة، أحدثته الجهميّة والمعتزلة في القرن الثالث، وتلقّفَتْه منهم الفرقُ المبتدعة الأخرى حتى انتشرَ وعمَّ بين الناس في القرن الرابع، ولا يجوز حمل النصوص على ما استجدّ من مصطلحات، بل تحمل على المعاني المنتشرة في زمن التنزيل[٢].

والمجاز وإنْ ورد في كلام بعض المتقدّمين فإنّهم أرادوا به التفسيرَ لِلَّفظ وبيانِ معناه، ولم يقصدوا بذلك هذا المصطلح الحادث[٣].

ثالثًا: سوء عاقبة هذا القول على الأمّة إذْ كان المطيّة التي ركبها المبتدعة لأجل إنكار الأسماء الحسنى والصفات العلى، وقد كانت الأشاعرةُ مِن أكثرهم استعمالًا له لأجل التوصّل به لعقائدهم[٤].

رابعًا: مذهب السلف هو: عدم جواز القول بالمجاز في الصفات، وهو من إجماعاتهم، فهم "مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلّها في القرآن والسنّة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلّا أنّهم لا يكيّفون شيئًا من ذلك ولا يحدّون فيه صفة محصورة، وأمّا

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، محمد بن القيم (ص: ٣٨٢-٣٨٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٨٩/٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٨٧/٧)؛ منهج المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضًا ونقدًا، سليمان الغصن (٤٣١/١).

(٤) انظر: مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي (ص: ٦٩)؛ منهج المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضًا ونقدًا، سليمان الغصن (٤٣٥/١).

أهل البدع والجهميّة والمعتزلة كلّها والخوارج فكلّهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة"(١).

إنّ سلوك منهج المجاز والتأويل عند أهل البدعة لأجل إرادة التنزيه هو عينُ الزندقة والإلحاد لما يؤول إليه هو من نفي الصفات.

خامسًا: عند المصير للقول بالمجاز وصرف المعاني عن ظاهرها لا بُدّ من توفّر أمورٍ، وهي:

١ - أن تكون الكلمة المحمولة على المجاز مستعملةً في المعنى الذي قيل.

٢ -وجودُ الدليل الموجِب للتحوّل بالكلمة عن الحقيقة إلى المجاز.

٣ -سلامة الدليل من المعارض، فإنْ كان معارضه أقوى منه لم يعمل به البتّة، وإن كان في قوّته فلا بُدّ من الترجيح بما يعلم من قواعد الترجيح.

٤ -إذا كان المراد بالكلام المجاز دون الحقيقة فلابد أن يكون الشارع الحكيم قد بين أن الحقيقة غير مرادة في كلامه، وأن المقصود خلاف الظاهر، سواء تعين المقصود أم لا، لاسيما في أمور العقيدة.(٢)

فإنْ فُقِد أحدُ هذه الأمور لم يجُزْ لأحدٍ القول بالتحوّل عن الحقيقة إلى المجاز.

هذه هي مخالفات الأشاعرة للسلف الصالح في اسم الله (الفتّاح) وصفة الفتح، فهي إذْ لم تكن من الصفات السبع المثبتة عندهم حرّفوها وجعلوا دلالاته على بعض معاني صفاتهم السبع، وبعضهم نفوا صفة الفتح وأوّلوها، وجعلها بعضهم من المجاز.



(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد البر (١٤٥/٧)؛ وانظر: الحجة في بيان المحجة، إسماعيل التيمي (٤٨٢/١).

(٢) انظر: الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، أحمد بن تيمية (ص: ٧)؛ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن القيم (١/ ٢٨٩-٢٩٣)؛ وله: بدائع الفوائد (٤/ ١٦٦٠).

المبحث الثاني:
الفرق المخالفة للسلف ﷭ في الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح

كان الحديث في المبحث السابق عن الفرق المخالفة للسلف - ﷭ - في صفة الفتح خاصة، أما الآن فسيكون مدار الكلام عن الفرق التي وقفت على مخالفتها في الصفات المتضمنة وهي: العلم، والقدرة، والمشيئة والإرادة، والحكمة، والعدل، وتلك الفرق هي:

المطلب الأول:

الإباضية[(١)]

المسألة الأولى: موقفهم من صفة العلم لله تعالى

قالوا في صفة العلم:

فهو عليم لا بعلم جلبا		وهو سميع لا بسمع رَكُبًّا[(٢)]

فهو سبحانه" عليم لا بعلم، بل بذاته أي ذاته، فالذات موصوفة بأنها عالمة؛ لانكشاف المعلومات لها لا لصفة زائدة عليها قائمة بها."[(٣)]،إذًا يعتقدون أن الله عالم لا بعلم فعلمه ذاته، وليست صفة قائمة به.

---

(١) فرقة من الخوارج تنتسب إلى: عبد الله بن إباض التميمي، ظهرت في بداية القرن الاول، من آرائهم: القول إن مخالفيهم من الأمة ليسوا مؤمنين، ولا مشركين وأجازوا شهادتهم، وحرموا دماءهم في السر، واستحلوها علانية، وعندهم أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة، وأنه في الآخرة مخلد في النار، انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ٨٢-٨٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي الأشعري (ص: ١٠٢-١٠٤).

(٢) مشارق أنوار العقول، عبد الله السالمي (١/٣٥٥).

(٣) المصدر السابق.

وهذا بلا شك رأي مؤيد لمعتقد المعتزلة، ومثله موقفهم من الصفة الآتية.

المسألة الثانية: موقفهم من صفة القدرة لله تعالى:

وقالوا في صفة القدرة:

وهو بصير لا بعين نظرت وهو قدير لا بقدرة عرت [١]

فهو سبحانه" قدير بذاته، لا بقدرة هي غيره، أي ذاته ﷻ كافية في ايجاد الأشياء وانفعالها لها وانعدامها وذهابها غير محتاجة الى صفة زائدة"[٢]، وهذا معتقدهم في صفة القدرة أنها ذاته فقط وليست بصفة زائدة عليها.

وهذا هو مذهبهم في كل الصفات الذاتية، حتى قالوا:

صفاته لذاته هي ذاته لا غيرها دلت بذا آياته[٣]

" صفاته تعالى الذاتية عين ذاته أي مدلول صفاته الذاتية هي ذاته"[٤].

وقد صرح المتأخرين بأنهم موافقون في هذا لقول الفلاسفة والمعتزلة في رأيهم بإنكار وجود صفات لله تعالى غير الذات، وأنها لا تكون إلا ذهنية غير متحققة الوقوع في الخارج[٥].

ولهذا سيكون الرد عليهم في معرض الرد على المعتزلة؛ كونهم سلفهم في المعتقد[٦].

المسألة الثالثة: موقفهم من صفة العدل لله تعالى:

قالوا "واتفق جمهور من ذكرنا في صدر المقالة من الأمة على أن الله منجز وعده ووعيده، ومصدقهما بتمام ذلك، وامضائه في جميع من وعده وتوعده لا تبديل لكلمات الله ولا تحويل،

---

[١] المصدر السابق.

[٢] المصدر السابق (٣٥٥/١-٣٥٩).

[٣] المصدر السابق (ص:٣٤٩)

[٤] المصدر السابق؛ وانظر: نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، ناصر الرواحي (ص:٣١).

[٥] انظر: كتاب الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد، محمد اطفيش (ص: ٧)؛ نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، ناصر الرواحي (ص:٣٣)؛ معالم الدين، عبد العزيز الثميني (٢١٦/١).

[٦] انظر: (ص:٢٦٠).

وجعل وعيده النار لأعدائه الكافرين، ولن يجوز أن يكون وعده أو وعيده مُبدَّلاً ولا مُحوَّلا ولا مستثنى فيه، ولا مرجوعاً عنه"(١)، فمن علوم العدل عندهم إنفاذ الوعد والوعيد من الله تعالى، والحكم بكفر مرتكب الكبيرة وإنكار الشفاعة.

كما هو معتقد المعتزلة الفاسد الذي خالفت به جمهور الأمة، وسيأتي نقده وبيان خطأه في الرد على سلفهم المعتزلة (٢).

المسألة الرابعة: موقفهم من صفة الحكمة لله تعالى:

أولًا: يقولون: عن الله تعالى "لا تُعلل أفعاله بالأغراض؛ لأن التعليل بما يلزم احتياجه تعالى استكمالا بها، سبحانه عن ذلك"(٣).

فهم ينفون الحكمة عن أفعال الله تعالى، ويعبرون عنها بلفظ- الغرض- كالمعتزلة، وهذا القول مجانب للصواب كما سيأتي إيضاحه عند الرد على المعتزلة. (٤)

ثانيًا: أما مسألة الحسن والقبح (٥) فالظاهر أنها من المسائل الحاصل فيها خلاف بينهم

فقالوا: "هذا الذي قررته هنا -يريد أنهما عقليان- إنما هو مذهب جمهور أصحابنا وعليه الاشاعرة، وأما كون ما ذهب اليه بعض أئمتنا..... فإن الحكم قبل ورود الشرع عندهم إنما هو إلى العقل، فبعد وروده فهو الأصل."(٦)،فجمهورهم على أن الحسن والقبح شرعيان، وفرّق بعض أئمتهم في الحكم على الفعل قبل ورود الشرع أو بعده.

---

(١) الموجز في تحصيل السؤال، أبو عمار عبد الكافي الإباضي (١٠٥/٢)؛ وانظر: مشارق أنوار العقول، عبد الله السالمي (١٤٣/٢-١٤٤).

(٢) انظر: (ص:٢٦٥).

(٣) كتاب الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد، محمد اطفيش (ص: ٥)؛ وانظر: معالم الدين، عبد العزيز الثميني (٢٨٦/١-٢٨٧).

(٤) انظر:(ص:٢٦٥).

(٥)انظر: للتعريف بها (ص:١٩٠)

(٦) المصدر السابق (٢٩٣/١).

وكلا القولين مخالف للمذهب الحق الذي سبق بيانه، وعليه سلف الأمة.[١]

---

(١) انظر (ص:١٩٠)

المطلب الثاني:

القدرية الأولى[١]

مسألة: موقفهم من صفة العلم:

من مقالاتهم فيها: "إن الله لا يعلم الشيء قبل كونه"[٢]، ويقصدون أن الأمر مستأنف جديد، فالله تعالى عندهم لا يعلم أعمال العباد حتى يعملوها، ولم يعلمها قبل ذلك[٣].

ولا ريب في بطلان قولهم هذا وذلك لمخالفته النصوص الشرعية الواردة في إثبات علم الله تعالى، ومخالف لقول أئمة السلف وجمهور الطوائف[٤]،، وقد كان هذا أبعد شيء عن أقوال السلف رحمهم الله حتى قالوا: " ومالنا نرى أن يبلغ غدًا قوم في تعطيل صفات الله ما بلغ بهذه العصابة عدلهم في تعطيلها، حتى أنكروا سابق علم الله في خلقه، وما الخلق عاملون قبل أن يعملوا"[٥].

ولما حُكي لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مقالتهم في إنكار القدر قال: (إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر).[٦]

---

(١) وهي فرقة، ظهرت في أواخر عهد الصحابة، فلما بلغهم خبرهم تبرئوا منهم، من رؤوسهم: معبد الجهني وغيلان الدمشقي، أنكرت علم الله السابق، لكن هذه الفرقة قد اختفت وانقرضت، فليس أحد من أهل القبلة على مثل قولهم، انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد الملطي (ص: ١٧٥)؛ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ١٤-١٥)؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحي النووي (١/ ١٥٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله اللالكائي (٤/ ٧٧٦).

(٣) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد الملطي (ص: ١٧٥)؛ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ١٤-١٥)؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحي النووي (١/ ١٥٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٨/ ٢٨٨)؛ وله: الرد على المنطقيين (ص: ٤٦٥).

(٥) الرد على الجهمية، عثمان الدارمي (ص: ١٣١).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (١/٢٨)، رقم ٨.

وسُئل الإمام أحمد رحمه الله عمن قال مثل قولهم، فأجاب: " استتيب، فإن تاب وإلا قتل"[١]،

ومثل هذا الحكم لا يكون إلا على من أنكر أمرًا معلوم من الدين بالضرورة، لا تجوز مخالفته.

---

[١] السنة، أحمد الخلال (٣/ ٥٣٢).

المطلب الثالث:

الجهمية

مسألة: موقفهم من صفات الله تعالى:

للجهمية موقف خاص بهم في باب الأسماء والصفات دون سائر الفرق، فقد جاء عن جهم(١) أنه كان يقول: " لو قلت إن لله تسعة وتسعين اسما لعبدت تسعة وتسعين إلها"(٢)، هكذا فالقصد إنكار الأسماء الحسنى لله تعالى، ونفي تسمية الله بها.

واعتمادًا على ذلك فقد نفوا عن الله تعلى جميع صفاته، منعًا من تشبيهه بخلقه(٣)، هذه هي مقالتهم في صفات الله تعالى كلها بما في ذلك الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح السابق ذكرها.

لكن تسمية الله ووصفه بما سمى ووصف به نفسه ليس تشبيهاً، ولا يستلزم التشبيه إذا قيد ذلك بالإضافة أو التخصيص؛ لأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته، فهم حذروا من التشبيه فوقعوا في التأويل الذي هو شرٍ منه، وهذا اعتراض منهم على ما نص الله تعالى من اتصافه بصفات الكمال والعظمة(٤)، و" التحقيق أن الذات الموصوفة لا تنفك عن الصفات أصلا، ولا يمكن وجود ذات خالية عن الصفات، فدعوى المدعي وجود حي عليم قدير بصير بلا حياة ولا علم ولا قدرة كدعوى قدرة وعلم وحياة لا يكون الموصوف بها حيا عليما قديرا، بل دعوى شيء موجود قائم بنفسه قديم أو محدث عري عن جميع الصفات ممتنع

---

(١) أبو محرز الراسبي الجهم بن صفوان، مولاهم السمرقندي، ولد عام ١٢هـ، من رؤوس المتكلمين، أسس بدعة نفي الصفات، أخذ عن الجعد بن درهم، وكان كاتبا للأمير الحارث بن سريج التميمي، قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلا في التجسيم، توفي عام ١٣٠هـ، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (٣/ ٣٨٩)؛ وله: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧).

(٢) نقله عنه أحمد بن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٧٨).

(٣) انظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ٨٦)؛ مجموع الفتاوى، أحد بن تيمية (٦/٣٥).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٢/ ٩٩)؛ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحي العمراني (١/ ١٣٦).

في صريح العقل، ولكن الجهمية المعتزلة وغيرهم لما أثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات صار مناظرهم يقول: أنا أثبت الصفات زائدة على ما أثبتموه من الذات، أي لا أقتصر على مجرد إثبات ذات بلا صفات، ولم يعن بذلك أنه في الخارج ذاتا ثابتة بنفسها، ولا مع ذلك صفات هي زائدة على هذه الذات متميزة عن الذات."(١)و نتيجة هذه المقالة هو القول بالحلول والاتحاد الذي هو أشد من كفر النصارى(٢).

و" تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى أحمد بن تيمية (٣/٣٣٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن أبي العز (ص: ٢٨).

(٣) بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١/١٦٩).

المطلب الرابع:

المعتزلة

ولهذه الفرقة أقوال وآراء في صفات الله تعالى المتضمنة لاسم الله الفتاح ومنها:

المسألة الأولى: موقفهم من صفة العلم لله تعالى:

ومما نقل عنهم قولهم: "الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته"(١).

وقالوا "هو عالم بذاته، قادر بذاته..... لا بعلم وقدرة.. وهي صفات قديمة، ومعان قائمة به"(٢).

المسألة الثانية: موقفهم من صفة القدرة لله تعالى

أولًا: مما نقل عنهم قولهم: "الباري تعالى..... قادر بقدرة، وقدرته ذاته"(٣).

وقالوا "هو عالم بذاته، قادر بذاته..... لا بعلم وقدرة.. وهي صفات قديمة، ومعان قائمة به"(٤).

والفرق بين الأقوال السابقة هو: نفي الصفة في القول الأول، وإثبات ذات هي عين الصفة. أو إثبات صفة هي عين الذات في القول الثاني(٥)، إذا مؤدى القولين واحد وهو: نفي صفتي العلم والقدرة، وغيرها من الصفات الربانية، وهو من إجماعاهم فقد" أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثا قديما قادرا عالما حيا لا لمعان."(٦)، وهذا اثبات للأسماء الحسنى مجردة عن معانيها، وذلك يقتضي إنكار جميع الصفات الإلهية.

---

(١) المصدر الأخير، (١/ ٤٩-٥٠).

(٢) المصدر السابق؛ وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٢/ ٩٩).

(٣) الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ٤٩-٥٠).

(٤) المصدر السابق (١/ ٤٤) وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٢/ ٩٩).

(٥) انظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ٥٠).

(٦) المنية والأمل، عبد الجبار الهمذاني (١/ ١٣).

وقد سبق الرد على نفاة الصفات عند الحديث عن الجهمية(١).

ثانيًا: مما جاء في كتبهم قولهم: "اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله ﷻ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه، وأحالوا حدود حدوث فعل من فاعلين"(٢).

فالمعتزلة يرون أن أفعال العباد غير داخلة تحت مقدورات الله تعالى، وأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم من غير مشاركة للقدرة الربانية فيها، ولا وجود تأثير للقدرة الإلهية في أفعالهم.

قولهم هذا مخالف لنصوص كثيرة في القرآن منها قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات:٩٦]، فالآية صريحة في دخول أفعال العباد ضمن خلق الله تعالى، وأنها حدثت بقدرته وإرادته، ومخالف لما عليه الجمهور من المسلمين المثبتين للقدر خلافًا للمعتزلة(٣).

"وعَدْل القول في القدر أن تعلم..... أنه لا يخرج من قدرته شيء ولا يكون في ملكوته من السماوات والأرض إلا ما أراد"(٤).

والعباد سبب لأفعالهم، ولذلك تنسب إليهم، وتأثيرهم فيها كتأثير الأسباب في المسببات، والأسباب كلها من خلق الله بقدرته ومشيئته، فإضافة الفعل إلى الله من إضافة المخلوق إلى الخالق، وإضافة الفعل للعبد من إضافة المسبب إلى السبب، وعليه فلا مانع من وجود مقدور واحد بين قادرين اثنين(٥).

المسألة الثالثة: موقفهم من صفة الإرادة والمشيئة لله تعالى:

أولًا: نجدهم مختلفين فيها، فمنهم من نفاها اطرادًا لأصله في نفي الصفات، وأثبتها

---

(١) انظر: (ص: ٢٥٩).

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الهمذاني (٣/٨)؛ وانظر له: شرح الأصول الخمسة (ص:٢٢٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٨/ ٤٨٧).

(٤) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية، عبد الله بن قتيبة (ص: ٣٥).

(٥) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن القيم، (ص: ٣٧٤-٣٨١).

البصريون فقالوا: " واعلم أنه مريد عندنا بإرادة مُحدثة موجودة لا في محل"(١).

وهذه طريقة مبتدعة لم يقل بها غيرهم، ولم يرد عن أحد من السلف وجمهور أهل السنة وكثير من المتكلمين وصف الله تعالى بخلقه، وإنما وصفوه بما يقوم به من صفاته وأفعاله(٢).

وفساد هذ القول معلوم ببداهة العقل والفطر السليمة وبالعلوم الضرورية؛ لأن فيه إثبات عرض قائم بنفسه وهذا أمر مردود، كما أن الصفة إنما تنسب إلى محلها الذي وجدت فيه لا لغيره، فما ثبت من الصفات لله فهي صفة له، وما ثبت من الصفات على أنه صفة لشيء ما كانت صفة له أيضًا، فكيف ينسبون صفات الله تعالى إلى ما هو غيره بائن عنه(٣).

ثانيًا: لهم فيها مقالة هي: "المحبة والرضا والإرادة من باب واحد، بدلالة أنه لا فرق بين أن يقول القائل: أحببت أو رضيت، وبين أن يقول: أردت، حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لعد متناقضًا"(٤)، وهذا النص يظهر وَهْم المعتزلة وظنهم أن الإرادة مستلزمة الرضا والمحبة.

وقد "ذهب أهل السنة أن لفظة شاء وأراد لفظة مشتركة تقع على معنيين، أحدهما: الرضى والاستحسان فهذا منهي عن الله تعالى أنه أراده أو شاءه في كل ما نهى عنه، والثاني: أن يقال أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده، فهذا هو الذي نخبر به عنه الله ﷻ في كل موجود في العالم من خير أو شر"(٥).

والخطأ الحاصل منهم هو: ظنهم أن الإرادة في النصوص كلها بمعنى واحد، غير أن التحقيق تقسيم الإرادة إلى قسمين:

الأولى: الإرادة الشرعية الدينية وهي التي تضم محاب الله ورضاه.

---

(١) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار الهمذاني (ص:٤٤٠)؛ وانظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ٧٨)؛ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ١٦٦)، (ص: ١٠٩).

(٢) انظر: الرد على البكري تلخيص كتاب الاستغاثة، أحمد بن تيمية (١/ ٣٤٣).

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية (٦/ ٤٢٦-٤٤٣)؛ وله: الصفدية (٢/ ١٠٧).

(٤) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار الهمذاني (ص: ٤٦٤)؛ انظر له: المغني في أبواب التوحيد والعدل (٦/٥١-٥٢).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٣/ ٨٠).

الثانية: الإرادة الكونية وهي التي تعم جميع الحوادث من محبوبات الله ومساخطه.

وهذا التقسيم في الإرادة قد ذكره أكثر من واحد من السلف، وعليه جمهور الناس، وهو الموافق لما عليه حال الناس في الواقع، فالمريض مثلا يشرب الدواء وهو كاره له، وقد يشتهي من الطعام ما هو ضار له، والصائم يشتهي الماء لعطشه، ومع ذلك لا يشربه، وبذلك يتبين أنه قد يحب مالا يراد، ويراد مالا يحب[(١)].

المسألة الرابعة: موقفهم من صفة العدل لله تعالى:

يقول المعتزلة: "فإذا قيل إن الله تعالى عدل، فالمراد به أن أفعاله كلها حسنة"[(٢)]، إذاً هم يثبتون لله تعالى صفة العدل.

هذا أحد أصولهم الخمسة التي جعلوها أساسًا لمذهبهم، وميزة لهم يختصون بها دون سائر الفرق، وهو أيضًا واسع المفهوم متعدد الفروع، يصعب حصرها وجمعها، وهذا الأصل الذي جعلوه له علوم أساسية تبنى عليه، ثم تدخل ضمنها مسائل أخرى تعتبر فروع عائدة لها.

باعتقادهم في هذا الأصل جاءت المخالفة منهم إذ أخطأوا في فهم صفة العدل لله تعالى لما جعلوا من علومها: نفي خلق الله لأفعال العباد، والوعد والوعيد، والوجوب على الله، واللطف وغيرها[(٣)].

هذه العقيدة في أصل العدل خالفوا بها جمهور الأمة؛ لما فيها من لوازم باطلة كوصف الله تعالى بالظلم مع دعواهم بأنهم منزهون لله تعالى عن الظلم؛ ذلك أنهم يحكمون على مرتكب كبيرة واحدة بالخلود في النار أبدًا[(٤)]!

ولما فيه أيضًا من تشبيه الله تعالى بعباده، وقياس الحق سبحانه على الخلق، فأوجبوا على

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٣/ ١٥-١٧)، (٣/ ١٥٨)، (٣/ ١٨٢).

(٢) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار الهمذاني (ص:١٣٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص:١٣٣-١٣٤)؛ وله: المغني في أبواب العدل والتوحيد، (٦/٣٤-٣٥)؛ رسائل العدل والتوحيد، (ص:٢٧٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٨/ ٩٢).

الله تعالى من جنس ما يجب على الله، وحرموا عليه من جنس ما حرموه على العبد، ويسمونه عدلًا وحكمة(١).

المسألة الخامسة: موقفهم من صفة الحكمة لله تعالى

أولًا: مذهب المعتزلة في صفة الحكمة لله تعالى قولهم: "إن الله سبحانه ابتدأ الخلق لعلة، نريد بذلك وجه الحكمة الذي له حَسُن منه الخلق، فيبطل على هذا الوجه قول من قال: إنه تعالى خلق الخلق لا لعلة، لما فيه من إيهام أنه خلقهم عبثا، لا لوجه تقتضيه الحكمة بما لا نهاية له، وذلك -أي نقص من يفعل لا لغرض- ظاهر في الشاهد، لأن الواحد إذا أراد النيل من غيره قال عنه: إنه يفعل الأفعال لا لعلة ولا لمعنى، فيقوم هذا القول مقام أن يقول: إنه يعبث في أفعاله، وإذا به في المدح يقول: إن فلانا يفعل أفعاله لعلة صحيحة، ولمعنى حسن"(٢).

فهم وإن أثبتوا لله صفة الحكمة إلا أنه جعلوها حكمة مخلوقة منفصلة عنه غير عائدة إليه، إنما هي حكمة عائدة إلى الخلق(٣).

وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ بقوله: "الإحسان إلى الغير محمود، لكون المحسن يعود إليه من فعله هذه الأمور حكم يحمد لأجله، أما إذا قدر أن وجود الإحسان وعدمه بالنسبة إلى الفاعل سواء، لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه، بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء، وكل من فعل فعلاً ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً، ولم يكن محموداً على هذا، وأنتم عللتم أفعاله فراراً من العبث فوقعتم في العبث، فإن العبث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل"(٤) والحق هو أن نثبت لله تعالى صفة الحكمة متضمنة لأمرين أحدهما:

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد بن حزم (٣/ ٥٦-٥٧)؛ مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٨/ ٩١).

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الهمذاني (٩١/١١).

(٣) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن تيمية (٥/ ١٤٦).

(٤) المصدر السابق (٥/ ١٤٦) وانظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (٨/ ٥٤-٥٥).

حكمة عائدة إليه قائمة به، وحكمة تعود إلى عباده، يرون أثرها في الأمر والشرع.

ثانيًا: يطلقون على صفة الحكمة كلمة الغرض ويقولون: " إذا كان للفعل ثمرة في المستقبل صح أن يقال في فاعله بأن غرضه في الفعل هو ذلك الأمر، كما نقول في التكليف: إن الغرض به منزلة الثواب، وإن الغرض بالآلام التعويض والإلطاف"(١).

والأولى عدم إطلاق هذه اللفظة على الله تعالى؛ لئلا يكون فيها إيهام بوصف الله تعالى بالظلم والحاجة، فالمعهود عن الناس عند إطلاقها المعنى المذموم من ظلم أو فاحشة ينزه الله تعالى عنها(٢).

ثالثًا: من المسائل ذات الارتباط بتعليل أفعال الله تعالى: مسألة التحسين والتقبيح، والمعتزلة يرون أن "وجوب المصلحة، وقبح المفسدة متقرران في العقل"(٣) ولا سبيل إلى معرفة كلاً من الحسن والقبح عندهم إلا عن طريق العقل.

وقد سبق بيان القول الصحيح في هذه المسألة، وهو المتسق مع الأدلة الشرعية، وعليه أكثر المسلمين(٤).

---

(١) نهاية الإقدام نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني (٤٤/١٤).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٢/ ٣١٤).

(٣) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار الهمذاني (ص:٥٦٥) ؛ وانظر له: المغني في أبواب العدل والتوحيد (٦/٢٦-٣٤)، (٦/٥٩-٦٠).

(٤) انظر: (ص:١٩٠).

المطلب الخامس:

الكرامية[١]

هذه الفرقة من الفرق التي اندثرت كتبها، ولم تعد متوافرة، ولذلك يلجأ العلماء إلى كتب الناقلين عنهم لتحديد موقفهم في هذا الباب، وهو الآتي.

المسألة الأولى: موقفهم من صفة العلم لله تعالى:

اختلف النقل عنهم في هذه الصفة على النحو الآتي:

النقل الأول: "ومما أجمعوا عليه من إثبات الصفات قولهم: الباري تعالى عالم بعلم.....، وجميع هذه الصفات صفات قديمة أزلية"[٢]، فهذا نقل عنهم يثبت إقرارهم بالصفة، وهو الحق.

النقل الثاني: "قالوا: عليم بعالمية، قادر بقادرية، لا بعلم ولا بقدرة، وإن كان له علم وقدرة، فلحقوا بالمعتزلة في قولهم إنه عليم قادر لا بقدرة"[٣]، وهذا نقل يفيد بنفي صفة العلم، وموافقة المعتزلة في تعطيلها، وهو بلا ريب باطل، مضى الرد عليه. [٤]

المسألة الثانية: موقفهم من صفة القدرة لله تعالى:

هنا أيضًا تغاير النقل عنهم على النحو الآتي:

النقل الأول: "ومما أجمعوا عليه من إثبات الصفات قولهم: الباري تعالى..... قادر بقدرة.....، وجميع هذه الصفات صفات قديمة أزلية قائمة بذاته"[٥]، فهذا إثبات بإقرارهم

---

[١] واحدة من الفرق الكلامية، تنسب إلى مؤسسها محمد بن كرام السجستاني، ظهرت في القرن الثالث الهجري، وأشهر رجالها: ابن هيصم، لهم جملة من المصنفات، ولكن لم يصل منها شيء، هم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة، لهم عدة عقائد منها: أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وغيرها، انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الاسفراييني (١١١ - ١٢١)؛ الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ١٠٨-١١٢).

[٢] المصدر الأخير (١/ ١١٢).

[٣] التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الاسفراييني (ص: ١١٤).

[٤] انظر:(ص: ٢٦٢).

[٥] الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ١١٢).

بصفة القدرة، وأنها قديمة غير بائنة عنه، وهو الصواب.

النقل الثاني: "قالوا: عليم بعالمية، قادر بقادرية، لا بعلم ولا بقدرة، وإن كان له علم وقدرة فلحقوا بالمعتزلة في قولهم إنه عليم قادر لا بقدرة"(١)، وهذا نقل يفيد بنفي وتعطيل صفة القدرة كالمعتزلة، وهو قول خاطئ تقدم الرد عليه. (٢)

المسألة الثالثة: موقفهم من صفة الإرادة والمشيئة:

نقل عنهم أنهم "زعموا أن أقواله وإرادته.... أعراض حادثة فيه"(٣)، يعني أن هذه الصفات مخلوقة حادثة غير قديمة.

أما زعمهم أن من صفات الله ما هو مخلوق فباطل، وفيه تشبيه للرب تعالى بخلقه المحدثة صفاتهم(٤)، والصحيح: أن القول في الصفات كالقول في الذات، وليس أحد يقول عن ذات الله أنها مخلوقة فكذلك تكون صفاته، و"كلمات الله وقدرة الله ونعته وصفاته كاملات غير مخلوقات دائمات أزليات، وليست بمحدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصا فيزيد"(٥)، فصفات الله تعالى قديمة غير حادثة، والله تعالى متصف بها قبل أن يخلق الخلق(٦).

المسألة الر ابعة: موقفهم من صفة العدل:

ذكر العلماء أنهم "ومن سوء اختيارهم لحقوا بالمعتزلة في..... القول بإيجاب أشياء وحظر

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الاسفراييني (ص: ١١٤).

(٢) انظر:(ص:٢٦٢).

(٣) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ٢٠٤)، (ص: ٥٢)؛ وانظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الاسفراييني (ص: ١٢١)؛ الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ١١٣).

(٤) انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الاسفراييني (ص: ١٢١).

(٥) شرح السنة، اسماعيل المزني (ص: ٧٩).

(٦) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد، عثمان الدارمي (١/ ١٦١).

أشياء على الله تعالى، وترتيبهم عليه شريعة كما رتبها عليهم"(١)،. غير أنهم "لم يثبتوا رعاية الصلاح والأصلح واللطف عقلًا كما قالت المعتزلة"(٢).

بعد القراءة في كتب الناقلين عنهم من كتب الفرق والمقالات نرى أنهم لم يذهبوا مذهب المعتزلة في جميع مسائل أصل العدل، بل وافقوهم في مسألة الإيجاب على الله، وخالفوهم في مسألتي فعل الأصلح واللطف التي هي من مسائل صفة العدل.

وقد سبق عند الحديث عن المعتزلة الرد على جميع هذه المقالات(٣).

المسألة الخامسة: موقفهم من صفة الحكمة:

أولًا: نُقل عنهم أنهم يثبتون "حكمة تعود إلى الرب؛ لكن بحسب علمه..... وهذه حكمة مقصودة وهي واقعة"(٤)، وهذا اثبات حكمة واحدة فقط عائدة لله تعالى.

وبذلك خالفوا قول أهل السنة والجماعة في إثبات نوعي الحكمة في أفعال الله تعالى، وهما: حكمة راجعة إليه، ويفعل لأجلها، وحكمة في أفعاله تعود لعباده، وإن كان قولهم أرجح من قول المعتزلة والماتريدية (٥) في جعلهم الحكمة واحدة، هي العائدة للعباد(٦).

ثانيًا: أما مسألة الحسن والقبح فهم يرون "أن العقل قد يُعلم به حسن كثير من الأفعال

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر الاسفراييني (ص: ١١٤)؛ وانظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني (١/ ١١٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ١١٣).

(٣) انظر: (ص:٢٦٤).

(٤) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٨/ ٣٩).

(٥) فرقة كلامية تنتسب هذه الطائفة إلى محمد بن محمد بن محمود، المعروف بأبي منصور الماتريدي، ظهرت في القرن الثالث الهجري، من أبرز رجالاتها: أبو القاسم السمرقندي وعبد الكريم البزدوي، وقد تقاربت كثيرًا مع الأشاعرة في العقائد، ولم تفارقها إلا في بعض المسائل بلغت بضع عشر مسألة، انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام: غالب بن علي العواجي (١٢٢٧-١٢٣٢)؛ الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات، شمس الدين الأفغاني (١/٥٣-١٢١).

(٦) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٠).

وقبحها في حق الله وحق عباده"[١]، إذاً مذهبهم في المسألة القول: أن الحسن والقبح عقليان.

وقد تقدم بيان الصحيح في المسألة[٢].

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (١/ ٤٤٩)؛ وانظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، محمد الشهرستاني (ص:٢٠٨).

(٢) انظر:(ص :١٩٢).

المطلب السادس:
الشيعة الاثنى عشرية

تقدم بيان موقف الاثنا عشرية من صفات الله عمومًا، ثم موقفهم من صفة الفتح، أما الآن سيتم عرض أقوالهم في الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح.

المسألة الأولى: موقفهم من صفة العلم لله تعالى:

بعد بحثي في كتبهم وجدت أن لهم في هذه الصفة أقوال منها:

أولًا: يقولون: إن الله تعالى "عالمٌ لنفسه لا بمعنى، كما ذهب إليه المشبّهة مِن أصحاب الصفات"(١)، وقالوا: "نعتقد: أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات الجمال والكمال، كالعلم....، هي كلّها عين ذاته، ليست هي صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلاّ وجود الذات.....، وهكذا الحال في سائر صفاته الكماليّة"(٢)، وهذا تصريح واضح منهم أن صفة العلم لله تعالى هي عين الذات، وليست بمعانٍ ثابتة لله.

والرد عليهم يكون بما ذكرته في الرد على سلفهم المعتزلة(٣).

ثانيًا: جاء في كتبهم، عن أبي عبد الله " ما تنبأ نبي قط حتى يُقِر لله ﷻ بخمس: بالبداء والمشية والسجود والعبودية والطاعة"(٤)، وجاء أيضًا قولهم: " ما عُبد الله بشيء مثل البداء."(٥)، وفي رواية" ما عظم الله بشيء مثل البداء"(٦)،بل إنهم قد "اتفقوا على إطلاق لفظ البداء في وصف الله تعالى."(٧) فالرافضة تدَّعي جواز البداء على الله تعالى.

والمراد بالبداء أحد معنيين هما:

---

(١) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد العكبري (٥٢).

(٢) عقائد الإمامية، محمد المظفر (١/٣٣).

(٣) انظر:(ص:٢٦٢)

(٤) التّوحيد، محمد القمي (١/٣٣٣).

(٥) الكافي، محمد الكليني (١/١٤٦).

(٦) المصدر السابق (١/١٤٦)؛ وانظر: التّوحيد، محمد القمي (١/٣٣٣).

(٧) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد العكبري (١/٤٦).

الأول: "ظهور الرأي بعد أن لم يكن"[١] والثاني: "تغير رأيي فيه عما كان"[٢]، فاستحداث الرأي الجديد، أو استبداله بآخر داخل في معنى البداء.

لا شك أن هذا القول مستلزم للوازم باطلة، وقدح في علم الله وحكمته، وحسن تدبيره؛ لهذا أكد الله تعالى على علمه بعد آيات النسخ التي ظنوها من البداء، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١]، "وإنما كان يلزم البداء لو لم يكن عالما بمآل الأمور، وأما العالم بذلك فإنما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح، كالطبيب المراعي أحوال العليل، فراعى ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته، لا إله إلا هو، فخطابه يتبدل، وعلمه وإرادته لا تتغير، فإن ذلك محال في جهة الله تعالى"[٣].

وعجبًا قولهم هذا ووصفهم لرب العالمين به، مع نفيهم له عن الأنبياء والأئمة[٤]، ولكنهم أقروا هذه العقيدة؛ حتى تكون مخرجًا لهم عند عوامهم، فلا يؤثر عليهم الكذب إن اختلفت أقوالهم وتناقضت، وما أكثر ذلك!

ثالثًا: من الروايات الواردة في كتبهم في هذه المسألة، الآتي:

"عن أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة، فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية – ثلاث مرات – لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون، وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة."[٥].

و"سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في

---

[١] التعريفات، علي الجرجاني (ص: ٤٣)؛ وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المناوي (ص: ١١٨).

[٢] الكليات، أيوب الكفوي (ص: ٢٤٢).

[٣] الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي (٢/ ٦٤).

[٤] انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية (٢/ ٣٩٥).

[٥] الكافي، محمد الكليني (١/ ٢٦٠-٢٦١).

الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئة، فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله ﷻ، إن الله ﷻ يقول فيه تبيان كل شيء"(١) هاتان الروايتان في كتبهم تؤكد اعتقادهم في نسبة خصائص علم الله للمخلوق، وأن الأئمة مثل الله تعالى في معرفة الغيب، وأن عندهم ما كان، وما سيكون، وأنهم أعلم من أنبياء الله تعالى.

وسيأتي الرد على هذه العقيدة عند نقد موقفهم من صفة القدرة لاتفاقهما في المعنى.

المسألة الثانية: موقفهم من صفة القدرة لله تعالى:

من مقالاتهم في هذه الصفة الآتي:

أولًا: قد جاء في رواياتهم "عن أبي بصير قال: دخلت على أبي جعفر ع فقلت له أنتم ورثة رسول الله -ﷺ- قال: نعم قلت: رسول اللّه -ﷺ- وارث الأنبياء علم كل ما علموا؟ قال: لي نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تُحيوا الموتى، وتبرؤوا الأكمه والأبرص؟ قال: نعم بإذن الله، ثم قال لي: ادن مني يا أبا محمد، فدنوت منه، فمسح على وجهي وعلى عيني، فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في البلد، ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصًا؟ قلت: أعود كما كنت، فمسح على عيني، فعدت كما كنت، قال: فحدثت ابن أبي عمير بهذا، فقال: أن هذا حق كما أن النهار"(٢).

وقالوا: "إننا نعتقد بأن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام يمتلكون القدرة على التصرف في عالم الوجود والخلقة، وذلك بنحو مطلق وتام وكامل، والسر في ذلك أنهم عليهم السلام يجسدون قدرة الله المطلقة.....، وهذه القدرة تشمل الخلق والرزق وجميع الأشياء الممكنة"(٣).

هذه النقول من كتبهم تعطي تصور جلي عن عقيدتهم فيما يطلقون عليه: الولاية

---

(١) المصدر السابق (٢٦١/١).

(٢) الكافي، محمد الكليني (٤٧٠/١).

(٣) معرفة الإمام، حسين الكنجي (ص:٢٣١)؛ وانظر: إثبات الولاية العامة للنبي والأئمة، علي الحسيني الميلاني (ص:١٦٦).

التكوينية(١)، وأنها شاملة عامة للأئمة؛ حتى لما اختص الله به نفسه كإحياء الموتى، وما اختص به بعض الخلق كعيسى ابن مريم عليه السلام.

أما ما زعموه من نسبة بعض خصائص الله تعالى من علم وقدرة للأئمة، فهو تطاول منهم على شيء من صفات الرب سبحانه، وانتقاص لمقام الربوبية، وأمارة على ضعف تعظيمه وتقديسه، وتمثيل للخلق بالحق تبارك وتقدس، وهو خلاف منهج القرآن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].

وخلاف منهج الرسل عليهم السلام "فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل.....، فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، كان معطلا، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين، كان ممثلا، والمعطل يعبد عدما، والممثل يعبد صنم"(٢).

وخلاف منهج أئمتهم، كما ورد عن أبي عبد الله أنه قال: "تعالى الله عز وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ وأنا وجميع آبائي من الأولين آدم ونوح وإبراهيم وموسى، وغيرهم من النبيين ومن الآخرين محمد رسول الله، وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين، وغيرهم ممن مضى من الائمة صلوات الله عليهم أجمعين إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عبيد الله عز وجل"(٣).

ثانيًا: يقولون " أنّه قادرٌ لنفسه..... لا بمعنى كما ذهب إليه المشبّهة مِن أصحاب

---

(١) "المقصود بها أن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام يمتلكون القدرة على التصرف في جميع الموجودات"، انظر: معرفة الإمام (ص:٢٣٦).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن تيمية (٤/ ٤٠٦).

(٣) بحار الأنوار، محمد المجلسي (٢٥/٢٦٦-٢٦٧).

الصفات"[١]، وقالوا: "ونعتقد: أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات الجمال والكمال كا.. القدرة، والغنى، والإِرادة، والحياة . هي كلّها عين ذاته، ليست هي صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلاّ وجود الذات.....، وهكذا الحال في سائر صفاته الكماليّة"[٢]، وهذا أيضًا تصريح واضح منهم أن صفة القدرة لله تعالى هي عين ذات الله تعالى، وليست بمعانٍ ثابتة لله.

والرد عليهم بنحو ما كان الرد على المعتزلة اللذين أخذوا منهم. [٣]

ثالثًا: قالوا: " فعل العبد لا يخلو أن يكون قبيحا أو حسنا، فما هو قبيح لا يجوز أن يكون فعلا له، لأنا قد بينا أنه لا يفعل القبيح، وما هو حسن لا يجوز أيضا أن يفعله لأنه فعلنا، والفعل الواحد لا يكون من فاعلين على ما نبينه"[٤]، فهم يعتقدون أن أفعال العباد ليس من مقدورات الله.

وهذا تأييد وتصديق لقول المعتزلة مضى بيان زيفه. [٥]

المسألة الثالثة: موقفهم من صفة العدل لله:

لصفة العدل مكانة عظيمة عندهم، حتى قالوا: "اعلم أن هذا أصل عظيم؛ تبتني عليه القواعد الإسلامية، بل الأحكام الدينية مطلقا، وبدونه لا يتم شيء من الأديان"[٦]، فلما جعلوه من أصول الدين بنوا عليه جُل عقائدهم، وأولها الإمامة، وغيرها من فروع العدل المتعددة على النحو الذي ذكرته عند المعتزلة.

---

(١) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد العكبري (٥٢).

(٢) عقائد الإمامية، محمد المظفر (١/٣٣).

(٣) انظر:(ص:٢٦٢).

(٤) الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، محمد الطوسي (١/٥٤-٥٥).

(٥) انظر:(ص:٢٦٢).

(٦) نهج الحق وكشف الصدق، محمد بن المطهر الحلي (١/٧٢)؛ وانظر: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، محمد الطوسي، (١/٤٧).

وهناك أيضًا كان الرد على هذا الأصل. [١]

المسألة الرابعة: موقفهم من صفة الحكمة لله تعالى:

أولًا: في كتبهم أنهم يقولون: "ثبت أنه تعالى خلق الخلق، ولا بد أن يكون له فيه غرض لأنه إن لم يكن له فيه غرض كان عبثا، وذلك لا يجوز عليه، ولا يجوز أن يكون خلقهم لنفع نفسه، لأن ذلك لا يجوز عليه، لأنا سنبين استحالة المنافع عليه، فلم يبق إلا أنه خلق الخلق لمنافعهم"[٢]، وهذا عين مقالة المعتزلة في صفة الحكمة، بإطلاق لفظ الغرض عليها، وجعلها حكمة مخلوقة منفصلة عنه غير عائدة إليه، إنما هي حكمة عائدة إلى الخلق[٣].

وقد مضى إيضاح ذلك والرد عليهم[٤].

ثانيًا: أما قولهم في مسألة الحسن والقبح العقليين هو: "أن العلم بحسن بعض الأشياء... والعلم بقبح بعضها.... ضروري..... لأن القول بنفي الحسن والقبح العقليين يقتضي رفع الأحكام الشرعية."[٥]

وهو أيضًا ذات قول المعتزلة من أنهما وصفان عقليان، تقد الرد عليه. [٦]

وبالتأمل في أقوالهم في الصفات الأخيرة نرى أنه رجع صدى لأقوال سلفهم المعتزلة لا يحيد عنه قدر أنملة، ويتضح مدى تصديقهم وتأييدهم لهم في الصفات.

---

[١] انظر:(ص:٢٦٤).

[٢] المصدر السابق (٣١/١).

[٣] انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن تيمية (٥/ ١٤٦).

[٤] انظر:(ص:٢٦٥).

[٥] معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين، المؤلف: محمد بن المطهر الحلي، (ص:٢١٩-٢٢٠)؛ وانظر: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد محمد الطوسي (٤٧/١-٤٩).

[٦] انظر:(ص:١٩٠).

المطلب السابع: الصوفية

تقدم الحديث عن عقيدة الصوفية في باب الأسماء والصفات، وبيان منزلة الولاية عندهم، ومدى تعظيمهم لها واحتفاءهم بالولي ورفعهم لمنزلته، فقد تجاوزا بها الحدود حتى تجاسروا عل صفات الله تعالى، وبدا أثره على موقفهم في صفات الرب ﷻ ومنها:

المسألة الأولى: موقفهم من صفة العلم لله تعالى:

لما سُألوا هل يعلم الرسول ﷺ مفاتح الغيب الخمسة؟ قالوا: "وكيف يخفى أمر الخمس عليه؟! والواحد من أهل التصرف -يريد الأقطاب[(١)]- من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس"[(٢)].

وقالوا: "ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لانهاية له، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات"[(٣)].

وهذا نص صريح منهم في اعتقادهم بدعوى علم الغيب عند الأنبياء والأولياء، وإعطائهم بعض الصفات الربانية والنعوت الإلهية، ونظيره اعتقادهم في الصفة التالية، والرد عليهم فيه.

المسألة الثانية: موقفهم من صفة القدرة لله تعالى:

وقالوا عن الأولياء: "إن الله ملكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم على مملكته تفويضا

---

(١) "وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل." التعريفات، علي الجرجاني (ص: ١٧٧-١٧٨).

(٢) الإبريز من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ، أحمد المالكي (ص:٣١٣)؛ وانظر: عرائس البيان في حقائق القرآن، صدر الدين القلي (١/٣٦٨).

(٣) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، علي الفاسي (ص:٢٨٨).

عامًا، أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون، ويملكهم الله كلمة التكوين: متى قالوا للشيء: كن، كان من حينه.... فلا يستعصي عليهم شيء في الوجود"(١).

وهذا هو عين كلام الاثنا عشرية في أئمتهم، ونسبة صفات الله لخلقه وتشبيههم به، وأن الله مكنَّهم من الولاية التكوينية في الكون، فمن كان كذلك فإن له عندهم القدرة على إنزال المطر وشفاء المرضى وإحياء الموتى!

وقد سبق الرد على هذه المقالة عند الشيعة. (٢)



(١) المصدر السابق (ص:٢٨٠).

(٢) انظر:(ص:٢٧٤).

المطلب الثامن:
الأشاعرة

تقدم بيان موقفهم من صفات الله عمومًا، ثم موقفهم من صفة الفتح، أما الآن سيتم عرض أقوالهم في الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح.

المسألة الأولى: موقف الأشاعرة من صفة العلم لله تعالى:

قالوا في صفة علم الله تعالى: " علم الله ﷻ أزلي متعلق بالمعلومات عند حدوثها، وسمعه أزلي متعلق بإدراك المسموعات عند ظهورها، وبصره أزلي متعلق بإدراك المرئيات عند وجودها، من غير حدوث معنى فيه، تعالى عن أن يكون محلا للحوادث."(١)، فهم يعتقدون أن علمه تعالى بالأمور المستقبلة يكون بصفات قديمة لازمة لذاته، غير متجددة في أفرادها.

والصواب الذي يدل عليه صحيح المنقول، في أكثر من عشرة مواضع، وصريح المعقول، وآثار السلف ﷺ هو القول بتجدد صفات أخرى محدثة(٢)، فمثلًا في صفتي السمع والبصر إن قيل: "أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت؛ فإما أن يقال: إنه تجدد شيء، وإما أن يقال: لم يتجدد شيء، فإن كان لم يتجدد، وكان لا يسمعها ولا يبصرها، فهو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها، وإن تجدد شيء: فإما أن يكون وجودا أو عدما؛ فإن كان عدما فلم يتجدد شيء، وإن كان وجودا: فإما أن يكون قائما بذات الله، أو قائما بذات غيره، والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى، فيتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله وهذا لا حيلة فيه"(٣)، وهكذا في باقي الصفات، فإن اتصافه بها

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد البيهقي (ص: ٩٤)؛ وانظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك الجويني (ص: ٩٣).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية (١٧٩/١٠)؛ انظر له: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢٠٣/١).

(٣) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية (٢/ ١٧-١٨).

تعالى بعد فعلها قدر زائد عن اتصافه بها قبل حدوثها[١].

المسألة الثانية: موقفهم من صفة الحكمة

أولًا: يقولون: "إننا لا ننكر كون الباري تعالى حكيما، وذلك بتحقق ما يتقنه من صنعته ويخلقه على وفق علمه به وبإرادته"[٢].

ولزيادة الإيضاح لقولهم في هذه الصفة قالوا: " أن الله تعالى خلق العالم بما فيه من الجواهر والأعراض وأصناف الخلق والأنواع، لا لعلة حاملة له على الفعل سواء قُدْرَت تلك العلة نافعة له أو غير نافعة؛ إذ ليس يقبل النفع والضر، أو قُدْرَت تلك العلة نافعة للخلق؛ إذ ليس يبعثه على الفعل باعث، فلا غرض له في أفعاله، ولا حامل، بل علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه."[٣]

فهم وإن أثبتوا الاسم لله إلا أنهم غلطوا في تفسير صفة الحكمة بظنهم أن أفعال الرب تعالى لا تعلل ولا حكمة لها، وأنه لا يفعل الشيء لغاية أو لحكمة مقصودة، وإنما تأتي الحكمة تبعًا لفعل الله تعالى مترتبة عليه، وهذا بلا شك نفي لحكمة الله تعالى، وإن زعموا أنهم مثبتون لها.

إن هذا القول مبتدع لم يقله أحد من السلف ﷺ، بل كلهم كانوا يثبتون لله تعالى صفة الحكمة الواردة في النصوص، وليس في اثباتها شيء من التسلسل، وإنما تعامل معاملة الأسباب، فترجع إلى ما قبلها حتى تصل إلى حكمة لا حكمة قبلها.

كما أن في اثبات حكمة الله تعالى اثبات كماله ﷻ وتنزهه عن العبث والنقص المنفيان عنه بأدلة شرعية وعقلية[٤]، وقد أحسن الإمام ابن القيم ﵀ في الرد عليهم حيث ذكر ستة عشر وجه في ذلك[٥].

---

[١] انظر مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١٦/٣٠٤).

[٢] غاية المرام في علم الكلام، علي الآمدي (ص: ٢٣٣).

[٣] نهاية الإقدام في علم الكلام، محمد الشهرستاني (ص: ٢٢٢)؛ وانظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد الباقلاني (ص: ٥١)؛ غاية المرام في علم الكلام، علي الآمدي (ص: ٢٣٣).

[٤] انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن القيم (ص: ٥٢٩).

[٥] انظر: المصدر السابق.

ثانيًا: أما مسألة الحسن والقبح قد أُثر عن الأشاعرة قولهم: "العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع"(١)، فالحسن والقبح عندهم لا يستفادان إلا من الشرع، فكل ما أمر به الشرع فهو حسن، وكل ما نهى عنه فهو قبيح.

تعتبر هذه المسألة من أشهر المسائل الخلافية بين الفرق الإسلامية، أما القول الحق فيها فقد تقدم بيانه(٢).

---

(١) الإرشاد للجويني، (ص:٢١١)؛ وانظر: المحصول، محمد الرازي (١/ ١٢٣).

(٢) انظر: (ص:١٩٠).

المطلب التاسع: الماتريدية

المسألة الأولى: موقفهم من صفات الله تعالى:

عند النظر في كلامهم عن الصفات المثبتة لله تعالى نجدهم يصفونه بالصفات السبع التي أثبتها له الأشاعرة مع زيادة صفة التكوين فقط، وهذا يعني نفيهم لما عداها من الصفات ومنها المتضمنة لاسم الله الفتاح(١).

وقد تقدم الرد على نفاة الصفات كالجهمية والمعتزلة؛ فالقول في صفة كالقول في غيرها (٢)

المسألة الثانية: موقفهم من صفة الحكمة لله تعالى:

أولًا: يقولون: "من عرف الله حق المعرفة، وعلم غناه وسلطانه، ثم قدرته وملكه في أنه له الخلق والأمر، عرف أن فعله لا يجوز أن يخرج عن الحكمة؛ إذ هو حكيم بذاته غنى عليم، والذي به الخروج عن الحكمة في الشاهد، ويبعث صاحبه عليه جهله، أو حاجته، وهما منفيان عن الله فثبت أن فعله غير خارج عن الحكمة."(٣).

وهذا اثبات للحكمة في أفعال الله تعالى، لكنهم يجعلونها حكمة راجعة للخلق فقط، أما ما يعود منها إلى الله تعالى فهو منفي عندهم تبعًا لمذهبهم في نفي الصفات(٤)

فهم في هذا متوافقين مع المعتزلة، وقد تقدم الرد عليه (٥)

ثانيًا: أما قولهم في مسألة الحسن والقبح العقليين: فإنهم يجعلون مرجعها إلى العقل لا إلى

---

(١) انظر: التوحيد، محمد الماتريدي (ص: ٥٣-٦٩)؛ أصول الدين، أحمد الغزنوي (١٠١-١٠٥).

(٢) انظر: (ص:٢٥٩).

(٣) التوحيد، محمد الماتريدي (ص: ٢١٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٤٧-٥٥).

(٥) انظر: (ص:٢٦٥).

الشرع[١].

وبهذا نرى أنه مؤيدون وموافقون لقول المعتزلة، وقد سبق الرد على مقالاتهم. [٢]

بعد هذا العرض المجمل لأقوال الفرق في الصفات المتضمنة لاسم الله الفتاح، نخلص إلى نتيجة مفادها: أن الفرق المخالفة للسلف رحمهم الله ليست بمنزلة ولا درجة واحدة.

وأن المخالفة من الفرق مختلفة متباينة، كل بحسب ما اعتقده وما قاله، فهناك فرق مخالفة لهم من جميع الوجوه: كالجهمية والمعتزلة، وفرق مخالفة لهم من وجه دون وجه: كالقدرية الأولى، والإباضية والشيعة الاثنا عشرية والصوفية والأشاعرة والماتريدية والكرامية.

أختِم هذا الفصل بقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وهذا الصراط المستقيم الذي وصّانا باتّباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، وإنْ قاله مَن قاله، لكن الجور قد يكون جورًا عظيمًا عن الصراط، وقد يكون يسيرًا، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلّا الله، وهذا كالطريق الحسيّ، فإنّ السالك قد يعدل عنه ويجور جورًا فاحشًا، وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذى يعرف به الاستقامة على الطريق، والجور عنه هو: ما كان رسول الله ﷺ وأصحابه عليه، والجائر عنه إمّا مفرّط ظالم، أو مجتهد متأوّل، أو مقلّد جاهل، فمنم المستحقّ للعقوبة، ومنهم المغفور له، ومنهم المأجور أجرًا واحدًا، بحسب نيّاتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله، أو تفريطهم"[٣].

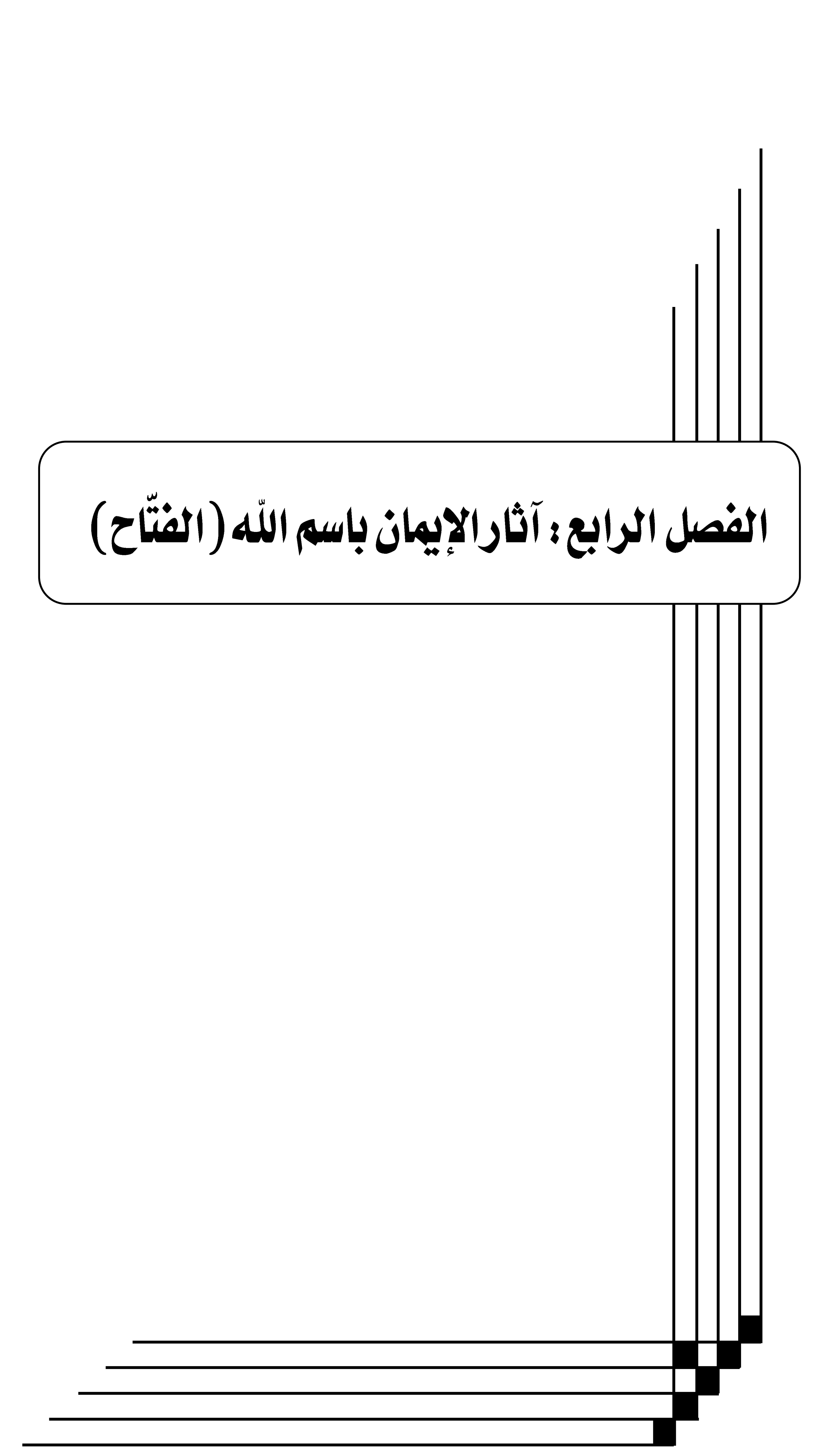
فهذا تحقيق القول في الصراط المستقيم، وتقريب معناه للأذهان بضرب المثل له، وهذا شأن مَن سلكه واتّبعه، وشأن من تركه وخالفه، والقول الفصل في حاله وحكمه.

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ١٠٠، ١٧٨).

(٢) انظر: (ص: ١٩٠).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن القيم (١/١٣٠-١٣١).



الفصل الرابع: آثار الإيمان باسم الله (الفتّاح)

الفصل الرابع:
آثار الإيمان باسم الله (الفتّاح)

ذكرت في الفصل الأول أقوال السلف الصالح في اسم الله (الفتّاح) وصفة الفتح، بما يؤكّد موافقتها للحقّ في نفس الأمر، وبُعد ما عداهم من الفرق المخالفة لهم عن الحقّ، ومجانبتهم الحقّ فيه.

وهذا أوان استكمال ما أثمره منهجهم من آثارٍ تُعتبر كنتائج حتميّة، ومآلات لازمةٍ تُوجد في سلوك المهتدين للحقّ، "سلوك الأبرار أهل اليمين وهو أداءُ الواجبات، وترك المحرمات باطنًا وظاهرًا."(١)، فهم يعتقدون أنّ للأسماء الحسنى آثارَها على العبد، وأنّ جميع العبادات عائدةٌ إلى معاني الأسماء والصفات، متعلّقة بمقتضياتها؛ لأنّ الله تعالى أنكر على مَن حسِب إمكان فصل أسمائه وصفاته عن خلقه وأمره، وبين عدم جواز نسبة ذلك له، ونزه نفسه عن مثل ذلك قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

لذلك دعا الله الخلْق إلى دعائه بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولكلِّ اسمٍ عبوديّته الخاصّة به، ولا يحصل الكمال للعبد إلّا إذا أكمل الدعاء بجميع الأسماء الحسنى، ولم يحصر نفسه بالعبادة باسمٍ منشغلًا به عن الآخر، وهذا التكامل في العبادة هو عينُ المنهج القرآنيّ الآمر بدعاء الله بأسمائه وصفاته، سواءٌ كان دعاءَ عبادةٍ أو دعاءَ مسألةٍ، وهو أيضًا مسلكٌ نبويٌّ، فالناظر في دعوات الأنبياء عليهم السلام، وخاصّةً سيّدهم وإمامهم صلى الله عليه وسلم وجدها كذلك.

هذا التعبير -أي الدعاء- أحرى من قولهم: التخلّق بأسماء الله؛ لأنّها مأخوذةٌ من أقوال

---

(١) جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، (٨٢/٢).

الفلاسفة الناحين نحو التشبّه بالربّ قدر المستطاع، وأفضل منها قول: التعبّد لله، وأجود منها المقولة الموافقة للقرآن وهي: الدعاء؛ لاشتمالها على التعبد والسؤال[١].

إنّ دعاءَ الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والعملَ بما دلّت عليه من معانٍ؛ داخلٌ ضمن معاني الإحصاء لها الوارد في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائةً إلّا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنّة»[٢]، وهي أعلى درجات الإحصاء، وبقدر ما يأتي به العبد مِن عملٍ بهذه الأسماء يكون حصولُه على الثواب، ويكون نقصُ ثوابه بحسب ذلك[٣].

ومن الواجب إلحاقُ العلم العملَ وإتْباعُه به؛ فإنّ العلم هو أساسُ الدين والعبادة، وقد أمر الله به ابتداءً ثمّ ثنّى بالعمل، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩]، من الآية نستدلّ على فضل العلم، وأنّه "الحاكم، المفرّق بين الشكّ واليقين، والغيّ والرشاد، والهدى والضلال، وبه يُعرف الله، ويُعبد، ويُذكر، ويُوحد، ويُحمد، ويُمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون، به تُعرف الشرائع والأحكام، ويتميّز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب، وهو إمام، والعمل مأموم، وهو قائد، والعمل تابع"[٤].

والعمل ثمرةُ العلم ونتاجه، وعليه المعوّل لنيل أجره وبلوغ ثوابه[٥]، وهو دليلٌ على عقل

---

[١] انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (١/١٦٤).

[٢] سبق تخريجه: (ص: ٤٩).

[٣] انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر (١١/٢٢٧)، (١٣/٣٧٨).

[٤] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٢/٤٣٩)؛ وانظر: أخلاق العلماء، محمد الآجري (ص: ٤٧).

[٥] انظر: اقتضاء العلم العمل، أحمد البغدادي (ص: ٣٢).

صاحبه وصحّة فهمه؛ فمن معاني العقل العمل بموجب العلم[(١)]، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم:١٢]، قال النووي ﷺ[(٢)]: (الحكمة: العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحقّ للعمل به والكفّ عن ضدّه، والحكيم من حاز ذلك)[(٣)].

ومن قواعد أهل السنّة وأصولهم: أنّ الإيمان قولٌ وعملٌ، فالقول للقلب واللسان، والعمل للقلب واللسان والجوارح[(٤)]. ثم إنّ ركنا الإيمان هذين متلازمان لا إمكان لانفكاكهما ولا انفصالهما؛ لأنّه متى ما "قام بالقلب التصديق به والمحبّة له؛ لزم ضرورة أن يتحرّك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجبُ ما في القلب ولازمُه، ودليلُه ومعلولُه، كما أنّ ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضًا تأثيرٌ فيما في القلب، فكلٌّ منهما يؤثّر في الآخر لكن القلب هو الأصل، والبدن فرعٌ له، والفرع يستمدّ من أصله، والأصلُ يثبت ويقوى بفرعه. كما في الشجرة التي يضرب بها المثل لكلمة الإيمان"[(٥)]، يقصد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ

---

(١) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، أحمد بن تيمية (ص: ٢٥٠).

(٢) أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين، ولد سنة ٦٣١هـ، كان حافظاً فقيهًا شافعيَّ المذهب، سمع من: الرضى بن البرهان، وابن عبد الدائم، والزين خالد وغيرهم كثير. وروى عنه: ابن العطار، والمزي، وابن أبي الفتح، وجماعة كثيرة. له مصنفات عديدة منها: المنهاج في شرح مسلم، الأذكار، رياض الصالحين، الأربعين حديثًا، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد الذهبي (١٥/٣٢٤-٣٢٩)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكري (١/٥٥-٥٧).

(٣) نقله ابن حجر في فتح الباري، (١/٤٦١).

(٤) انظر: العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، أحمد بن تيمية، (ص: ١١٣).

(٥) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٧/٥٤١)؛ وانظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١/١٢٩).

طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

إذًا الآثار السلوكيّة متعدّدة، قد تكون باطنيّةً قلبيّةً هي لازمُ الإيمان الحقِ الصادق باسم الله (الفتّاح)، تملأ قلب المؤمن وتغشاه، وقد تكون أعمالًا صالحةً زاكيةً ظاهرةً تأتي تبعًا لذلك الإيمان الذي وقَر في صدر صاحبه، وهي خمسة عشر أثرًا على النحْو الآتي:

الأثر الأول: زيادة وتكميل الإيمان بالله الذي هو أصل كل علم نافع:

ذلك أنّ للإيمان بالله تعالى مواردَ يردها العبد؛ لأجل الحصول عليه وتأسيسه أولًا، ثمّ استكماله وإتمامه ثانيًا، وهذا من الواجب على المسلم؛ لأنّ كماله متعلّق به، وبه رفعته في الآخرة والأولى، ولهذا الإيمان أسبابٌ تقوّيه وتزيده، وتنقسم إلى قسمين: عامّ وخاصّ:

أمّا العامّ فهو: التدبّر في آياته الشرعيّة -الواردة فيها الأسماء الحسنى- والتأمّل في مخلوقاته الكونيّة.

والخاصُّ: وهو ما يختصّ ببعض الأمور، ومِن أولاها وأهمها: العلمُ بالأسماء الحسنى الثابتة في نصوص الكتاب والسنة، مع فهم معانيها على الوجه اللائق بالله تعالى، وفق منهج السلف الصالح[(١)]، إنّ كلّ "مَن عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها؛ كان إيمانُه أكملَ ممّن لم يعرف تلك الأسماء، بل آمن بها إيمانًا مجملًا، أو عرف بعضها، وكلّما ازداد الإنسان معرفةً بأسماء الله وصفاته وآياته كان إيمانُه به أكملَ"[(٢)].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته هي أساس الإيمان وأصله، وهي رافده وداعمه.

إنّ معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته هي الهدى، ومن دلالات اسم الله (الفتّاح): أنّه الناصر، وقد جمعها الله تعالى لنبيه ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: ١-٣].

---

(١) انظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ص: ٧)؛ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٧/٢٣٣-٢٣٤).

وعلة ذلك؛ أنّهما الأصلان اللّذان بهما تكون سعادة الإنسان وفلاحه، إذِ الهدى هو: معرفة الله ودينه وما فيه من علمٍ نافع، وهذه هي الحجّة والبيان، والنصر هو: العمل على تطبيق دين الله، ومراغمة أعداءه، وهذا هو السيف والسِّنان، فمتى اجتمع هذان الأصلان فقد تمّت الدعوة وظهر الدين، ومثله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥]، فالهدى في إرسال الرسل وإنزال الكتب، والنصر في إنزال الحديد(١) فكلُّ مَن بلغه الهدى، وعرف ربّه بأسمائه وصفاته، ثمّ عبده بها؛ فإنّه سيكون له حظٌّ من نصره، وفتحه، وعونه، متى ما استقام على الطريق ولزم الأمر واجتنب النهي.

الأثر الثاني: عبوديّة محبّة الله تعالى:

هذه العبادة التي لا تكون إلّا بموافقة القلب لمراد الله ومراضيه، وبها يتمثّل حقيقة الإسلام والاستسلام لله تعالى بالطاعة والذلّ له سبحانه(٢).

وستظهر أماراتها وتُرى علامتُها على الفرد المسلم حين يُؤمن بأسماء الله الحسنى حقَّ الإيمان، ومنها اسمه (الفتّاح).

فالناظر بعين بصيرته ليرى آثار اسم الله (الفتّاح) في الكون:

- يرى فتحه قلوب المؤمنين، وإنارة بصائرهم بتوحيده والإيمان برسوله، وفتحه لهم بالنصر وعلى أعدائهم بالهزيمة، وفتحه على خلقه أبواب فضله ورزقه، فتتجلى له قدرة الله، ونفاذ أمره.
- ويرى فتحه عليهم بأقداره التي تكون مؤلمةً لهم أحياناً هي خيرٌ لهم؛ لما فيها من حكمةٍ وعاقبةٍ حسنة، فتتجلّى لهم في فتح الله عظمته، وكماله في صفاته، وأفعاله.

ومتى ما علم العبد من ربّه صفات العظمة والقدرة، وجلال الصفات وجمال الفعال؛ أحبّه وتألّهه وعبده، وقدَّم محابّ إلهه على محابّ نفسه، وجعلها تابعةً محكومةً لمحابّ ربّه، وهذه هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله؛ فالإله هو من تألّهه القلوبُ وتحبُّه(٣)، وبها يتمايز المؤمن من

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن القيم (٢/٤١٤-٤١٦).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/١٣-٢٧).

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أحمد بن تيمية، (٣/٢٧-٢٨)؛ القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي، (ص: ١١٤).

المشرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]، في الآية خطاب الله لعباده المؤمنين بكلامٍ يصف به المشركين، وكيف أنّهم جعلوا لأنفسهم أندادًا يحبونهم كمحبّة المؤمنين لله، وهذا دليلٌ أنّ ممّا يمكن المفارقة فيه بين المؤمن والمشرك هو محبّة الله من عدمها[1].

الأثر الثالث: عبوديّة الخوف من الله:

وهي مِن أعظم العبادات وأنفعها للقلب، فإنْ تذكر ما يخاف منه يوجب ترك المحارم والنواهي[2]، والإيمان باسم الله (الفتّاح) بحسب معناه اللائق به، يورث المسلم الخوف المحمود الناشئ عن العلم بربّه وأسمائه من عدّة جهات، منها:

● الخوف من تتابع النعم والأرزاق عليه في حال كونه مقيمًا على الذنوب والمعاصي؛ أن يكون ذلك استدراجًا من الله له ذلك أنّ الله تعالى أخبر عن أقوامٍ نسوا وتجاهلوا ما أمرهم الله به من الإيمان، أنّه فتح عليهم من الرزق أبوابًا، ومن الخير أصنافًا، استدراجًا لهم، فآتاهم العذاب بغتةً، فإذا هم آيسون من كلِّ خير[3]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٤]، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحبّ فإنّما هو استدراجٌ، ثمّ تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣/٢٨١)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (١/١٩٦).

[2] انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١/٥٠٧-٥٠٨).

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣/٢٥٦).

[الأنعام: ٤٤]»(١)، وقال الحسن البصري رحمه الله: (مُكِرَ بالقوم وربِّ الكعبة؛ أُعطوا حاجتهم ثمّ أخذوا)(٢).

● الخوف من سوء عاقبة عمله، والتنبّه لنفسه ومحاسبتها على أفعالها؛ خوفًا من أن يفتح الله عليه وفق سيّء عمله، فإن الجزاء من جنس العمل، وقد جاءت أدلّة شرعية في مثل هذا المعنى، فإنّ شعيب عليه السلام لما كذبه قومه، وأرجفوه وأخافوه، استفتح عليهم، ففتح الله على قومه بنظير ما أوعدوه به قال الله تعالى عنه: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [سورالأعراف:٨٩] فجاءهم العذاب بنظير ما توعدوه به(٣)، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ [الأعراف: ٧٨](٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين ٪، حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي ' (٣٨٥٦/٧)، برقم ١٧٥٨٤، حسنه الأرناؤوط في تحقيق المسند أحمد (٥٤٧/٢٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧٧٤/١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص: ٣٨)؛ وعبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (١٢٩١/٤).

(٣) "كما أخبر عنهم في سورة "هود" فقال: {وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤} [سورة هود:٩٤] والمناسبة في ذلك –والله أعلم– أنهم لما تهكموا بنبيّ الله شعيب في قولهم: {أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧} [سورة هود:٨٧] فجاءت الصيحة فأسكتتهم. وقال تعالى إخبارًا عنهم في سورة الشعراء: {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩} [سورة الشعراء:١٨٩] وما ذاك إلّا لأنّهم قالوا له في سياق القصة: {فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧} [سورة الشعراء:١٨٧]، فأخبر أنّه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس وخمدت الأجساد، {فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨} [سورة الأعراف:٧٨] " تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤٤٩/٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، (٤٤٨/٣).

وفي الحديث عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهنّ وأحدّثكم حديثًا فاحفظوه، قال: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلّا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلّا فتح الله عليه بابَ فقرٍ، أو كلمةً نحوها»(١)، فمن لم يقنع بما أعطاه الله، وذهب يفتح على نفسه باب مسألة الناس فليخف من أن يفتح الله عليه باب فقرٍ وذلّةٍ.

عن حرام بن معاوية رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَن وَلِي من أمر السلطان شيئًا ففتح بابه لذي الحاجة والفاقة والفقر؛ يفتح الله أبواب السماء لحاجته وفاقته وفقره، ومن أغلق بابه دون ذوي الحاجة والفاقة والفقر؛ أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وفاقته وفقره»(٢).

فليخف من أغلق دون الرعية، ولم يتفقّدهم بسؤاله من غلق أبواب السماء دونه.

● الخوف والاحتراس من التعجل في الاستفتاح وطلب العقوبة، فالله ذو حلم على عباده لا يعجل لهم العقوبة، ما لم يستعجلوا العذاب من قبل أنفسهم، ويسألوه قبل أن يأتيهم، فإن فعلوا ذلك استحقوا نزوله عليهم، وهذا علامة ضلالهم وشقاءهم قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ [إبراهيم: ١٥].

وقد أشار الله تعالى إلى بعض صفات ذلك العنيد فقال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ [ق: ٢٤-٢٦]، فمِن أخصِّ صفاتهم الشركُ بالله تعالى، وتركُ تعظيمه، والاستخفافُ به وبنذره، فاستعجلوا العذاب وبذلك استحقّوا نزوله(٣).

هذا هو شأن كفّار قريش حين قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢]،

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٦٩).

(٢) سبق تخريجه: (ص: ٧٠).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٤٢٣)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (٢/٢٤٤).

وقال تعالى: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾ [الأنفال: ١٩]، فالخير لهم هو تركُ الاستفتاح وسؤال العذاب، ومن قبلهم قوم هود كما أخبر عنهم الله تعالى قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ [الأحقاف: ٢٢](١).

● الخوف والحذر من موانع فتح أبواب السماء: كالتكذيب والاستكبار، فإنّ مَن كذّب بدلائل الله الواضحة وحججه الظاهرة، ثمّ استكبر بقلبه وأبى الانقياد بجوارحه كانت عقوبته من الله حرمانه من فتح أبواب السماء له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠]، والمراد أنّ أبواب السماء لا تفتح لأعمالهم في الدنيا فلا يصعد إلى الله منها شيء، ولا لأرواحهم بعد قبضها وخروجها من أجسادهم(٢).

شاهد هذا أيضًا حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «... وإنّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سُود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيّتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأٍ من الملائكة إلّا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟! فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمّى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يُفتح له، ثمّ قرأ رسول وسلم الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٥٤٦/١٦)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي، (٣٢/٣).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٢٣/١٢)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤١٤/٣).

﴿ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، ثمّ قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]»[١].

اختلفت القراءات في هذه الآية: فقرأ الكوفيّون[٢] بالتاء، وتشديد التاء الثانية (تُفتَّح) على معنى: أنّه لا تفتح لهم مرةً بعد أخرى وبابًا بعد آخر. وقرأ الباقون بالياء وتخفيف التاء (يُفتَح)، ووجه هذه القراءة: أنّ الأبواب لا تفتح لهم بفعلٍ واحدٍ ومرّةٍ واحدةٍ، وكلا القراءتين صحيحتا المعنى[٣].

● الخوف والحذر من الغفلة عن النذر، والإمعان في العصيان؛ فإنّه مدعاة لفتح أبواب العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦-٧٧]، هذا وإن كانت الآية نزلتْ في قريش، فإنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإنّ كلَّ مَن كان مقيمًا على الذنوب والمعاصي؛ فإنّه ولا شكّ ستأتيه من ربّه عظات مذكرات، لعلّه يتوب ويتذكر، وإلّا فإنّ العذاب مصيره، إلّا أن يتغمّده الله برحمته.

● الخوف من يوم الدين الذي سمّاه الله يوم الفتح الذي يجازي فيه العباد على أعمالهم قال تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٩]، فيُرى أثره عليه في تعامله مع الله ومع الناس، ففي تعامله مع الله يفعل الطاعات ويترك المحرمات، وفي تعامله مع الناس يُعرف فيه حسن الخلق وسلامة السلوك.

الأثر الرابع: عبوديّة رجاء الله تعالى:

وهذا الرجاء لا يكون أصلًا ولا يكمل تبعًا إلّا عند مَن عَرَف الله بأسمائه وصفاته، فيرجو

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين ٪، حديث البراء بن عازب ﷺ، (٤٢٢٢/٨)، رقم ١٨٨٣٢، قال عنه الأرناؤوط في تحقيق المسند: "إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح" (٥٠٣/٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٤٦/١).

(٢) وهم: حمزة وعاصم والكسائي.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٢٦/١٢).

العبد ربّه ويثق بجوده؛ لما يطالعه من كرمه ونعمه، فلولاه -أي الرجاء- لتعطّلت العبادات وأُوقفت[١]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨]، فهنا يعلّمنا الله تعالى أنّ من أعمال المؤمنين طمعهم ورجاءهم لفضل الله[٢]، لذلك فالمؤمنين الذين آمنوا بالله ربهم، وصدقوا باسم الله (الفتّاح) حقًا فإنّهم:

● يرجونه قبول عملهم وطاعتهم له، واتّباع أحكامه الشرعية، ويرجونه أن تكون سبب فتح الله الفتاح لهم أبواب الجنة بإذنه ليدخلوها؛ فيحصل لهم الأمن التام يوم القيامة، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ [ص: ٥٠]. فهي تفتح لهم بدون فعل يدٍ ولا جارحةٍ، إنّما بالأمر، فيقال لها: انفتحي، انغلقي[٣]، قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "وهذا دليل أيضًا على الأمان التام، وأنّه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها"[٤].

● ويرجون ربهم أن يكرمهم يوم القيامة بفتح أبواب الجنة حين حشرهم إليه وفدًا، وإهانة الكافرين بحشرهم إليه وردًا، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧١-٧٢]، وإنّما حذفت الواو في قوله: (فتحت) إشعارًا بتعجيل العقوبة لهم، وأنّ فتح أبواب النار في وجوههم بمجرد وصولهم أعظم في إيصال العذاب لهم وأبلغ، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا

---

[١] انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣٦/٢-٣٧)؛ (٤٣/٢).

[٢] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، (٣١٩/٤)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٢٧٦/١).

[٣] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، (٢٢٢/٢١).

[٤] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٧١٥).

خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ [الزمر: ٧٣]، ووجه إضافة الواو هنا هو الإعلام بأنّ الجنة سلعة الرحمن غالية الثمن لا يبلغها أحد، إلّا من قدم لنفسه من الأعمال ما يكون سبب لدخولها(١).

و" لم يذكر الجواب هاهنا، وتقديره: حتى إذا جاؤوها، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكرامًا وتعظيمًا، وتلقّتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء، لا كما تلقّى الزبانية الكفرةَ بالتثريب والتأنيب، فتقديره: إذا كان هذا سعدوا وطابوا، وسروا وفرحوا، بقدر كلّ ما يكون لهم فيه نعيم. وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كلّ مذهبٍ في الرجاء والأمل"(٢).

هذه العبادات الثلاث -المحبة والخوف والرجاء- هي المحركة والموجبة للعمل، وهي أركان العبادة التي أمر الله بها، وجاء بها الشرع، وقد جمعت في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧]. فابتدأ بالمحبة التي هي ابتغاء الوسيلة؛ لكونها أصلَ كلِّ العبادات، ثمّ ذكر الرجاء، ثمّ الخوف(٣).

لهذا فإنّه "ما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبّته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فسادًا لا يُرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيءٌ من هذه ضعف إيمانه بحسبه"(٤).

ولحاجة المؤمن إلى التوازن في عبادة الله تعالى، وجب عليه فعلُ الطاعة رجاء ثوابها، وتركُ المعصية خوفًا مِن عقابها، وعليه ألّا يغلّب الرجاء حتى يأمَن مِن مكر الله، ولا يغلّب الخوف

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٧٣٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (١٢١/٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، (٩٥/١)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣٦/٢).

(٤) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (٢١/١٥).

حتى يقنط من رحمة الله(١).

الأثر الخامس: عبوديّة شكر الله تعالى:

وموجبها هو: معرفة النعمة ومعرفة المنعم بها، وحينها يحبّ ويشكر، لذلك ارتفعت عن عبودية الرضا(٢).

من آثار الإيمان باسم الله (الفتّاح): أنّه يفتح على عباده الأرزاق الدينيّة والدنيويّة، والعبد يعلم أنّ كلّ ما عنده من نعمةٍ -إيمان، وعلم، وعمل، وهداية، ومال، وصحة، وولد- فهي من فتوحات الله عليه ورزقه له، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فيعترف بقلبه أنّها من الله، وينطق لسانه بذللك مثنيًا على الله، ويستعمل جوارحه في طاعة الله، فهذه أركان الشكر الثلاثة(٣).

● ويقرّ في نفسه بتفرّد الله تعالى بالفتح والعطاء والمنع، إنّ مفاتح الأمور ومغاليقها كلّها بيده سبحانه، وهو الذي يبسط لمن يشاء فضلًا، ويمسك عمّن يشاء عدلًا، لا مانعَ لما أعطى، ولا معطيَ لما منع، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢]؛ وهذا داع للعبد إلى شكره على نعمه وتفضله وإحسانه التي أعطاه الله إياها(٤).

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في كتاب إلى معاوية رضي الله عنه: أنّ النبي ﷺ كان يقول في دُبر كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ مِنك الجدُّ»(٥)، يتأول

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٤٩٧/١)؛ القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٢٣٢/٢-٢٣٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٣٤/٢)؛ القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي (ص: ١٤٠).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٤٣٦/٢٠)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٦٨٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، (١٦٨/١)، رقم ٨٤٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، (٩٥/٢)، رقم ٥٩٣ بنحوه.

الآية في سورة فاطر.

كان أبو هريرة ﷺ إذا أصبح، وقد مطر الناس يقول: (مطرنا بنوْءِ الفتح)[١]، ثمّ يتلو قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢])[٢]، وتخريج قوله هذا بأنّه في معنى قول رسول الله ﷺ: عن زيد بن خالد الجهني ﷺ: «مُطرنا بفضل الله وبرحمته»[٣]، وليس فيه ما يفهم منه أنّ المطر كان بنوْءٍ يسمّى الفتح[٤].

وهذا يزيد من تعلّق العبد بالله ﷻ، فيطلب منه كلَّ شيءٍ، ويعرف أنّ الخلق ليسوا سوى أسبابٍ سبّبها الله فلا يُتوجه إليهم بشيءٍ.

• ويجب شكر الله تعالى إذا نصر عباده المؤمنين، وفتح لهم أرضَ عدوهم، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "في هذه السورة الكريمة، بشارةٌ وأمرٌ لرسوله عند حصولها، وإشارةٌ وتنبيهٌ على ما يترتّب على ذلك... وأمّا الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره... وأمّا الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم

---

(١) النوء بالهمز وغير الهمز، وهي النجوم التي هي منازل القمر، انظر: جمهرة اللغة، محمد بن دريد (١/ ١٧٢) "وإنما سمي نوءا، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءا، أي: نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به." تهذيب اللغة، محمد الأزهري (١٥/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الاستسقاء، ما جاء في الاستمطار بالنجوم، (٢٦٨/١)، رقم ٦٥٥؛ والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب صلاة الاستسقاء، باب كراهية الاستمطار بالأنواء، (٣٥٨/٣)، رقم ٦٥٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، (١٦٩/١)، برقم: ٨٤٦؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، (٥٩/١)، رقم ٧١، بمثله.

(٤) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد البر، (٢٧٩/١٦).

يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره..."(١).

الأثر السادس: عبوديّة الصبر:

هذه العبادة الجليلة أيضًا من الآثار المرجوة ظهورها على العبد المسلم المؤمن باسم الله (الفتّاح).

وبه يكون الرشاد، فهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو ثلاثة أنواع: صبرٌ على طاعة الله. وصبرٌ عن معصية الله. وصبرٌ على امتحان الله(٢).

يرتبط اسم الله (الفتّاح) بجميع أنواع الصبر، فالله (الفتّاح) الذي يفتح بحكمه الشرعيّ الدينيّ، وهو قسمان: أمر ونهي، والتعبّد بامتثال الأمر هو الصبر على الطاعة، والتعبّد بترك النهي هو الصبر عن المعصية، ويفتح الله بحكمه القدري، يتعبّد بالصبر على الأقدار المؤلمة، وانتظار حسن الجزاء من الله يوم الفتح(٣).

إنّ لعبادتي الصبر والشكر مقامًا مكينًا في الدين، حتى جعل اجتماعهما هو الدين كلّه، واختصّ المؤمن بالاتّصاف بهما، فالإيمانُ شطران، فالأول هو الصبر والثاني هو الشكر(٤).

لهذا قرن الله سبحانه بينهما في كتابه العزيز أكثر من مرّةٍ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥]. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ [لقمان: ٣١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٣٦).

(٢) انظر: أمراض القلوب وشفاؤها، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (ص: ٥٤)؛ وله: قاعدة في الصبر، (ص: ٩٠)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم، (٢/١٥١-١٥٥).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٢/١٦٦)؛ وله: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٨).

(٤) انظر: قاعدة في الصبر، أحمد بن تيمية (ص: ٨٩)؛ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن القيم (ص: ٢٠٥)؛ وله: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٢/١٥١).

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه خيرٌ، وليس ذاك لأحدٍ إلّا للمؤمن، إنْ أصابته سرّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإنْ أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»[١].

وذكر ابن القيم رحمه الله عدّة اعتباراتٍ في وجه جعل الدين كلّه في هاتين العبادتين فقال: "الايمانُ اسمٌ لمجموع القول والعمل والنيّة، وهي ترجع إلى شطرين: فعلٍ وتركٍ، فالفعلُ هو العمل بطاعة الله وهو حقيقةُ الشكر، والتركُ هو الصبر عن المعصية....

وأنّ العبد لا ينفكّ عن أمرٍ يفعله ونهيٍ يتركه وقدرٍ يجرى عليه، وفرضُه في الثلاثة الصبرُ والشكرُ، ففعلُ المأمور هو الشكرُ، وتركُ المحظور والصبرُ على المقدور هو الصبرُ"[٢].

الأثر السابع: عبوديّة حسن الظنّ بالله:

من عرف الله تعالى بحسن أسمائه وكمال صفاته، فلا يسبق إلى ذهنه ولن يتبادر إلى فكره إلّا حسن فعل الله بخلقه، مع قوّة الثقة في الله والطمع فيما عنده[٣]، ولكلِّ اسمٍ من أسماء الله تعالى حسن ظنٍّ خاصٍّ به، وحسن الظنّ بالله وبأنّه فتّاح، فهو:

● حسن الظنّ بالله واليقين بأنّه لن يترك خلقه هملًا لا يأمرون ولا يُنْهَون، بل أنّه سيفتح عليهم بأحكامه الدينية الشرعية ويرسل لهم رسلًا وينزل عليهم كتبًا قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦].

● كلّ من آمن باسم الله (الفتّاح) أكثر من الطاعات وعمل الصالحات، وزجر نفسه عن السيئات، هذا هو حال المؤمنين، أما الكافرين فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فصلت: ٢٢] فلم يحملهم على قبح صنيعهم والسيء من فعلهم إلّا سوء ظنّهم بربّهم

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٨/٢٢٧)، برقم ٢٩٩٩.

[٢] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٠٨-١١٠).

[٣] انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ (ص: ٥٤١).

بأنّه لا يجازي على العمل ولا يحاسب على الزلل[(١)].

- أن يعلم المسلم أنّ الله (الفتّاح) إن فتح على قلبه وأعانه على فعل العبادة فسوف يجازيه عليها ويثيبه ولن يضيع له عملًا وهو الشكور سبحانه.
- ويحسن الظنّ بربّه أنه سيفتح له أبواب فضله ورحمته ورزقه كلّما دعاه ورجاه، وإن أصابه ضرّ وبلاء فإنّ ربّه سينجيه ويدفع عنه الضر.
- ويحسن العبد الظنّ بالله (الفتّاح) في نصر أوليائه وحزبه على الكفر ومعسكره.

وقد وصف ﷻ نصره لعباده المتقين بالفتح، ووصف إظهار عدوهم عليهم بالنصيب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ [النساء: ١٤١]، ذلك أنّ نصر المؤمنين هو عبارة عن فتحٍ يكون مقدّمة لفتوحات أُخر دائمة، وأمّا ما يكون للكافرين من إدالة ونصر فهو لا يعدو أن يكون نصيب مؤقت، وعرض زائل، ولهذا جاء منكرًا[(٢)]، فنصر المؤمنين فتحٌ من الله وتمكينٌ، والأخرى عرضٌ لن يدوم.

الأثر الثامن: عبوديّة التوكّل على الله تعالى:

كلّ مَن قام في قلبه معرفةُ الربّ باسمه (الفتّاح) أيقن بفتحه لعباده وكفايته له، وحينها نجهده قد تعلّق بالله وتوكّل عليه واعتمد عليه مع مباشرة الأسباب[(٣)]، والعلاقة بين المعرفة والتوكّل وثيقةٌ، والوشيجة بينهما وطيدةٌ، فالتوكّل "من أعمّ المقامات تعلّقًا بالأسماء الحسنى، فإن له تعلّقًا خاصًّا بعامّة أسماء الأفعال، وأسماء الصفات، فله تعلّقٌ باسم الغفار والتواب، وتعلّقٌ باسم الفتّاح والوهّاب.... وله تعلّقٌ عام بجميع الأسماء الحسنى. ولهذا فسّره مَن فسّره من الأئمّة

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن القيم (ص٢٥ -٢٧)؛ وله أيضًا: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٦٩/١)؛ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله (ص: ٥٨٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢١٠).

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١١٥/٢)؛ وله: الفوائد (ص: ٨٧).

بأنّه المعرفة بالله"(١)، فمَن علم بالله واسمه (الفتّاح) توكّل واعتمد عليه في إعانته في العمل بفتح الله الشرعيّ الدينيّ، وطلبه فتح أبواب الرزق، وفتح بصائر القلوب بالعلوم الربانيّة والحقائق الإيمانيّة.

● وتوكّل على الله نصرة الدين وعزّته، فإنّ من معاني اسم الله (الفتّاح) أنّه كتب النصر للمؤمنين، وجعل لهم العزة دون الكافرين، ووعدهم بذلك وعدًا حقًّا وقولًا فصلًا، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١].

غير أنّ ما يُرى اليوم من تسلّطٍ للكافرين على المؤمنين في بعض الأحوال يثير في النفس سؤالًا يقول: كيف ذاك وقد وعد الله بخلافه؟

فالجواب: أنّ ذلك الوعدَ سيكون في الآخرة يومَ القيامة، يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: "لا خلافَ بينهم -أي المفسرين- في أنّ معناه: ولن يجعل الله للكافرين يومئذ على المؤمنين سبيلًا"(٢)، يعني يوم القيامة، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقد يكون المراد أنّ ذلك في الدنيا، فلن يكون أبدًا أنْ يسلّط الله الكافرين على المؤمنين حتى يستأصلوا شأْفتهم بالكلّيّة، ويُمحى دين الله مِن على وجه الأرض، بل لا تزال طائفةٌ من المؤمنين على الحق منصورةً، لا يضرّهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم(٣)، ويؤيده حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتي سيبلغ ملكُها ما زُوي لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنّي سألت ربّي لأمّتي ألّا يهلكها بسنةٍ عامّة، وألّا يسلّط عليهم عدوًّا مِن سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنّ ربي قال: يا محمد، إنّي إذا قضيت قضاءً فإنّه لا يُردّ، وإنّي أعطيتك لأمّتك ألّا أهلكهم بسنةٍ عامّة، وألّا

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١٢٤/٢ -١٢٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٢٧/٩)؛ وانظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤٣٦/٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٤٣٧/٢)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢١٠).

أسّلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، أو قال: مِن بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»(١).

وإنّما يكون وعد الله للمؤمنين بالنصر والمعيّة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنفال: ١٩] على قدر التزامهم بالإيمان بالله ومقتضياته، فإنْ أدال الله عليهم عدوهم لهم فبسبب ما حصل منهم من تفريطٍ، وإلّا لم يُغلبوا(٢).

ومَن توكّل على الله حقّ توكّله فليبشر بكفايته وعونه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الطلاق: ٣].

الأثر التاسع: طمأنينة القلب:

إنّ مورد هذه الطمأنينة هو العلم والمعرفة بالله وأسمائه وصفاته، ثمّ معرفة دينه وشرعه، وبها يحصل سكونُ النفس واستقرار القلب(٣).

وهي مِن أعلى المنازل وأشرف الرتب فقد سألها نبيّ الله إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فكان مرادُه عليه السلام أنْ يجمعَ إلى علم اليقن الذي عنده عينَ اليقين فيكون الغيب عنده كالشهادة.

"فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقةٌ تَرِد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنّه جالسٌ بين يديه يسمع به ويُبصر به ويتحرّك به ويبطش به، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله، وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحَه إلى الله ويلين

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (١٧١/٨)، برقم ٢٨٨٩.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: ٣١٧).

(٣) انظر: الإيمان الكبير، أحمد بن تيمية (ص: ١٩٧).

جلدُه وقلبُه ومفاصله إلى خدمته والتقرّب إليه"(١)، ومَن عرف الله باسمه (الفتّاح) فإنّه:

● يطمئن إلى حكمه الكوني القدري فلا يجزع ولا يسخط، ويعلم أنّها كلها أقدارٌ من الله، وليس بمقدور أحد من الخلق صرفه عنه، فيسأله كشف ما نزل به بلاء ويطمئن قلبه للمصائب والأقدر لما يعلمه من حسن العوض يوم الجزاء(٢).

● ويطمئن إلى حكمه الديني، ممتثلًا لأمر الله وشرعه دون تقديم شيءٍ عليه ولا شهوة ولا شبهة ولا غيرهما، بل هو المقدّم والحاكم على ما سواه.

● ويطمئن إلى فتح الله لرسله وأوليائه من المؤمنين، وهذا الأمر هو المتقرّر في النفوس عند الأمم السابقة، ومن قبل مجيء النبي محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة: ٨٩]، هكذا كان حال اليهود قبل مبعث الرسول، فإنهم كانوا يستنصرون الله به على مشركي العرب قائلين: "اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون"(٣)، ولكنهم لما جاء الرسول الذي يعرفونه بصفته كما جاءت في التوراة أبوا أن يؤمنوا به، فاستحقوا لعنة الله جزاء كفرهم.

● ويطمئن إلى أن رزقه بيد (الفتّاح) وسيفتح عليه باب الرزق فلا يخشى فقرًا، وأنّ شفاءه بيد الله وسيفتح عليه باب الشفاء فلا يخاف مرضًا، وأنّ كل همّ أصابه فإن فتحه عند الله، وأنّ كلّ أمر منغلق عليه سيفتحه الله له لأنّ مفاتيح الأمور كلها بيده.

الأثر العاشر: عبوديّة التوبة:

هي من علامات إرادة الله بعبده الخير، فتح قلبه للتوبة، فتكون حينها أفضل من كثيرٍ من

---

(١) الروح، محمد بن القيم (ص: ٣٠٦)؛ وله أيضًا انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص: ٨٤)؛ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/٤٢٠)؛ التبيان في أقسام القرآن، (ص: ١١١).

(٢) انظر: الروح، محمد بن القيم (ص: ٣٠٨)؛ وله: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٢/٤٨٣).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (١/١٤١)؛ وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٢/٣٣٢).

غيرها من نوافل العبادات إنْ صدق مع الله[١]، وتكون عوناً له على الاستعداد للقاءِ الله الذي "هو مفتاح جميع الأَعمال الصالحة والأَحوال الإيمانيّة ومقامات السالكين إلى الله ومنازل السائرين إليه.... فمفتاح ذلك كلّه صدق التأَهّب والاستعداد للقاءِ الله، والمفتاح بيد الفتاح العليم لا إله غيره ولا ربّ سواه"[٢].

وثمرة الإيمان الحقّ باسم الله (الفتّاح) تلك المشاعر التي لا يخلو منها قلب المؤمن الصادق، والخوالج لا تنفك عنه، ألا وهي الشعور بإساءته وتقصيره في حقّ ربّه، وإقراره بذلك، يكون نتاجه ندمًا في قلبه يسمّى التوبة[٣]، وتتّضح في كلّ:

- مَن علم أنّه ما من رزقٍ عنده إلّا وهو مِن فتح الله عليه، فيوقن في نفسه أنّه لم يؤدّ شكرها كما ينبغي فيه من حقّ الله، فيتوب من تقصيره في شكرها.
- مَن علم أنّ كلّ بليةٍ من مصائب الدهر أصابته فهي مِن فتح الله القضائي عليه، فيتوب العبد إلى الله لعلمه أنّه لم يصبر عليها على الوجه الذي كان واجبًا عليه.
- مَن علم أنّ كلّ ما فتح الله عليه مِن أحكامٍ دينيّةٍ شرعيّةٍ، وطاعات ينبغي أن تكون لله مرعية، فإنّه وإن قام بها فإنّها لم تؤدّ على الوجه الذي ينبغي، فيتوب إلى الله من كيفيّة أدائه لها.
- مَن علم أنّ أعماله كلّها مكتوبة ومحصية عليه، وأنّ الله الفتاح الديان سيجازيه عليها في يوم الدين سيكون ذلك دافعًا له للتوبة منها مخافة أن يحاسب عليها.
- مَن علم أنّ لقبول التوبة زمنًا محدودًا، فعليه المبادرة إليها، وإيقاعها في زمانها، إمّا قبل موته، أو قبل يوم الفتح، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٩]، وذلك يوم القيامة لأنّه أصبح إيمان اضطرار واجب لما رأوه

---

[١] انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف محمد بن القيم (ص: ٣١)؛ وله أيضًا انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٦).

[٢] طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن القيم (ص: ١٧٧).

[٣] انظر: أمراض القلوب وشفاؤها، أحمد بن تيمية (ص: ٣٩)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١/١٩٦)؛ الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح، (١/٥٥).

بأعينهم، ولم يكن إيمان بالغيب[١]، إذًا الإيمان عند انكشاف الغيب غير نافع صاحبه، لأنّ القصد بالتوبة هو الندم على ما كان، والعزم على عدم العودة من العاقل المختار، أمّا من تاب وآمن بعد كشف الغطاء فإنّ توبته توبة مغلوب مقهور[٢].

الأثر الحادي عشر: عبوديّة الفرح والسرور بالله ﷻ:

هذه العبادة لا شكّ أنّها ستكون في قلب كلِّ مسلمٍ مؤمنٍ باسم الله تعالى الفتاح؛ لأنّ الفرح لا يكون إلّا بحصول المحبوب، وعلى قدر صفو القلب وصفائه يكون فرحه بالله، فالفرح بالله أمارةٌ على ما في القلب من محبّة الله وتعظيمه[٣]، ولذلك أثنى على مَن عمل به من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦]، فكيف بمَن كان مِن أهل توحيده.

وهو أعظم مقامات الإيمان وأعلى درجات العارفين بالله، فهو فرحٌ بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ورسوله وكتابه ودينه يثاب عليه العبد.

قال ابن القيم ﷺ: "ورأيت شيخ الإسلام -قدس الله روحه- في المنام وكأنّي ذكرت له شيئًا من أعمال القلوب. وأخذت في تعظيمه ومنفعته -لا أذكره الآن- فقال: أمّا أنا فطريقتي: الفرح بالله والسرور به، أو نحو هذا من العبارة"[٤].

تظهر علاقة الفرح بالله، وتعلّقها بالإيمان باسم الله (الفتّاح) فيما يلي:

- فرح المؤمن بما فتح الله على قلبه من إيمان به ومعرفته وإخلاص العبودية له، وأنّه محض

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٣/٦٠٤).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، (٨/٩٧)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٣/٦٠٤).

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (٣/١٥٦)؛ وله: الروح، (ص: ٣٣٩-٣٤٠).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/١٧٤)؛ المستدرك على مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (١/١٥٣).

فضل منه تعالى فيفرح به، ويفرح بربه أن يسر له الطاعة وهيئ له أسبابها، فهو فرح بالسبب وبالمسبب[١].

● وفرح المؤمن بأحوال ستأتي يكون المسلم فيها أشدّ فرحًا من ذلك كله، وهو في اليوم الآخر حين يحكم الله تعالى بفتحه الجزائي، عند مفارقة الدنيا، وخروج الروح من الجسد وتفتح أبواب السماء لها وتصلي عليها ملائكة السماء وتشيعها مقربيها لها إلى السماء الثانية حتى تبلغ السماء السابعة[٢].

● "هذا كله قبل الفرح الأكبر يوم حشر الأجساد: بجلوسه في ظل العرش، وشربه من الحوض، وأخذه كتابه بيمينه، وثقل ميزانه، وبياض وجهه، وإعطائه النور التام والناس في الظلمة، وقطعه جسر جهنم بلا تعويق، وانتهائه إلى باب الجنة وقد أزلفت له في الموقف، وتلقي خزنتها له بالترحيب والسلام والبشارة، وقدومه على منازله وقصوره، وأواجه وسراريه بعد ذلك فرح آخر لا يقدر قدره، ولا يعبر عنه تلاشي هذه الأفراح كلها عنده، وإنما يكون هذا لأهل السنّة المصدقين برؤية وجه ربهم ﷻ من فوقهم، وسلامه عليهم وتكليمه إياهم ومحاضراته لهم"[٣].

الأثر الثاني عشر: تعظيم أحكام الله تعالى:

وهذا الأثر قويّ الصّلة باسم الله (الفتّاح)، شديد التَّعلُّق به وذلك أن الله الفتاح يفتح على عباده بأحكامه الدينية الشرعية، وهذه الأحكام ليس مقتصرة على العبادات فحسب، بل هي شاملةٌ لجميع ما يحتاجه المسلم في علاقته مع ربّه من قربات وطاعات، وعلاقته مع الخلق من معاملاتٍ وفضِّ نزاعاتٍ، وغيرها من حدود وسلوك وأخلاق.

هكذا تظهر لنا مكانةُ أحكام الله الدينيّة الشرعيّة، وتتجلّى لنا ضرورة العمل بها، فهي

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن القيم (١٠٦/٣)؛ وله: الروح (ص: ٣٤٠).

(٢) انظر: الروح، محمد بن القيم (ص: ٣٤١).

(٣) المصدر السابق، (ص: ٣٤١-٣٤٢).

أحكامٌ من ربّنا وخالقنا اللطيف بنا العالم بما يصلحنا الخبير بأحوالنا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، فعلى كلِّ مَن آمن بالله (الفتّاح) الذي يفتح على خلقه بأحكامه الدينيّة أن:

• **ينقاد لأحكامه وشرعه**، وهذا أحد شروط شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله التي، لا تصحّ ولا تتمّ إلّا بها، انقيادًا منافيًا للترك، ظاهرًا وباطنًا، بفعل المأمور وترك المنهي كما جاءت به الرسل(١)، فلا يعارضها برأي ولا اجتهاد ولا غيرهما.

• **يرد التنازع والاختلاف** إلى نصوص الكتاب والسنة، فإنّ فيهما أحكام الله الدينية التي فرضها على المؤمنين، على حد قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]، أي: إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه ﷺ إن كان الحكم فيهما، فإن لم يوجد فوسيلته الاجتهاد كونه مستندًا عليهما(٢).

• **يترك البدع** ومحدثات الأمور لعلمه أنّها ليست ممّا فتح به الله من أمور دينية معلومة من الدين، وأن من عمل بها فهو مضاد لحكم الله مناهض له، قد عارض الشرع بالعقل وحسن ما قبحه الله(٣).

• **يشعر بالاعتزاز بالدين** وبأحكامه التشريعية الكاملة الشاملة الوافية بحاجات البشر في كلّ مكان وزمان المراعية لمصالح العباد، ذلك أنّها من حكم الله وفتحه الكوني.

إن ظهور الآثار الشاملة للاسم في أعمال القلب والسلوك، وفيما يتعلق بالفرد والجماعة، حتمي لكل من آمن به حق الإيمان.

الأثر الثالث عشر: لزوم التمسك بالعبادة زمن الفتن وتأكده:

إنّ الله (الفتّاح) سينصر عباده المؤمنين ويفتح لهم أرضَ عدوّهم، وحينها تُفتح على الأمّة

---

(١) انظر: ثلاثة الأصول، محمد بن عبد الوهاب، (١٨٩/١)؛ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن (ص: ٩٢).

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد البغوي (٦٥٤/١)؛ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير (٣٤٥/٢-٣٤٦).

(٣) انظر: الاعتصام، إبراهيم الشاطبي (٢٠٤/١).

خزائن الأرض، ويملّكهم الله كنوزَ الأمم قبلهم، وقد قرن النبيُّ بين فتح الله الخزائن على الأمّة وبين الفتن؛ لأنّ الغنى وكثرة المال في الغالب هو مظنّة التقاتل، ومنع الواجب، وبطر الحقّ، وانشغال بالدنيا ونسيان المنعم وتلهّي بالنعم.

لكن النبيّ وهو الذي لم يترك أمرًا فيه خيرٌ للأمّة إلّا دلّها عليه ندب نساءه ومَن بلغه الخبر مِن بعدهنّ بقيام الليل، وفي هذا التوجيه النبويّ إشارةٌ منه بأنّ المنجي من الفتن هو العبادة من قيام الليل وما فيه من ذكرٍ ودعاءٍ وقراءةِ قرآنٍ[1]، عن أمّ سلمة ﵂: أنّ النبيّ ﷺ استيقظ ليلةً فقال: «سبحان الله، ماذا أُنزل الليلة من الفتنة، ماذا أُنزل من الخزائن، مَن يُوقظ صواحب الحُجرات، يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة»[2].

والله (الفتّاح) سيفتح على الأمّة فتنًا كبرى، وممّا ينجي منها: التعوّذ بالله منها، عن زيد بن ثابت ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: أنّ النبيّ قال: «تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوّذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال»[3]، فهذا أمرٌ من النبيّ بالاستعاذة بالله من الفتن عامّتها، ومن فتنة الدجال خاصّة.

الأثر الرابع عشر: عبوديّة الدعاء:

إنّ توجّه العبد إلى الله سبحانه بقلبه سائلًا حاجاته متأمّلًا فضله؛ هو لبُّ العبادة ومخّها، والدعاءُ مِن العبادات التي لا ريبَ من ضرورةٍ كونها باديةً على العبد المؤمن باسم الله (الفتّاح)، وهذا الأثر يتضمّن صورتي الدعاء، وهما:

الصورة الأولى: دعاء المسألة: قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]، ومَن آمن باسم الله (الفتّاح) وأنّه متّصف بالفتح فليتوجه إليه بالدعاء مفتقرًا لصلاح حاله وأمر معاشه ومعاده، فإنّه سبحانه قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن:

---

[1] انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد المباركفوري (٦/٣٦٦)؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العيني (٢/١٧٤).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب تحريض النبي ‘على صلاة الليل والنوافل، (٢/٤٩)، رقم ١١٢٦.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، (٨/١٦٠)، رقم ٢٨٦٧.

٢٩]، "وهو مَسْأَلُ حاجات الصالحين، ومنتهى شكواهم، وصريخ الأخيار... يجيب داعيًا، ويعطي سائلًا أو يفكّ عانيًا، أو يشفي سقيمًا"(١).

وكان مِن فعل النبيّ دعاءُ الله تعالى بالفتح، وقد ورد ذلك **في صيغٍ عديدةٍ** عن أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك»(٢)، وعن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: هذا ما سأل محمّد ربّه... «اللهمّ إنّي أسألك فواتح الخير وخواتمه، وجوامعه، وأوله، وظاهره، وباطنه، والدرجات العلى من الجنة، آمين» (٣)، وقال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله ربّ العالمين، اللهم إنّي أسألك خيرَ هذا اليوم، فتحَه ونصرَه، ونورَه وبركتَه وهداه، وأعوذ بك من شرّ ما فيه وشرِّ ما بعده...»(٤).

الصورة الثانية: دعاء العبادة: وذلك بدعاء الله باسمه (الفتّاح) وبالصفات المتضمنة لاسم الله (الفتّاح).

بأنْ يتعبّد الله باسمه (الفتّاح) بالصفات المتضمّنة فيه حتى تظهر آثاره عليه في تعامله مع الخلق، كما ظهرت آثارها ومقتضياتها في الخلق والكون، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فمن المعاني المستقاة من هذه الآية قول ابن القيم -رحمه الله- : "أحبّ خلقه إليه مَنِ اتّصف بصفة الشكر، كما أنّ أبغض خلقه إليه مَن عطلها واتّصف بضدّها، وهذا شأن أسمائه الحسنى أحبّ خلقه إليه مَن اتّصف بموجبها، وأبغضهم إليه مَنِ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري (٣٩/٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، (١٥٥/٢)، برقم ٧١٣.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، الدعاء الجامع، (٥٢٠/١)، رقم ١٩١٧؛ والطبراني في المعجم الكبير، مسند النساء، ذكر أزواج رسول الله ، أم سلمة -ما أسندت أم سلمة- عاصم بن أبي عبيد عن أم سلمة، (٣١٦/٢٣)، رقم ٧١٧، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وسكت عنه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: "ورجال الأوسط ثقات" (١٧٦/١٠).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه أبي داود، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، (٤٨٣/٤) برقم ٥٠٨٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٢٥/١).

اتّصف بأضدّادها"(١)، فربّنا سبحانه يُحبّ من خلقه، كذلك ويبغض ما يضادّ وينافي آثار أسمائه وصفاته.

والمقصود بذلك الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتّصف بمقتضاها، بخلاف الصفات المختصّة بالله كالخلّاق والرّزاق والإله ونحو ذلك، لأنّ هناك من اطّراد ذلك وادّعى إمكان ذلك في جميع الأسماء والصفات(٢)، فمعلوم حرمة القول بالاتّصاف بما يختصّ بالله من صفات الكبرياء والعظمة.

فيتّصف العبد بصفة الفتح بين الناس بأنْ يفتح لهم ما أُغلق عنهم من الحقّ إذا اختصموا إليه ويرشدهم إلى الصواب فيما تنازعوا فيه.

ويفتح على مَن تحت يده ممّن استرعاهم الله إيّاه بالنفقة عليهم، عن عمر ﵁ قال: (كانت أموالُ بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّة، وكان ينفق على أهله نفقة سنته ثمّ يجعل ما بقي في السلاح والكراع(٣) عدّةً في سبيل الله)(٤)، فهذا رسول الله لما فُتحت عليه خيبر ادّخر لأهله من القوت ما يكفي لسنة.

وإن كان واليًا فليفتح على فقراء الرعية في أرزاقهم بحسب قدرته، وليوسّع عليهم حسب طاقته، عن أبي هريرة ﵁ أنّ رسول الله ﷺ: «كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين، فيسأل: هل ترك لدينه فضلًا؟ فإنْ حُدِّث أنّه ترك لدينه وفاءً صلّى، وإلّا قال للمسلمين: صلّوا على صاحبكم. فلمّا فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفّي من المؤمنين فترك دينًا فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فلورثته»(٥).

وعلى المسلم الحرص أن يكون في كلّ عمله مفتاحًا للخير سباقًا إليه، ويحترز أن يكون

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٨٢-٢٨٣)؛ وانظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٤)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أحمد بن تيمية (٤٢١/١).

(٢) كأبي حامد الغزالي في المقصد الأسنى (ص: ٤٥)؛ وله: إحياء علوم الدين، (٣٠٦/٤).

(٣) أحد الأسماء التي تطلق على الخيل، انظر: العين (٢٠٠/١)؛ جمهرة اللغة، محمد بن دريد (٧٧١/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه، (٣٨/٤)، رقم ٢٠٩٤؛ ومسلم في صحيحه صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء (١٥١٩/٥)، رقم ١٧٥٧.

(٥) سبق تخريجه: (ص: ٦٧).

مفتاحًا للشرّ سبّاقًا إليه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مِن الناس مفاتيحَ للخير مغاليقَ للشرّ، وإنّ مِن الناس مفاتيحَ للشرّ، مغاليقَ للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيحَ الخير على يديه، وويلٌ لمن جعل الله مفاتيحَ الشرّ على يديه»[١].

ويتّصف العبد بصفة العدل حين فتحه بين المتخاصمين دون ميلٍ لأحدٍ المتحاكمين دون خصمه، ويجتهد في إعطاء كلِّ أطرافِ القضيّة حقّه دون إجحاف، وفق ما قضت به النصوص في كتاب الله وسنّة رسوله، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (ويلٌ لديّان مَن في الأرض مِن ديّان من في السماء يومَ يلقونه، إلّا من أمر العدل وقضى بالحقّ، ولم يقضِ على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغب ولا على رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه)[٢].

ويتّصف العبد بصفة العلم فلا يفتح بين الناس إلّا إذا كان "عارفًا يحمل علم الكتاب والسُّنّة وإجماع الأمة، واختلاف أئمة السلف. فقيهَ النفس، يعقل وجوه القياس إذا ورد، ويعرف اللغة إذا سمع. عالما بتخريج الأخبار، إذا اختلفت، وترجيح أقاويل الأئمة إذا اشتبهت"[٣]، فالعلم لازمٌ لمن أراد الفتح بين الناس حتى يقع حكمه مطابقًا لما في الشرع.

الأثر الخامس عشر: التسمية باسم عبد الفتاح:

إنّ الإنسان يتأثّر باسمه الذي سمّي به، ولذلك ينبغي مراعاة حسنه عند اختيار الاسم للمولود باختيار الأسماء الحسنة له، ومنها الأسماء المعبدة لله تعالى لتضمّنها معنى العبودية لله، وإشعارُ المسلم بلزوم التعبّد، والتذلّل والخشوع لربّه وخالقه.

ولما جاء الإسلام وقد كان العرب يتسمّون بالأسماء المعبدة لأصنامهم: كعبد الات

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب من كان مفتاحا للخير، (١/١٦٠)، رقم ٢٣٧؛ والطيالسي في مسنده أبواب السنة، باب من كان مفتاحًا للخير، (٣/٥٥٦) برقم: ٢١٩٥ بمثله، وقال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: "حسن بمجموع طرقه" (٣/٣٢١).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب آداب القاضي، باب إثم من أفتى أو قضى بالجهل، (١٠/١١٧)، برقم: ٢٠٤١٨؛ وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب البيوع والأقضية، في الحكم يكون هواه لأحد الخصمين، (١١/٥٩٤)، برقم ٢٣٤١٦.

(٣) أدب القاضي، أحمد الطبري، أحمد بن أبي أحمد الطبري، (١/٩٨).

وعبد العزّى، جاء الإسلام ونسخ كلَّ ذلك وأمرهم بتغيير أسمائهم(١).

فلأجل مراعاة هذه المعاني فإنّ العلماء "اتّفقوا على تحريم كلِّ اسمٍ معبد لغير الله ﷻ: كعبد العزى وعبد هبل... وما أشبه ذلك"(٢)، وكيف يعبَّد الاسم لغير الله سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

وقد أخبر النبي -ﷺ- بأحب الأسماء عند الله، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أحبّ أسمائكم إلى الله عبدُ الله وعبدُ الرحمن»(٣)، ووجه ذلك هو ما اشتملت عليه من المعاني وأوصاف الألوهّية والرحمة الواجبة لله، وما فيها من وصف العبوديّة اللائق للإنسان، ثمّ أضيف العبد لسيّده والمخلوق لخالقه، فصدقت جميع تراكيب الاسم حال الإفراد وحال التركيب وحازت على هذه المزية، ومثلها كلّ الأسماء التي على نهجها، ومنها: عبد الفتاح(٤).

وبعد فإنّ هذه الآثار والعبادات الناتجة عن الإيمان باسم الله (الفتّاح)، فإنّ كلَّ مَنِ ابتدع وخالفَ المنهج فهو محرومٌ منها ممنوعٌ من التلذّذ بعبادة الله بها، وأيُّ حرمان أشدُّ من ذلك وهي مِن نعم الله تعالى على المؤمنين الذين اتّبعوا هديَ كتابه وسنّة رسوله، فأثبتوا لله أسماءً وصفاتٍ تليق بجلاله وعظمته، أثمرتْ لهم عبوديّةً لله، جازاهم الله بها جنات عدن: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) انظر: السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، عبد الله بن جبرين (٢/٣٨١-٣٨٣).

(٢) مراتب الإجماع، علي بن حزم (ص: ١٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، (٦/١٦٩)، رقم ٢١٣٢.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد القرطبي (٥/٤٥٣)؛ المسائل العقدية المتعلقة باسم الله الفتاح جمعًا ودراسة، عبد الكريم الرحيلي (ص:٦).

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث، وأنا في ختام الأمر، وتمام القصد، فإنيّ أحمد الله تعالى على ما تفضّل به عليّ وأكرم وأنعم مِن إتمام البحث بعونه وتوفيقه، وهذه خاتمته المشتملة على:

أولًا: نتائج البحث

يسرني في نهاية المطاف عرض ما خلصت إليه في بحثي من محصلات عقدية ونتائج علمية على النحو التالي:

أولًا: اسم الله (الفتّاح) من الأسماء الثابتة لله تعالى، وقد جاء في القرآن الكريم بصيغة الاسم مرة واحدة، ولكن لم يرد في السنّة النبويّة في حديثٍ مقبول.

ثانيًا: إنّ المعاني التي تحمل عليها الاسماء في حقّ الله ﷻ متعدّدة، وقد اشتهر السلف رحمهم الله في بيانها وإعلام الناس بها.

ثالثًا: تنوّع الدلالات التي جاءت فيها النصوصُ المثبتة لاسم الله (الفتّاح)، وصفة الفتح، ومِن أهمّها أنّه تعالى: الحاكم والقاضي والناصر.

رابعًا: للفتح الشرعي خصائص تميزه عن الفتح البدعي، وله أسبابٌ ينبغي الأخذ بها، وكذلك له موانعُ لا بُدّ من البعد عنها

خامسًا: لاسم الله (الفتّاح) علاقةٌ وطيدةٌ وصلةٌ وثيقةٌ بما بقي من مسائل العقيدة كأركان الإيمان بالله تعالى وفضائل الصحابة رضي الله عنهم ذلك أنّ مسائل العقيدة كُلٌّ متكاملٌ وعقدٌ منتظمٌ غيرُ متناثر.

سادسًا: تنكّب بعض الفرق المنتسبة للإسلام عن الطريق الحقّ في باب الأسماء والصفات عمومًا وفي اسم الله (الفتّاح) خصوصًا وصفة الفتح، فأتوا بآراءٍ وأقوالٍ مخالفين به ما جاء في الكتاب والسنّة كالشيعة الاثني عشرية والصوفيّة والأشاعرة.

سابعًا: وهذا متعلّق بما قبله وهو: تميّز السلف الصالح رحمهم الله الأسماء والصفات الشيخ ان غيرهم من الفرق بأنْ كانت مقالاتهم فيه موافقةً للأدلة الشرعية، متّسقةً مع النظر الصحيح، مؤتلفةً مع الحسّ والواقع، متوافقةً مع معاني اللغة العربية.

ثامنًا: إنّ الإيمان الصادق واليقين الجازم بأسماء الله تعالى -ومنها (الفتّاح) - له آثارٌ عظيمةٌ تنتج عنه ومآلاتٌ لازمةٌ حتميّةٌ لا تكاد تنفك عن كلّ مؤمنٍ بها، وهذه الآثار تكون قلبيّةً معرفيّةً وسلوكيّةً عمليّةً في دعاء المسلم لربّه بأسمائه، وتعامله مع غيره من خلقه أفرادًا وجماعات.

ثانيًا: توصيات البحث

بعد أنْ قرأتُ في هذا الباب، واطّلعت على كثير ممّا كتب فيه من بحوثٍ ودراساتٍ فإنّي أُوصي بمواصلة الكتابة في موضوعاته ومسائله المتصلة به، وممّا أراه حقيقًا بالبحث وجديرًا بالتناول كدراسةٍ مستقلّةٍ ما يلي:

أولًا: إتمام دراسة ما تبقّى من الأسماء الحسنى التي لم تُدرس بَعدُ دراسةً عقديّةً مؤصّلةً.

ثانيًا: إبراز التراث السلفي في باب الأسماء الحسنى خاصّة عن طريق:

١- دراسة جهود السلف عبر اختيار شخصيات مبرزة ومميزة في هذا العلم كالشيخ السعدي وبن عثيمين رحمهما الله.

٢- العناية بكتب السلف، وبيان منهجهم في التأليف أو المقارنة بين المؤلفات.

ثالثًا: دراسة تقويميّة لبعض الكتب المؤلّفة في شرح الأسماء الحسنى مِن قِبَل بعضِ مَن كانت عنده لوثةٌ من علم الكلام، فإنّ كتبهم تحوي الحقّ والباطل، والصحيح والسقيم، فينظر لما فيها من صوابٍ فيقرّر ويؤكّد، وإلى الخطأِ فيقوم ويصحّح، سواءٌ كان الخطأ في المنهج أو المضمون العلميّ، وأرشح هنا الكتب التالية:

١- الأسماء والصفات للبيهقي.

٢- المقصد الأسنى للغزالي.

٣- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي.

رابعًا: دراسة موسعة لمفهوم الفتح بين السلف والصوفيّة، من حيث حقيقته، ووسائله، وغاياته، وأسبابه، وآثاره.

خامسًا: البحث في معاني أسماء الله الحسنى عند الصوفية ودراستها دراسة مقارنة بما عند السلف رحمهم الله.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوي
- فهرس الآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس المصادروالمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
١. الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾	٢	٢٧
٢. البقرة		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ	٢١	٩٦
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ	٣٢	١٤٥
وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ	٥١	٢١٨
وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ	٧٦	٦٣، ٧٩
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ	٧٧	١٤٠
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ	٨٩	٣٠٥
قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ	٩٧	١٤٨
قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	١١١	١٩٦، ٢١١
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ	١٢٣	١٣٧
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ	١٢٧	١٤٠
وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ	١٦٣	٢١، ٢٧
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ	١٦٥	٢٩١
وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٢١٢	٢٣٤
وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ	٢١٢	٣٠٣
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	٢١٨	٢٩٦
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ	٢٥٥	٢٧
ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ	٢٥٧	٢٢٤
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ	٢٦٠	٣٠٤
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا	٢٦٩	١٤٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ	١	١٢٢
فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ	١٣	١٩٧
وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا	٣٨	٢٤
فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ	٤٢	١٥٨
وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ	٤٣	١٥٥
وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ	٤٧	١٥٥
وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ	٤٨	٢٦، ١٥٥
وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ	٤٩	١٥٦
فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ	٥٢	٦٤، ٨٢، ٨٣
فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ	٥٢	٩١
فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ	٥٢	١٤٧
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ	٥٥	١٨٦، ١٨٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ	٦٧	١٨٦، ١٨٨
٦. الأنعام		
هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ	٢	١٥٠
وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ	١٨	١٤٥
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ	٤٢	٢٩١
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ	٤٤	٤٨، ٦٤، ١٨٦
فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ	٤٤	١٨٦
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ	٤٤	٢٤١، ٢٤٢، ٢٩١
وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ	٥٩	٦٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ	٩٦	٦٤، ١٠٠
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	١٥٦	١٤٤
وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ	١٥٧	٢٢٧
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ	١٨٠	٢
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا	١٨٠	٢٠، ٣٨، ١٨١، ٣١١
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ	١٨٠	١٦، ٢١١، ٢٤٠، ٢٨٦
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ	١٨٠	
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ	١٩٧	١٢١
٨. الأنفال		
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ	٩	١٥٢
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ	١٠	١٥١
وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ	١٧	٢٢٩، ٢٣٢
وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ	١٧	٢٣١
إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ	١٩	٤٦، ٨٣
إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ	١٩	٦٤، ٢٩٤
وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ	١٩	٣٠٤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ	٢٤	٢٧
وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ	٣٢	٢٩٣
فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا	٦٩	٧٨
٩. التوبة		
لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ	٢٥	١٥٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ	٣١	٢٢٧
نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ	٦٧	١٥
أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ	١٠٩	١٩٠
ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ	١١٧	٥٣
١٠. يونس		
قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ	٣٥	١٢١
أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ	٦٢	٩٩، ٢٢٤
وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ	٩٩	١٤٤
١١. هود		
فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ	١٤	١٤٠
أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ	٣٦	١٠٠
وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ	٤٥	٣٥
١٢. يوسف		
فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا	٣١	٢٣١
وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ	٦٥	٤٨
وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ	٧٦	٢٢٠
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ	١١٠	١٦٠
١٣. الرعد		
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ	٣٦	٣٠٧
وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ	٤١	١٢٠
١٤. إبراهيم		
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ	٥	٣٠٠
لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ	٧	٢٩٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ	١٢	١٠٢
وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ	١٥	٧٧، ٢٩٣
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ	٢٤	٢٨٨
يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ	٢٧	١٦٢
١٥. الحجر		
وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ	٢١	٣١٠
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ	٧٥	٩٥
١٦. النحل		
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	١١	١٠٩
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ	١٣	١٠٩
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ	٣٦	٩٧
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	٥٠	١٥١
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ	٥٠	٢٣٥
وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ	٥٣	٢٩٨
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ	٦٠	١٤٦
فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	٧٤	٣٣
وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ	١٠١	٢٧٣
١٧. الإسراء		
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ	١	٣١
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا	١٥	١٩٢
۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ	٢٣	١٢٢
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ	٥٧	٢٩٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٣. المؤمنون		
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ	١٢	٢٣٩
أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ	٦٨	٢٦
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ	٧٢	٣٥
وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ	٧٦	١٩٨، ٢٩٥
حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ	٧٧	٦٣، ١٩٤، ١٩٨
حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ	٧٧	٩١
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ	٩٩	٢٠٠
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	١١٥	٢٨٦
وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ	١١٨	١٣٦
٢٤. النور		
وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ	٦	٨٠
وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ	٤٨	١٥٨
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ	٥١	١٥٨
٢٦. الشعراء		
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ	١١٧	٧٢
فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ	١١٨	٦٣
٢٧. النمل		
أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ	٦٤	١٢٠
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ	٦٥	٩٧
٢٨. القصص		
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ	٧	٩٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا	٧٠	٢
٣٤. سبأ		
فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ	١٤	١٢٢
فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ	٢٣	١٥١
ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ	٢٣	١٥١
۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ	٢٤	٥٩
قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ	٢٥	٦٠
قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ	٢٦	٥٩، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٩١، ١٣٥، ١٨٤، ١٩١، ٢٠٧، ٢٤٦، ٢٥١
وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ	٢٦	٧٢، ٧٣
وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا	٢٨	٢١٢
٣٥. فاطر		
مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ	٢	٥٤، ٦٣، ٨٦، ١٣٥، ١٩٥، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٩٨، ٢٩٩
مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ	٢	٩١، ٢١٤
إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ	١٠	١٠٧
مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ	١٠	١١١

الآية	رقم الآية	الصفحة
٤٦. الأحقاف		
قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ	٢٢	٢٩٤
٤٧. محمد		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ	٧	١٥٦
فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ	١٩	٢٨٧
٤٨. الفتح		
إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا	١	٦٤، ٩١، ١٣٦، ١٧١، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٣٧
إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ	١	٢٣٧
إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا	١	٢٨٩
ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ	٦	٩٢
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ	١٠	٢٣١، ٢٣٢
۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ	١٨	٦٤، ١٠١
لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ	٢٧	٦٤
٤٩. الحجرات		
وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ	١١	٤١
٥٠. ق		
مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ	١٨	١٥٠
أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ	٢٤	٢٩٣
٥١. الذاريات		
هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ	٣٠	٣١

الآية	رقم الآية	الصفحة
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ	٢٢	٢١
ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ	٢٣	٥٨
هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ	٢٤	٥٨
٦٠. الممتحنة		
ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ	١٠	١٢٢
٦١. الصف		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ	١٠	١٠٦
وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	١٣	٦٤
وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ	١٣	٩١
نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ	١٣	٢١٥
٦٥. الطلاق		
وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ	٣	٣٠٤
ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ	١٢	٦١
٦٦. التحريم		
وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا	١٢	٢٨٨
٦٧. الملك		
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ	٢	٢٠٩
أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ	١٤	١٤١، ٣٠٩
أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ	٢٠	١٢١
٧٢. الجن		
وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا	١٠	٢٢
وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا	١٦	١٠٠

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

فهرس الفرق

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأبيات الشعرية

الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
ألا أبلــغ بــني عــوف رســولًا	بأنِّي عـــن فتـــاحتكم غـــني	٣٩
صفاته لذاته هي ذاته لا	غيرها دلت بذا آياته	٢٥٥
فـالحقُّ خلْـقٌ بهـذا الوجـه فـاعتبروا	ولـيس خلقًـا بـذاك الوجه فـاذكروا	٢٣٠
فهو عليم لا بعلم جلبا	وهو سميع لا بسمع ركبا	٣٥٤
هــذا وأصــل بليّــة الإســلام مــن	تأويــل ذي التحريــف والــبطلانِ	١٩٨
هــذا وفــتح البــاب لــيس بممكــنٍ	إلّا بمفتـــاحٍ علـــى أســـنانِ	١٠٣
وكـــذلك الفتّـــاح مـــن أسمائـــه	والفـــتح في أوصـــافه أمـــرانِ	٧٣
ولــرُبَّ نازلــةٍ يضــيق لهــا الفــتى	ذرعًــا وعنــد الله منهــا المخــرج	٦٢
وهو بصير لا بعين نظرت	وهو قدير لا بقدرة عرت	٢٥٥
يا فاتحًـــا لي كـــلّ باب مـــرتج	إنّي لعفـــو منـــك عـــني مـــرتج	٦٢

فهرس المصادر والمراجع

. **القرآن العـــــــــــــزيـــــــــــــز**

١. **الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: طبع على نفقة فاعل خير، بموجب تصريح من وزارة الإعلام بجدة، عام النشر: ١٤١٠هـ.

٢. **الإبريز من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ**، المؤلف: أحمد السجلماسي، المتوفى عام ١١٥٦هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٣. **أبكار الأفكار في أصول الدين**، المؤلف: علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (المتوفى: ٦٣١ هـ)، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الثانية / ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤.

٤. **إثبات الولاية العامة للنبي والأئمة**، المؤلف، علي الحسيني الميلاني، مطبعة وفا، الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ.

٥. **اجتماع الجيوش الإسلامية**، المؤلف: محمد بن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦. **أحكام القرآن**، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

٧. **الإحكام في أصول الأحكام**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة.

٨. **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة.

٩. **اختصاص الله بالأسماء الحسنى**، المؤلف: سالم بن محمد سالم القرني، الناشر: جامعة الملك خالد ٢٠١٧ م.

١٠. **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

١١. **أخلاق العلماء**، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٢. **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

١٣. **أدب القاضي**، أحمد بن أبي أحمد الطبري، المؤلف: أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص (المتوفى: ٣٣٥ هـ)، دراسة وتحقيق: د. حسين خلف الجبوري، الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الناشر: مكتبة الصديق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

١٤. **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م.

١٥. **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، المؤلف: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني المتوفى عام (٤٧٨هـ)، المحقق، محمد يوسف وعلي عبد المنعم: الناشر مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ.

١٦. **أساس البلاغة**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

١٧. **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار**، المؤلف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الناشر: دار صعب ودار المعارف للمطبوعات.

١٨. **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار قتيبة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٩. **الاستقامة**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

٢٠. **أسرار العربية**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢١. **أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة**، المؤلف: محمود عبد الرازق الرضواني، الناشر: مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٢٢. **أسماء الله الحسنى**، المؤلف: عبد الله بن صالح الغصن، الناشر: مكتبة الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٣. **اشتقاق أسماء الله**، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤. **إصلاح المنطق**، المؤلف: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ،

٢٥. **أصول الدين**، المؤلف: جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: ٥٩٣هـ)، المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ – ١٩٩٨.

٢٦. **أصول الدين**، المؤلف، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، المحقق: أحمد شمس الدين، دار النشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٢٧. **أصول السنة**، المؤلف: عبد الله بن الزبير الحميدي أبو بكر، المحقق: مشعل محمد الحدادي، الناشر: دار ابن الأثير، ١٤١٨ هـ.

٢٨. **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد**، المؤلف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري.

٢٩. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

٣٠. **الاعتصام**، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

٣١. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة، الطبعة: الأولى، ١٤٠١.

٣٢. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية.

٣٣. **الاعتقادات**، المؤلف: محمد بن بابويه القمي المتوفى عام (٣٨١هـ)، المحقق: ندارد زبان، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ١٣٧٣هـ.

٣٤. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣ هـ.

٣٥. **الأعلام**، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٣٦. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف.

٣٧. **اقتران أسماء الله الحسنى العزيز والفتاح والخلاق باسمه العليم في السياق القرآني**، المؤلف: زياد الدغامين ، مجلة جامعة آل البيت في الأردن للدراسات الإسلامية، ٢٠٢١.

٣٨. **الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد**، المؤلف: شيخ الطائفة الفقيه الاكبر أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام(٤٦٠هـ)، تم استيراده بواسطة مؤسسة بلاغ المبين.

٣٩. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، المؤلف: أحمد بن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم

بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤٠. **اقتضاء العلم العمل**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة،١٣٩٧هـ.

٤١. **الإكليل في المتشابه والتأويل**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته، الناشر: دار الإيمان للطبع والنشر.

٤٢. **أمراض القلوب وشفاؤها**، المؤلف: أحمد بن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٤٣. **إنباء الغمر بأبناء العمر**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٤٤. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، ومؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٤٥. **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤٦. **الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد**، المؤلف: لطف الله خوجة، الناشر: دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٤٧. **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، المؤلف: أبو يكر بن الطيب الباقلاني، المحقق، محمد بن زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٤٨. **أوائل المقالات في المذاهب والمختارات**، المؤلف: محمد العكبري، المحقق: إبراهيم الأنصاري، الناشر: الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٤٩. **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد،** المؤلف: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٥٠. **الإيمان الكبير**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥١. **بحار الأنوار**، المؤلف: العلامة المجلسي، طبعة مؤسسة الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٥٢. **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى.

٥٣. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.

٥٤. **بدائع الفوائد**، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت١٥٧هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٥٥. **البرهان في تفسير القرآن**، المؤلف: هاشم البحراني، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
٥٦. **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ-١٩٥٧ م.
٥٧. **بطلان عقائد الرافضة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية**، المؤلف: محمد عبد الستار التونسوي.
٥٨. **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: موسى الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٥٩. **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٦٠. **بيان فضل علم السلف على علم الخلف**، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار الصميعي، الطبعة الثانية١٤٠٦ هـ.
٦١. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

٦٢. **التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي**، المؤلف: أحمد بن عمر نجم الدين، تحقيق أحمد فريد، الناشر: دار الكتب، العلمية الطبعة الأولى،٢٠٠٩.

٦٣. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، المؤلف: طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٤. **التبيان في أقسام القرآن**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة.

٦٥. **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤.

٦٦. **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٦٧. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٦٨. **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**، المؤلف: فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٦٩. **تحفة المودود بأحكام المولود**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٣٩١ – ١٩٧١.

٧٠. **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، محمد البيروني**، المؤلف: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (المتوفى: ٤٤٠هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٧١. **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، المؤلفون: العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)، ابن السبكي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ)، استِخرَاج: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ)، الناشر: دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٧٢. **التعرف لمذهب أهل التصوف**، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٧٣. **التعريفات**، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٧٤. **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار باوزير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٧٥. **تفسير ابن فورك** من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

٧٦. **تفسير أسماء الله الحسنى**، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.

٧٧. **تفسير أسماء الله الحسنى**، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٣٣ -١٤٢١هـ.

٧٨. **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٧٩. **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى، الطبعة الثالثة - ١٤١٩هـ.

٨٠. **تفسير القرآن الكريم**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٨١. **تفسير القرآن**، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٨٢. **تفسير القمي**، المؤلف: علي بن إبراهيم القمي، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي بقم، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٨٣. **تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن**، المؤلف: أبو محمد صدر الدين القلي المتوفى عام (٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد فريد، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٨٤. **التفسير**، المؤلف: أبو النضر محمود بن مسعود العياشي المتوفى عام (٣٠٣)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة بقم، الناشر: مؤسسة البعثة الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٨٥. **تلبيس إبليس**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٨٦. **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

٨٧. **تلخيص كتاب الاستغاثة**، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد علي عجال الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨٨. **تمام المنة ببعض ما اتفق عليه أهل السنة**، المؤلف: وليد بن راشد السعيدان، الناشر: مجموعة مواقع مداد، ١٤٣٩هـ.

٨٩. **التمسك بالسنن والتحذير من البدع**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد باكريم محمد باعبد الله، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٦ /١٤١٧هـ – ١٩٩٦م/١٩٩٧م.

٩٠. **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**، المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

٩١. **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طبعت، الناشر: دار التوحيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٩٢. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، عام النشر: ١٣٨٧هـ.

٩٣. **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، المؤلف: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

٩٤. **تهذيب التهذيب**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٩٥. **تهذيب اللغة**، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩٦. **التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٩٧. **التوحيد والأسماء والصفات الإلهية**، المؤلف: محمد البياباني، المحقق: مؤسسة عالم آل محمد عليه السلام المعارفية، الناشر: دار الولاية، الطبعة الأولى ١٣٩٤.

٩٨. **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه

وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٩٩. **التوحيد،** المؤلف: أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، المحقق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية.

١٠٠. **التوحيد،** المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية.

١٠١. **التوسل أنواعه وأحكامه،** المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المحقق: محمد عيد العباسي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.

١٠٢. **توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية،** المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى عام (١٣٧٦)، تحقيق: أشرف المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠٣. **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان،** المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: ياسر المطيري، الناشر، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

١٠٤. **التوقيف على مهمات التعاريف،** المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى.

١٠٥. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد،** المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٠٦. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠٧. **ثلاثة الأصول** (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى:

١٢٠٦هـ)، المحقق: ناصر بن عبد الله الطريم وغيره، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الأولى.

١٠٨. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

١٠٩. **جامع الرسائل**، المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،

١١٠. **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١١١. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١١٢. **الجامع لأحكام القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١١٣. **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١١٤. **جمهرة اللغة**، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١١٥. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١١٦. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١١٧. **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، المؤلف: علي الفاسي، ضبطه: عبد اللطيف عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، الطيعة الأولى ١٤١٧هـ.

١١٨. **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: إبراهيم باجس عبد المجيد، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١١٩. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني.

١٢٠. **حاشية السندي على سنن النسائي** (مطبوع السنن)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١٢١. **الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد**، المؤلف: محمَّد بن يوسف اطفيَّش (ت: ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، تحقيق: محمَّد علي الصليبي، نشر: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٥هـ- ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م-١٩٨٦م.

١٢٢. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٢٣. **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية**، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى عام (١٣٧٦)، الناشر: دار ابن القيم، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

١٢٤. **حقائق التفسير**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين السلمي المتوفى عام (٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٢٥. **حقيقة الأسماء الحسنى**، المؤلف: أحمد الماحوزي، الناشر: مؤسسة عاشوراء، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٢٦. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

١٢٧. **الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن**، المؤلف: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (المتوفى: ٢٤٠هـ)، المحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٢٨. **الحيوان**، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى عام(٢٥٥هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢٩. **الخصائص**، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.

١٣٠. **خلاصة الإيجاز في المتعة**، المؤلف: محمد بن محمد النعمان العكبري المتوفى عام (٤١٣هـ)، المحقق: علي أكبر زماني، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ١٣٧٣هـ.

١٣١. **درء تعارض العقل والنقل**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ-١٩٩١م.

١٣٢. **دراسات في التصوف**، المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، الناشر: دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع.

١٣٣. **الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية**، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٣٤. **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٣٥. **دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه**، المؤلف: عيسى بن عبد الله السّعدي، كليّة التربية بالطائف، قسم الدراسات الإسلاميّة.

١٣٦. **ديوان الإمام الشافعي**، المؤلف: محمد بن ادريس الشافعي، تعليق: محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة ابن سينا.

١٣٧ . **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٣٨ . **ذم التأويل**، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: الدار السلفية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٣٩ . **ذي الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى**، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣ هـ)، خرج أحاديثه ووثق نقوله: أحمد عروبي، الناشر: دار الحديث الكنانية.

١٤٠ . **ذيل طبقات الحنابلة**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٤١ . **رجال النجاشي**، المؤلف: أبو العباس أحمد بن علي النجاشي، المحقق: السيّد موسى الشبيري الزنجاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.

١٤٢ . **الرد على الجهمية والزنادقة**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

١٤٣ . **الرد على الجهمية**، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٤٤. **الرد على المنطقيين**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة.

١٤٥. **الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، الطبعة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤٦. **الرسالة التدمرية**، المؤلف: ابن تيمية، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٤٧. **الرسالة التدمرية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ.

١٤٨. **الرسالة القشيرية**، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف.

١٤٩. **الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: مطبعة المدني، الطبعة السادسة.

١٥٠. **رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد**، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، أبو محمد (المتوفى: ٤٣٨هـ)، المحقق: أحمد معاذ بن علوان حقي، الناشر: دار طويق للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٥١. **رسائل العدل والتوحيد**، المؤلف: القاضي عبد الجبار، تحقيق محمد عمارة، الناشر: دار الهلال.

١٥٢. **رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله**، مطبوع ضمن: آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المعَلّمِيّ اليَماني، اعتنى به: مجموعة من الباحثين منهم: المدير العلمي للمشروع عَلِي بْن مُحَمَّد العِمْرَان، وفق المنهج المعتمد: من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (رحمه الله تعالى)، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ.

١٥٣. **روح البيان في تفسير القرآن**، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٥٤. **الروح**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية.

١٥٥. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٥٦. **الزهد**، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٥٧. **السبك الفريد شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين المتوفى عام ١٤٣٠)، الناشر: مؤسسة ابن جبرين الخيرية، الطبعة الثانية ١٤٤٠.

١٥٨. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (لمكتبة

المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م.

١٥٩. **السنة**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهران، الناشر: دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٦٠. **سنن ابن ماجه**، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٦١. **سنن أبي داود**، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي.

١٦٢. **سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: ١٩٩٨م.

١٦٣. **السنن الكبرى**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف العمانية، الطبعة: الأولى ١٣٥٢- ١٣٥٥ هـ.

١٦٤. **السنن الكبرى**، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.

١٦٥. **سنن النسائي**، (المجتبى من السنن)، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦٦. **سير أعلام النبلاء**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.

١٦٧. **سير السلف الصالحين**، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع.

١٦٨. **السيرة النبوية لابن هشام**، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل، سنة النشر ١٤١١.

١٦٩. **شأن الدعاء**، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤.

١٧٠. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.

١٧١. **شرح أسماء الله الحسنى**، المؤلف: أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الناشر: دار آزال، الطبعة الثانية ١٤٠٦.

١٧٢. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٧٣. **شرح الأسماء الحسنى**، المؤلف: حسين الهمداني المتوفى عام (١٣٢٢هـ)، المحقق: محسن بيدار، الناشر منشورات بيدار، الطبعة الثانية١٤٢٦هـ.

١٧٤. **شرح الأسماء الحسنى**، المؤلف: صدر الدين القونوي المتوفى عام (٦٧٣هـ)، المحقق: عاصم الكيالي، الناشر: كتاب ناشرون، الطبعة الأولى ٢١١٢م.

١٧٥. **شرح الأسماء الحسنى**، المؤلف، أبي المعالي القونوي، المتوفى عام٦٧٣هـ، المحقق: قاسم الطهراني، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعةالأولى٢٠٠٨.

١٧٦ . **شرح الأصول الخمسة**، المؤلف: القاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، الناشر: دار وهبة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.

١٧٧ . **شرح السنة**، المؤلف: إسماعيل بن يحي المزني المتوفى عام٢٦٤هـ، تحقيق: جمال عزون الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٧٨ . **شرح السنة**، المؤلف: الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

١٧٩ . **شرح العقيدة الأصفهانية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ.

١٨٠ . **شرح العقيدة السفارينية**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

١٨١ . **شرح العقيدة الطحاوية**، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٨٢ . **شرح العقيدة الواسطية**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.

١٨٣ . **شرح العقيدة الواسطية**، ويليه ملحق الواسطية، المؤلف: محمد بن خليل حسن هراس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ.

١٨٤. شرح القصيدة النونية، الناظم: شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الشارح: الدكتور محمد خليل هراس (المتوفى: ١٣٩٥ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

١٨٥. شرح الكافي، المؤلف: محمد صالح المازندراني، الناشر: المكتبة الإسلامية.

١٨٦. شرح المفصل، المؤلف: أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٨٧. شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.

١٨٨. شرح نهج البلاغة، المؤلف: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار احياء الكتب العربية.

١٨٩. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا بن نعسان معطي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، سنة النشر: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢.

١٩٠. الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.

١٩١. شفاء السائل وتهذيب المسائل، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون المتوفى عام (٨٠٨هـ)، تحقيق: محمد مطيع: الناشر: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٩٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق

وتعليق: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، الناشر: دار الجيل الطبعة: الأولى/ ١٤١٧ هـ.

١٩٣ . **الصافي في تفسير القرآن**، المؤلف: محمد بن المرتضى الكاشاني المتوفى عام (١٠٩٠هـ)، المحقق: محسن الأميني، الناشر: مطبعة أروى، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٩٤ . **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

١٩٥ . **صحيح ابن حبان**، المؤلف: محمد بن حبان البُستي، الناشر: مؤسسة، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ.

١٩٦ . **صحيح ابن خزيمة**، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، الناشر: دار الميمان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

١٩٧ . **صحيح البخاري**، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩٨ . **صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المِعارف، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٩٩ . **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

٢٠٠ . **صحيح مسلم**، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، الناشر: دار الجيل ١٣٣٤هـ.

٢٠١. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

٢٠٢. **الصفدية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢٠٣. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠٤. **ضعيف سنن الترمذي**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، توزيع: المكتب الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ-١٩٩١م.

٢٠٥. **طبقات الحفاظ**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٠٦. **طبقات الشافعية الكبرى**، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٠٧. **طبقات الصوفية**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٠٨. **طبقات النحويين واللغويين**، المؤلف: محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، الطبعة الثانية.

٢٠٩. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

٢١٠. **طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول**، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، الناشر: دار البصيرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠.

٢١١. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير ومكتبة دار التراث، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢١٢. **عقائد الإمامية**، المؤلف: الشيخ محمد رضا المظفر الوفاة (١٣٨١)، تحقيق: الدكتور حامد حفني داود، الناشر: انتشارات أنصاريان.

٢١٣. **العقود الذهبية على مقاصد الواسطية**، المؤلف: سلطان عبد الرحمن العميري، الناشر: دار مدراج، الطبعة الثانية ١٤٤٢هـ.

٢١٤. **عقيدة السلف أصحاب الحديث**، المؤلف: أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، المتوفى عام (٤٤٩ هـ)، المحقق: أبو اليمين المنصوري، الناشر: دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢١٥. **عقيدة الصوفية وَحدة الوجود الخفية**، المؤلف: أحمد عبد العزيز القصير، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢١٦. **العقيدة الواسطية**، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢١٧. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٢١٨. **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م.

٢١٩. **عون المعبود شرح سنن أبي داود، المؤلف:** أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار النشر: المكتبة السلفية، الطبعة: الثانية،١٣٨٨ هـ.

٢٢٠. **العين**، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٢١. **غاية المرام في علم الكلام**، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢٢٢. **غريب الحديث**، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤.

٢٢٣. **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل**، المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلي (المتوفى: ٥٦١ هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢٢٤. **فتاوى إسلامية، لأصحاب الفضيلة العلماء**، المؤلف: سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، فضيلة الشيخ: محمد بن صالح بن

محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، فضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، إضافة إلى اللجنة الدائمة، وقرارات المجمع الفقهي، (جمع وترتيب): محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، الناشر: دار الوطن للنشر، ، الطبعة: جـ ١: الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ، جـ ٢: الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، جـ ٣: الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م، جـ ٤: الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢٥. **الفتاوى الكبرى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٢٢٦. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز الناشر: دار المعرفة ١٣٧٩.

٢٢٧. **فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن**، المؤلف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى عام (١٣٠٧ هـ)، اعْتَنى به: عَبْد الرزَّاق بنْ عبْد المحْسن البَدْر، الناشر: دار ابن الجوزي.

٢٢٨. **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

٢٢٩. **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

٢٣٠. **الفتوحات المكية**، المؤلف: أبو بكر محي الدين محمد بن عربي المتوفى عام(٦٣٨هـ)، المحقق: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٣١. **الفتوى الحموية الكبرى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر: دار الصميعي، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٣٢. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧.

٢٣٣. **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، المؤلف: غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

٢٣٤. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، عام النشر: ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

٢٣٥. **الفروق اللغوية**، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

٢٣٦. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي.

٢٣٧. **فصوص الحكم**، المؤلف: أبو بكر محي الدين محمد بن عربي المتوفى عام(٦٣٨هـ)، تعليق أبو العلا عفيفي، الناشر: دار الكتاب العربي.

٢٣٨. **فقه الأسماء الحسنى**، المؤلف: عبد الرزاق بن المحسن البدر، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٢٣٩ . **فوات الوفيات**: المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، الطبعة الأولى.

٢٤٠ . **الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ-١٩٧٣م.

٢٤١ . **قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الغصن، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٤٢ . **قاعدة في الصبر**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٤٣ . **القصيدة النونية**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٤٤ . **قواطع الأدلة في الأصول**، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

٢٤٥ . **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٤٦. **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد،** المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.

٢٤٧. **القول السديد شرح كتاب التوحيد،** المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة.

٢٤٨. **الكافي في فقه أهل المدينة،** المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٤٩. **الكافي،** المؤلف محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام (٣٢٩هـ)، المحقق / المصحح: غفاري على أكبر و آخوندي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٢٥٠. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،** المؤلف: محمد بن علي بن محمد حامد الفاروقي الحنفي التهانوي (تبعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٢٥١. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،** المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

٢٥٢. **الكليات،** المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٢٥٣. **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، القاهرة.

٢٥٤. **لطائف الإشارات**، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة.

٢٥٥. **لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام**، المؤلف: عبد الرزاق القاشاني، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٢٥٦. **اللقاءات الشهرية**، المؤلف محمد بن صالح العثيمين المتوفى عام (١٤٢١هـ)، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ.

٢٥٧. **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: فوقية حسين محمود، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٥٨. **اللمع**، المؤلف: أبو نصر السراج الطوسي: المحقق: عبد الحليم محمود- طه عبد الباقي، الناشر: دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ١٣٨٠هـ.

٢٥٩. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م.

٢٦٠. **الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات**، المؤلف: شمس الدين السلفي الأفغاني، دار النش: الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٦١. **المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، المؤلف: كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م.

٢٦٢. **مجمع البيان في تفسير القرآن**، المؤلف: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الناشر: دار المرتضى، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٦٣. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م

٢٦٤. **مجموع الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢٦٥. **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (ت: ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١: جـ ١ (١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م)، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م).

٢٦٦. **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله**، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

٢٦٧. **مجموعة الرسائل والمسائل**، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، المحقق : السيد محمد رشيد رضا – محمد الأنور أحمد البلتاجي، الناشر : مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ –

١٩٩٢م.المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٦٨. **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية**، المؤلف: خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، (١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م).

٢٦٩. **المحصول**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م.

٢٧٠. **المحكم والمحيط الأعظم**، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.

٢٧١. **المحلى بالآثار**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

٢٧٢. **محمد صالح العثيمين العالم القدوة المربي والشيخ الزاهد الورع**، المؤلف: إبراهيم محمد العلي - إبراهيم باجس عبد المجيد، الناشر: دار القلم ، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٢٧٣. **مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم**، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق وَدراسة: عَبد الله بن حمد اللحَيدَان، سَعد بن عَبد الله بن عَبد العَزيز آل حميَّد، الناشر: دَارُ العَاصِمَة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

٢٧٤. **مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية**، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٧٥ . **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، شرح وتحقيق: رضوان جامع رضوان، الناشر: دار الفكر، تاريخ الطبع: ١٤١٨ هـ.

٢٧٦ . **مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية**، المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ.

٢٧٧ . **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، لابن خالويه، مكتبة المتنبي.

٢٧٨ . **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

٢٧٩ . **المدارس الأشعرية دراسة مقارنة**، المؤلف: محمد بن محمد الشهري، الناشر دار الهدي النبوي ودار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

٢٨٠ . **المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي**، عبد الحليم محمود، الناشر: دار النصر للطباعة.

٢٨١ . **مذكرة في أصول الفقه**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١م.

٢٨٢ . **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢٨٣ . **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٨٤ . **مسألة الوجوب على الله تعالى عند المعتزلة ورد عليها دراسة تحليلية نقدية**، المؤلف: سلمان نشمي العنزي، الناشر مجلة كلية دار العلوم.

٢٨٥. **المسائل العقدية المتعلقة باسم الله الفتاح جمعًا ودراسة**، المؤلف: عبد الكريم الرحيلي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية العدد الساس والثلاثون، المجلد الرابع.

٢٨٦. **المستدرك على الصحيحين**، المؤلف أبي عبد الله الحاكم المتوفى عام ٤٠٥هـ، ومعه تلخيص الذهبي على المستدرك، المحقق: عبد السلام علوش، الناشر: دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

٢٨٧. **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢٨٨. **المسلك الرشيد شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: سلطان العميري الناشر: دار مدراج، الطبعة الثانية ١٤٤٢هـ.

٢٨٩. **مسند أبي داود الطيالسي**، اسم المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٩٠. **مسند أبي يعلى الموصلي**، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى.

٢٩١. **مسند أحمد**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي، دار المنهاج، الطبعة: الأولى١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢٩٢. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٩٣. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٩٤. **مسند الدارمي**، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٩٥. **مشارق أنوار العقول**، المؤلف، عبد الله السالمي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٩٦. **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٢٩٧. **مشكاة المصابيح**، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.

٢٩٨. **مشكل الحديث وبيانه**، المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، المحقق: موسى محمد علي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٢٩٩. **مصنف ابن أبي شيبة**، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ)، الناشر: دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن - دمشق — سوريا، المحقق: محمد عوامة، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ.

٣٠٠. **مصنف عبد الرزاق**، المؤلف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ..

٣٠١. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، اسم المؤلف: ابن حجر العسقلاني، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

٣٠٢. **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، المؤلف: محمد بن محمد حسن شراب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة: الأولى - ١٤١١هـ.

٣٠٣. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٠٤. **معالم الدين**، المؤلف: عبد العزيز الثميني، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة،١٤١٧هـ.

٣٠٥. **معاني القرآن وإعرابه**، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

٣٠٦. **المعتصر شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: علي بن خضير الخضير الناشر: دار الجبهة للتوزيع والنشر ١٤٤٣هـ.

٣٠٧. **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٠٨. **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٠٩. **معجم اصطلاحات الصوفية**، المؤلف: عبد الرزاق القاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، الناشر: مكتبة المنار الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ..

٣١٠. **المعجم الأوسط**، اسم المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: دار الحرمين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣١١. **معجم البلدان**، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر،الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٣١٢. **المعجم الصوفي**، المؤلف: سعاد الحكيم، الناشر مؤسسة دندرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٣١٣. **معجم ألفاظ الصوفية**، المؤلف: أدهم شرقاوي، الناشر: مؤسسة مختار، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٣١٤. **المعجم الفلسفي** (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، المؤلف: الدكتور جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)، الناشر: الشركة العالمية للكتاب، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٣١٥. **المعجم الكبير**، المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: مكتبة ابن تيمية، أما الأجزاء: (١٣، ١٤، ٢١) فهي بتحقيق فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي.

٣١٦. **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، المؤلف: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م.

٣١٧. **معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ**، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م.

٣١٨. **معجم لغة الفقهاء**، المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣١٩. **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٢٠. **معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين**، المؤلف: محمد بن الحسن بن المطهر الحلي المتوفى عام (٧٧١هـ)، تحقيق: طاهر السلامي، الناشر: مؤسسة دار الكفيل، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

٣٢١. **معرفة الإمام**، المؤلف: حسين الكنجي، المجمع العالمي لمعرفة الشيع والتشيع، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٣٢٢. **المغني في أبواب العدل والتوحيد**، المؤلف: القاضي عبد الجبار، تحقيق: مجموعة من المحققين

٣٢٣. **مفاتيح الغيب**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٣٢٤. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

٣٢٥. **المفردات في غريب القرآن**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ.

٣٢٦. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ ç)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧.

٣٢٧. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٢٨. **المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى**، المؤلف: إبراهيم بن علي الكفعمي، المحقق: فارس الحسون، الناشر: قائم آل محمد.

٣٢٩. **مقاييس اللغة،** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٣٠. **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى،** المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧

٣٣١. **الملل والنحل،** المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٣٣٢. **من لا يحضره الفقيه،** المؤلف: محمد بن على بن بابويه المتوفى عام (٣٨١هـ)، المحقق: علي أكبر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.

٣٣٣. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف،** المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٣٣٤. **منازل السائرين،** المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٣٣٥. **مناهج اليقين في أصول الدين،** المؤلف: الحسن بن يوسف المطهر الحلي المتوفى عام (٧٢٦هـ)، المحقق: محمد رضا الأنصاري، الناشر: ياران، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٣٦. **المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى،** المؤلف: زين محمد شحاتة، الناشر: دار بلنسية، الطبعة العاشرة ١٤٢٢هـ.

٣٣٧. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،** المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.

٣٣٨. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

٣٣٩. **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة،** المؤلف: عثمان علي حسن، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة الثامنة١٤٣٩هـ.

٣٤٠. **منهج الأشاعرة في أسماء الله الحسنى،** المؤلف: طارق عبد الله أحيمد، ١٤٣٤هـ.

٣٤١. **منهج المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضًا ونقدًا،** المؤلف: عبد الله بن سليمان بن صالح الغصن، الناشر: دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٤٢. **المنية والأمل،** المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ)، تحقيق: الدكتور سامي النشار – الدكتور عصام الدين محمد، الناشر: دار المطبوعات الجامعية، تاريخ الطبع: ١٩٧٢ م.

٣٤٣. **الموافقات،** المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٤٤. **مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات،** المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣٤٥. **المواقف،** المؤلف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣٤٦. **الموجز في تحصيل السؤال،** المؤلف: أبو عمار عبد الكافي الإباضي، المحقق، عمار الطالبي، طبع بدعم من وزارة الثقافة بالجزائر ٢٠١٣.

٣٤٧. **موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني،** المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز

النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٣٤٨. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٣٤٩. **موطأ مالك**، المؤلف: مالك بن أنس، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٣٥٠. **الميزان في تفسير القرآن**، المؤلف: محمد حسين الطبطبائي، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم الناشر: المكتبة الإمدادية ودار النشر الإسلامية العالمية.

٣٥١. **نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر**، المؤلف: ناصر بن سالم الرواحي، طبع في عهد جلالة الملك قابوس بن سعيد، الطبعة الأولى.

٣٥٢. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٥٣. **نقد الرجال**، المؤلف: مصطفى بن الحسين التفرشي، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٣٥٤. **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله من التوحيد**، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المحقق: رشيد بن حسن الألمعي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٥٥. **نهاية الإقدام في علم الكلام**، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى /١٤٢٥ هـ.

٣٥٦. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٥٧. **نهج الحقّ وكشف الصدق**، تأليف: حسن بن يوسف بن مطهر الحلي المتوفى عام٧٢٦هـ، المحقق: ندارد، الناشر: دار الكتاب اللبناني، عام ١٩٨٢م.

٣٥٨. **الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية**، المؤلف: أبو شكيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، الطبعة الثانية.

٣٥٩. **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

٣٦٠. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، الطبعة الأولى.

٣٦١. **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**، المؤلف: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفى عام (٩٧٣هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

فهرس المحتويات